



كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر



العلاقات بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك

٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م

الدكتورة

إيمان عبد الجبار محمود التميمي

مراجعة

الأستاذ الدكتور داود سلمان خلف الزبيدي

٢٠٢٢م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة



٩٥٣ / ٠٨

ت ٨٩٨ التميمي، ايمان عبد الجبار.
العلاقات بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام
في عصر سلاطين المماليك / ايمان عبد الجبار التميمي.
ط١- بغداد : مطبعة الرفاه، ٢٠٢٢.
٣٣٢ ص. ٢٤ سم.
١- مصر- دولة المماليك. ٢. الشام- دولة المماليك
أ- العنوان.

م.و.

٢٧٠١ / ٢٠٢٢

المكتبة الوطنية/ الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٧٠١ لسنة ٢٠٢٢ م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-612-12-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

صدق الله العظيم

﴿سورة طه: الآية ١١٤﴾



إلى ...

- والدتي رحمها الله وفاء لذكرها
- من تكبد معي العناء والمشقة اثناء عملي
- زوجي الغالي أدامه الله ذخرًا لي
- ابنائي فلذات كبدي... فلاح، محمد، علي
- من اضاف بهجة الى حياتي حفيدي الغالي... امير

- طلبة العلم ومحبيه

أهدي ثمرة جهدي هذا



الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، والصلاة والسلام على سيد الكائنات محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين .وبعد

عرفاناً مني بالجميل أتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور

﴿داود سلمان خلف الزبيدي﴾

الذي تشرفت به مشرفاً على اطروحتي وابعاً ومرشداً من خلال دعمه واعانته لي وتقديمه النصح والارشاد الذي احتجت اليه اثناء البحث.

كما اتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العميق الى كافة اساتذتي في قسم التاريخ في كليتي كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية الذين ساندوني ووقفوا معي في مراحل الدراسة جميعها من البكالوريوس وحتى اتمامي اطروحتي جزاهم الله عني خير الجزاء .

وأخيراً لا بد من ذكر كلمة شكر وعرفان إلى كل من اسهم ولو بكلمة او دعا لي بظهر الغيب من الأشخاص الذين يتعذر علي ذكر أسمائهم جميعاً .

المؤلفة

هذا الكتاب

نالت المؤلفة به درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله على ما أسبغهُ علينا من النعم، ونشكره على ما أتنا به من الفضل والكرم، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وسيد البشر محمد الرسول الكريم وبعد.

ان الكتابة عن العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة، لهو من المواضيع الشائكة والمعقدة، فالفقه ذو ابواب متشعبة، والمذاهب الفقهية متنوعة، والفقهاء ذوو عدد ومؤلفاتهم فاقت الآفاق، كذلك التصوف لم يثبت الى الان تعريف محدد له، على الرغم من انه ظاهرة شاعت في المجتمع الاسلامي منذ القرن الثاني الهجري، اذ تعددت تعاريفه، مثلما تنوعت طرائقه وكثر اشياخ تلك الطرق كل له طريقته وزيه وشاراته واعلامه و مريديه، وقد اعتمد الفقهاء في احاديثهم وعلومهم على الكتاب والسنة والاجتهاد فيما لم يجدوا له اصلاً في الكتاب والسنة، وكانوا مقدّمين ذو تقدير و مكانة عالية عند السلاطين والامراء والعامّة على مر العصور، في حين اعتمد بعض الصوفية على ادعاءاتهم بامتلاكهم العلم اللدني، الذي هو وحي من الله عز وجل سبحانه الذي اختص به الانبياء والرسل، وكان الصوفية يرون ان لهم الافضلية، كونهم أصحاب الكرامات والاحوال التي عززوها بالخوارق وهو اصل الخلاف، لذا كانوا على خلافات دائمة مع الفقهاء والاكابر من ذوو المكانة من المتنفيين من الفقهاء ممن لا يؤمنون بهم وبأحوالهم، وبسبب قربهم في العيش من بعضهم، نشأت

بينهم العلاقات الحسنة والسيئة، منها ما كان ظاهراً ومنها ما كان خفياً، ومن البديهي ان تنشأ فيما بينهم الصراعات الفكرية من جانب، وعلى المناصب والسلطة والجاه عند السلاطين وامرائهم، والاعيان والعامّة من جانب آخر، وقد احتضنت بلاد الشام ومصر تلك الصراعات، فقد كان البلدين تربة خصبة للتصوف، ومحط رجال كثير من رجالات التصوف آنذاك.

ولما كانت صورة الصراع بين الفقهاء والمتصوفة ظاهرة بيّنة في العصر المملوكي على الرغم من حياد السلطة السياسية في أحيان كثيرة، فضلاً عن ذلك فان الصدام بين التصوف، والفكر السلفي كان على أشده، حيث ظهرت الخصومات واضحة، اذ كانت مقولات المتصوفة في وحدة الوجود، والاتحاد، والولاية، وختم النبوة، والكرامات مثار جدل وصراع واسع النطاق آنذاك.

كل ما تقدم فضلاً عن طبيعة المواقف لكل من الفقهاء والعديد من سلاطين المماليك الذين تباينت مواقفهم واختلفت بين الرفض والقبول، وبين التبني والرفض، وجدت ان العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي ستكون مفيدة، وتمثل اضافة للبحث العلمي كوننا سنسلط الضوء على العديد من السلوكيات الايجابية والسلبية للفقهاء من جانب، والمتصوفة من جانب آخر فضلاً عن طبيعة النظام السياسي السائد آنذاك ومدى منفعة حكام المماليك في القرب والبعد من الفقهاء والمتصوفة لتحقيق مصالحهم وغاياتهم، واخيراً انعكاس ذلك كله على الحياة في المجتمع المصري والشامي وبيان طبيعة الانعطافات الفكرية والسلوكية للتصوف، فمن تصوف الحسن البصري (ت ١١٠ هـ / ٧٢٨ م)، الى تصوف الحلاج (ت ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م)، وصولاً الى تصوف ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٣٩ م)، ومن على شاكلته.

والوقوف على طبيعة العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة يكون لازماً على البحث ان يقدم عرضاً سريعاً لأهم المذاهب الفقهية التي انتشرت في مصر وبلاد الشام، وعرض للتصوف للوقوف على طبيعة هذه العلاقة منذ القرن الثاني والثالث وصولاً الى زمن البحث في القرنين السابع والثامن الهجريين على الرغم من اننا وضعنا ذلك بالتفصيل في كتاب منفرد، الا اننا اثرنّا ذلك التمهيد كي تتبين المباني الفكرية التي تم اعتمادها للوقوف سلباً او ايجاباً من المتصوفة بحسب الانتماء لكل مذهب من تلك المذاهب، ومن هنا جاء اختيار الموضوع واهميته.

تم تقسيم الموضوع الى مقدمة وتمهيد عرضت فيه اهم المذاهب الفقهية في مصر وبلاد الشام كما تحدثت فيه عن التصوف والمتصوفة لأبين للقارئ الكريم جذور تلك العلاقة واسبابها، كما تضمن الكتاب عدة فصول في كل فصل عدة مباحث، واخيرا الخلاصة كان فيها نتائج ما توصل اليه البحث.

تحدث الفصل الأول: عن الملامح السياسية والدينية والثقافية في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك، والتي تضمنت الظروف التي ادت الى قيام دولة المماليك من احياء الخلافة العباسية في القاهرة، لحصولهم على الشرعية كونهم غرباء عن البلاد، وظروف حكمهم وتوليهم المناصب بالسيف والتي أطلق عليها بعض المؤرخين نظرية الحكم لمن غلب.

كان الفصل الثاني اطلالة على ما كتب عن أصحاب المذاهب الاربعة التي برزت عن غيرها، والمتصوفة ومكانة كل منهم لدى السلاطين، والامراء، والعامة، واسباب تلك المكانة التي استحصلوا عليها، وتم الكشف عن العلاقات

التي تربط الفقهاء مع المتصوفة والتي وجدنا انها تقوم على الصراعات المتباينة الظاهرة منها والخفية.

اما الفصل الثالث والآخر تم فيه الحديث عن اوجه الصراع بين الفقهاء والمتصوفة، ومواقف فقهاء كل مذهب من المذاهب من التصوف والمتصوفة، وكذلك مواقف المتصوفة من فقهاء المذاهب، أجابت المؤلفة في هذا الفصل عن عدة تساؤلات عن الصراعين الفكري والعقائدي الذين توصل لهما البحث والعلاقة بين الفقهاء والمتصوفة، ثم ذكرنا قائمة بأسماء المصادر من المخطوطات والمصادر القديمة والمراجع والبحوث وغيرها.

ولما كان البحث التاريخي لا يقوم على الانشاء وانما يقوم على التوثيق فمن البديهي ان تكون المصادر من المرتكزات الاساسية التي ارتكز عليها البحث، والتي اقتضت طبيعة العمل الاعتماد على مجموعة كبيرة و متنوعة منها، فضلاً عن المراجع العربية والمعرّبة والبعض من المراجع الاجنبية التي مثلت دراسات مهمة في التصوف الاسلامي فضلاً عن الاطاريح والرسائل الجامعية، والبحوث المنشورة في المجالات الاكاديمية المحكمة، كل هذه مجتمعة أفادت في إغناء الدراسة

اخيراً ارجوا أن اكون قد وفقت بهذه الدراسة التي بذلت فيها جهداً كثيراً وصبراً يماثله على وفق المنهج العلمي التاريخي، واضفت شيئاً لمكتبة التاريخ الإسلامي، متمثلة بقول الشاعر ابي نواس:

وقل لمن يدعي في العلم فلسفةً حَفَظْتَ شيئاً وغابت عنكَ اشياءُ^(١)

(١) الحسن بن هانئ (ت ١٩٨هـ/٨١٣م)، ديوان الخمریات.

تمهيد

انتشرت المذاهب الفقهية في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك مثلما انتشر التصوف وشاع فيها، وسنتطرق الى التعريف بالفقه ومن هم الفقهاء، كما سنتطرق الى تعريف التصوف والتعرف على احوال المتصوفة، والمقابلة بين هذين العلمين كي نوصل للقارئ الكريم والمهتمين بالدراسات التاريخية من غير الأكاديميين الى معرفة ماهية واسباب العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في ذلك العصر موضوع الكتاب.

حث الإسلام على طلب العلم، ورفع من شأن العلماء وكرمهم، وتمثل ذلك بقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ....) ^(١)، وقوله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ^(٢).

شرع المسلمون لذلك ينهلون من كافة ينابيع العلم المختلفة من فقه، وحديث، وأدب، ولغة، وتاريخ، وغيرها من العلوم المختلفة، العقلية منها والنقلية، إلى ان اختص كل عالم من العلماء بنوع معين من العلوم عُرف به فمن اختص في دراسة العلوم الدينية من فقه، وتفسير، وحديث فقد اطلق عليه

^(١) سورة الزمر: الآية: ٩.

^(٢) سورة المجادلة: الآية: ١١.

لقب عالم أو فقيه، وسادة العلماء هم الفقهاء^(١). فالفقه هو الفهم^(٢)، ومنه قوله تعالى على لسان موسى (ع) في دعائه لربه عندما كلف بالرسالة: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)^(٣) أي يفهموه. والفقه أيضاً هو العلم بالدين،^(٤) كقوله تعالى: (لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ)^(٥): أي ليكونوا علماء به، وهو أيضاً العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة مع ادلتها التفصيلية،^(٦) وهو علم استنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج إلى النظر والتأمل،^(٧)

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١٢م)، لسان العرب، تح: عبد الله بن علي الكبير وآخرون، دار صادر، بيروت، ج ١٢، ص ٤١٦ - ٤١٧، ج ١٣، ص ٥٢٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٢٢؛ الانصاري، زكريا بن محمد (ت ٩٢٦هـ / ١٥٦٨م)، الحدود الانيقية والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م، ص ٦٧؛ الأشيقر، عمر سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، ١٩٩٠م، ص ٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٧ - ٢٨.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣٣٤؛ الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن السيد الزين الحنفي (ت ٨٢٦هـ / ١٤٨٨م) التعريفات، دار الفكر العربي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١١٩؛ الاشيقر، تاريخ الفقه الإسلامي، ص ٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٩١.

(٦) الأمدي، ابو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣١م) الاحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢م، مج ١، ص ٥.

(٧) الجرجاني، التعريفات، ص ١١٩؛ الأمدي، الأحكام، ج ١، ص ٦؛ الطوسي، ابو نصر عبد بن علي السراج، اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٦.

وقد حدد الإسلام شروط العالم الذي يستحق لقب فقيه، فهو الشخص الذي يجب ان يلتزم بأمرين:

اولهما: ان يكون متخصصاً في دراسة الشريعة الإسلامية، وثانيهما: ان يكون حائزاً على مستوى من العلم والمعرفة يؤهله للاجتهد والتمكن من استنباط الأحكام الشرعية من ادلتها،^(١) عندئذ يُطلق عليه فقيه، فهو صاحب البصيرة في دينه الذي خَلَصَ إلى معاني النصوص، واستطاع ان يخلص إلى الأحكام والعبر والفوائد التي تضمها تلك النصوص.^(٢)

ان من المفيد ان نذكر ان المذاهب الرئيسية التي انتشرت في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك اربعة وهي حسب ظهورها: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الحنبلي، والمذهب الشافعي، و ان كل من هذه المذاهب له مؤسس واصول واتباع، فالمذهب الاول وهو من أوائل المذاهب الفقهية الإسلامية المشهورة، ينسب الى مؤسسه، وواضع اسسه الامام ابي حنيفة النعمان^(٣)، النعمان بن ثابت بن زوطي، الذي

(١) ابن جماعة، بدر الدين ابراهيم (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم، ص ١٦؛ العلوي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت ٩٨١هـ / ١٦٠٣م)، المعيد في أدب المفيد والمستفيد، المكتبة العربية، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٤٩هـ، ص ١٨.

(٢) الاشيقر، تاريخ الفقه الإسلامي، ص ١٢.

(٣) يراجع عنه : الصيمري، أبي عبد الله حسين بن علي، (ت ٤٣٦هـ / ١٠٥٤م) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١٥، ص ٤٤٦ ؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٩م)، مناقب الإمام ابي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، تح : محمد زاهد الكوثري وأبو الوفا

عاش في العصرين الأموي والعصر العباسي الأول،^(١) واليه ترجع نشأته،^(٢) كما ويعد واضع قواعد هذا المذهب وأصوله،^(٣) والذي قال عن هذه الأصول: "أنا نعمل بكتاب الله، ثم بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ثم بأحاديث الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان ونحوهم"،^(٤) وحدد هذه الأصول بالكتاب، أصل الأصول ومصدر المصادر،^(٥) والسنة،^(٦) والاجماع، الذي يلجأ إليه الفقهاء عندما لا يجدون نصاً من القرآن ولا من السنة،^(٧) ثم أقوال الصحابة التي عدها أبو حنيفة من أصول مذهبه.^(٨) أما القياس والرأي، فإنه منحه وزناً خاصاً، وأكثر من الاعتماد عليه، بل وقدمه في بعض الأحيان على الأحاديث، وهو ما جعل البعض يُطلق

الأفغاني، مطبعة لجنة أحياء المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ط٣، بيروت، ١٤٠٨ م، ص ١٣.

- (١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٤١٦.
- (٢) الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص ٢٢؛ حوي، المدخل إلى فقه أبي حنيفة، ص ١٢٠.
- (٣) أبو زهرة، أبو حنيفة وآراءه الفقهية، ص ٢٦٥.
- (٤) الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ص ١٠ - ١٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، ج ١٥، ص ٤٤٧؛ الغزي، الطبقات السنية، ص ١٣٣ - ١٤٤.
- (٥) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٣٥٥.
- (٦) حوي، المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة، ص ١١٨.
- (٧) أبو زهرة، أبو حنيفة وآراءه الفقهية، ص ٣٥٠؛ حوي، المدخل إلى مذهب أبي حنيفة، ص ١١٨.
- (٨) حوي، المدخل إلى مذهب أبي حنيفة، ص ١١٨.

عليه اسم امام اهل الرأي، ^(١) فضلاً عن الاستحسان والعرف اللذان جعلهما من اصول مذهبه . ^(٢)

لعل من المفيد ان نذكر ان هذا المذهب انتشر انتشاراً واسعاً في بلاد الهند والسند، ثم انتقل بواسطة تلامذة ابي حنيفة واصحابه الى البلاد الاخرى، وتفرق فقهاء مذهبه الى العراق والمشرق الاسلامي، وغير ذلك من بلاد العجم واقاليم ما وراء النهر، واستمر هذا المذهب بالانتشار في تلك البلاد الى ان ظهر جنكيز خان المغولي، فوضع السيف في العلماء والفقهاء، وخرب البلاد وقتل العباد، فهرب فقهاء الحنفية الذين نجوا من المغول الى دمشق والديار المصرية ونشروا علمهم وفقههم هناك. ^(٣)

اما المذهب الثاني الذي تمذهب به اهل السنة والجماعة، فهو المذهب المالكي، الذي ترجع اصوله الى الامام مالك بن انس بن ابي عامر، ^(٤) الأصبحي ^(٥)، الذي نشأ في المدينة المنورة، ^(١) وعاش فيها في

^(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ١٥، ص ٤٤٥.

^(٢) حوي، المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة، ص ١١٨.

^(٣) اللكنوي، محمد بن عبد الحي، الفوائد البهية في طبقات الحنفية، تح: محمد بدر الدين ابو فراس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ٣.

^(٤) الذهبي، العبر، ج ١، ص ٢١٠؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن (ت ٩٠٣ هـ / ١٦٠٦ م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تح: أسعد طرايزوني، مكة المكرمة، ١٣٧٩ م، ج ٣، ص ٤٤٣.

^(٥) هم بطن من بطون حمير من ولد أصبح بن عمرو بن الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن زرة بن حمير واليهم تنسب السياط الاصبحية. للمزيد ينظر: الهمداني، ابي محمد الحسين بن احمد بن يعقوب (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م)، الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تح: الاكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤ م، ج ٢، ص ٢٠٥؛ السيوطي، جلال الدين

عصرين منها نحو اربعين عاماً من العصر الاموي، وسبع واربعين عاماً من العصر العباسي، عاصر فيهما الكثير من كبار رجال العلم، واخذ عن الثقات من كبار الصحابة والتابعين،^(٢) وكان عصره بداية ظهور الأئمة المجتهدين كالإمام الاوزاعي^(٣) المتوفى سنة (١٥٧هـ / ٨٧٩ م)، وسفيان الثوري^(٤) المتوفى سنة (١٦١هـ / ٧٧٨ م)، وابو حنيفة سابق الذكر وغيرهم،

عبد الرحمن بن محمد بن عثمان (ت ٩١١هـ / ١٥١٢م) تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، تح: هشام بن محمد، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ٢٠١٠م، ص ١٩؛ المقحفي، ابراهيم احمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م، ص ٢٥-٢٦.

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١١٠٢ م)، صفة الصفوة، ج ٢، ص ٩٩؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٨٦؛ ابن فرحون، ابراهيم بن علي المالكي (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة التراث، القاهرة، (د.ت)، ص ١٧ - ٣٠؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٢) الدقر، الإمام مالك ابن انس إمام دار الهجرة، ص ٤٩.

(٣) هو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمر بن يحمى ونسبته إلى اوزاع، وهي بطن من بطون اليمن، وقيل إلى قرية بالقرب من باب الفراديس في دمشق كان يسكن بيروت وولادته ببعلبك وهو إمام أهل الشام الذين ظلوا يعملون بفقهه لمدة مئتين وعشرون عاماً إلى ان غلب مذهب الشافعي على مذهبهم. للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢١٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٢٧؛ ارسلان، شقيب، محاسن المساعي في مناقب الإمام ابو عمرو الاوزاعي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٦-١٣.

(٤) هو ابو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي من بني ثور احد أعلام المسلمين ومن تابعي التابعين وصاحب احد المذاهب الإسلامية المندثرة. للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٣٧١-٣٧٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٣٩.

وكان لكل منهم اتباعه ومقلديه، كما كان لكل منهم طريقته ومنهجه في الاجتهاد،^(١) ويعد كتابه الموطأ^(٢) من اشهر مؤلفاته، والذي عُدَّ مع كتاب المدونة الكبرى، الاصل الفقهي عند المالكية، الذين اعتمدوا عليه في فقهم، كما اعتمد عليه اكثر علماء القيروان^(٣)، في الفتيا، فقد احتوت المدونة على اسئلة واجوبة في الفقه قيل انها بلغت ٦٢٠٠ مسألة، مرتبة على ابواب الفقه، من ضمنها رواية الإمام مالك عن الصحابة والتابعين، والتي كتب لها ابن رشد^(٤) الجد، المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته هذه المدونة من احكام.^(١)

(١) الدقر، الإمام مالك ابن انس إمام دار الهجرة، ص ١٧-١٩.

(٢) اشتمل هذا الكتاب على عدة مجلدات قام بتحقيقه: بشار عواد معروف، وقامت بطباعته ونشره عدد من دور الطباعة والنشر في البلاد الإسلامية وهو من أشهر كتب الفقه والحديث للإمام مالك واقدّم كتاب ألف في شرائع الإسلام وبني على تمهيد الاصول للفروع، نبه فيه على معظم اصول الفقه التي ترجع اليها مسائله وفروعه وقام من جاء بعده بعدة مختصرات له مثل مختصر الخطابي والبستي والبايجي. للمزيد ينظر: الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٩٧، ٢؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج ١، ص ٦٩١؛ الجيلاني، حماد الامين، حياة الإمام مالك وآثاره العلمية، بحث منشور في جامعة الإمام المهدي، السودان، ٢٠١٣م، ص ١٦.

(٣) كلمة معربة عن الفارسية اصلها كاروان، وهي مدينة عظيمة بأفريقية مصرت في الإسلام في عهد معاوية بن ابي سفيان والنسب اليها قيرواني. للمزيد عنها ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٤٢٢؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص ٢٤٢.

(٤) ابو الوليد محمد بن احمد القرطبي الأندلسي، شيخ المالكية وقاضي الجماعة بقرطبة الف العديد من المصنفات في المسائل في الفقه المالكي منها البيان والتحصيل وفتاوى ابن رشد

كان الامام مالك من الشخصيات المعروفة في عصره على الرغم من كثرة العلماء، بيد انه كغيره من اسلافه من العلماء يعملون بكتاب الله وسنة نبيه، ولم تكن المصالح الشخصية تقيدته، او تجعله ممن يخضعون لأوامر السلاطين الذين يعاصرونهم، ولا جدل في ان ذلك ما جعله يتعرض للأذى من والي المدينة آنذاك سنة (١٩٤هـ/٨١٦م) الذي أمر بضربه كونه لم يتفق معه في الرأي حول جواز طلاق المكره^(٢).

ان من الملفت للنظر ان هذا المذهب من اكثر المذاهب اصولاً، وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد هذه الاصول، فمنهم من ذكر انها احد عشر اصلاً، ومنهم من ذكر انها اربعة عشر، وذلك لان الامام مالك لم يحدد بالتفصيل تلك الاصول، الا ان بعضهم ممن كتبوا عن اصول استنباط الفقه المالكي حدودها،^(٣) وجعلوا اولها القرآن الكريم، الذي هو مصدر التشريعات السماوية، والذي لا جدال في ذلك عليه، وثاني هذه الاصول هي السنة النبوية المطهرة^(٤)، ثم الاجماع^(١)، والقياس الذي توسع

توفي (٥٢٠هـ/١١٤٢م). للمزيد ينظر كتابه: البيان والتحصيل، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥.

(١) ينظر: ابن رشد، المقدمات الممهدات، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) للمزيد عن رأي المالكية في جواز طلاق المكره ينظر: ابن عبد البر القرطبي النمري، ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ/١٠٦٦م)، الكافي في فقه أهل المدينة، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٣.

(٣) ابو زهرة، الإمام مالك حياته وعصره، ص ٢١٨.

(٤) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ١، ص ٩٥.

به الامام مالك واصحابه، ولم يحصروه بالأحكام المنصوص عليها بل اعادوها الى القياس على ما ثبت منها بالقياس، فقاوسوا الفروع على الفروع، والمسائل المستنبطة بالقياس. (٢)

لعل من الجدير بالذكر، ان هذه الاصول الاربعة لا خلاف فيها عند أئمة المذاهب الاربعة، بيد ان هناك اصولاً اخرى اضافها اصحاب هذا المذهب، واختصوا بها دون غيرهم من المذاهب الاخرى، ومنها عمل اهل المدينة، وارانوا بها اتفاق اهل العلم بالمدينة زمن الصحابة على امر من هذه الامور، (٣) فضلاً عن غيرها من الاصول كقول الصحابي (٤)، والاستحسان (٥)، وسد الذرائع (٦)، والاستصحاب (٧).

صفوة القول : ان هذا المذهب انتشر في الحجاز والعراق وغرب البحر الاحمر، وبعد وفاة الامام مالك انصرف اصحابه الى تدوين مسائله الفقهية، وجمع فتاواه، كما اهتم اصحابه بالرد على مخالفهم من أئمة

(١) مقدمة في اصول الفقه، ص ٣٢٠؛ القرافي، شرح تنقيح الفصول، ج ٢، ص ٤٤.

(٢) ابن رشد، المقدمات الممهدة، ج ١، ص ٢٢؛ ابو زهرة، الإمام مالك حياته وعصره، ص ٣٦٩.

(٣) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ١، ص ٦٥-٦٨؛ ابن تيمية، أحكام الفصول، ص ٤٨٧.

(٤) ابن القيم، أعلام الموقعين، ج ٤، ص ١٢٠؛ القيرواني، أحكام الفصول، ص ٤٧٩.

(٥) ابن فرحون، كشف النقاب، ص ١٢٥.

(٦) للمزيد ينظر: ايصال السالك، ص ١٧١-١٧٢؛ تقريب الوصول، ص ٤١٥-٤١٦.

(٧) عن الاستصحاب ينظر: ابن فرحون، ايصال السالك، ص ١٧٥-١٧٩؛ تقريب الوصول،

ص ١٧٥-١٧٩.

المذاهب الاخرى، والتي بدأت بدفاع المالكية عن مذهبهم، والذب عنه بمناظرات امام اصحاب المذاهب الاخرى.^(١)

لعل من المفيد ذكر قول العلامة ابن خلدون عن الامام مالك انه: " اختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وان كان يوجد في غيرهم، كالْبصرة وبعض اطراف الجزيرة، الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما كانت رحلتهم غالباً إلى الحجاز،...، والمدينة يومئذ هي دار العلم، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا عن الاخذ عن علماء المدينة، وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ..."^(٢).

اما المذهب الثالث الذي انتشر في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك فهو المذهب الحنبلي، الذي ترجع اصوله الى الامام احمد بن حنبل الذُّهلي^(٣)، مؤسس هذا المذهب وهو عربي صحيح النسب^(٤)، من قبيلة شيبان^(٥)، عاش زمن الخليفة العباسي المأمون واخيه

(١) القيرواني، الذب عن مذهب مالك، ص ٣٥ - ٣٧ ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ٢٨٠.

(٢) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٩ م)، المقدمة، مطبعة دار القلم، بيروت، د.ت، ص ٤٤٩.

(٣) يراجع عنه : الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، ج ٤، ص ٤١٢ ؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١١٩٨ م)، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تح : عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ١٦ - ٢١ ؛ ابن مفلح، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج ١، ص ٦٤.

(٤) العليمي، المنهج الاحمد، ج ١، ص ٧١.

(٥) إحدى قبائل العرب وهم بنو شيبان بن عوف بن زهير بن أبين بن السميع بن حمير وبقاياهم موجودة بالعراق وغيره. للمزيد ينظر: القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ /

المعتصم وابناءه من بعده، والذين حملوا الناس على القول بخلق القرآن^(١)، فعندما تولى المأمون كان الاعتزال أقرب المذاهب إلى نفسه؛ لذلك قَرَّب المعتزلة^(٢) منه، وأصبح الاعتزال المذهب الرسمي للدولة ذلك العصر، وكانت مسألة خلق القرآن الحاسمة في حياة الامام أحمد،^(٣) وكانت معارضته هي بداية لظهور ونشأة المذهب الحنبلي.^(٤)

ان ما يميز هذا المذهب عن غيره ان الامام احمد جمع من الاحاديث ما لم يجمعه غيره من الائمة من الاحاديث والآثار، واخذ الفقه عن الشيوخ، ودوّن كبار تلامذته اقواله وفتاواه في مجلدات عديدة^(٥)، وفي

١٤٤٣م)، فلتاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ناشرون، ط٢، ١٩٨٢ م، ص ٤٠.

(١) هو فكر انتشر في عهد الخليفة المأمون العباسي من قبل المعتزلة والتي تعد ان القرآن مخلوق وكلام الله مخلوق وقد اقتنع الخليفة المأمون بهذا الفكر وعزل كل قاضي لا يؤمن به وقد لقي معارضة واستهجان من كثير من الائمة ومنهم الامام احمد والذي تحمل كثير من الاذى بسببه. ينظر:

patton, Walter Melville, Ahmed ibn Hanbal, the imam including an account of the mohammedan inquisition called the Mihna, p 218-134.

(٢) فرقة دينية ظهرت في البصرة بداية القرن الثاني الهجري وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس شيخه الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزله بين المنزلتين لا مسلم ولا كافر. للمزيد ينظر: ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت. ٦٢٠ هـ / ١٢٢١ م)، لمعة الاعتقاد، تح: أشرف عبد المقصود، ط٣، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٥م، ص ١٦٣؛ الجرجاني، التعريفات، ص ١٥٣.

(٣) الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص ١٥٧.

(٤) الندوي، رجال الفكر والدعوة، ص ١٦١.

(٥) أبو زيد، المدخل المفصل لمذهب أحمد، ج ٢، ص ٦٦٧ - ٦٧٠؛ المطيري، محمد بن علي بن جميل، قصة نشأة المذاهب الفقهية المشهورة، د. مط، اليمن، ٢٠١٥م، ص ٢٥.

ذلك قال عنه ابن القيم : ان الإمام أحمد كان " شديد الكراهية لتصنيف الكتب، وكان يُحب تجريد الحديث ويكره أن يُكتب كلامه... " ^(١)، ويعد مصنفه الشهير المسند ^(٢)، الذي احتوى على ٢٧٠٠٠ ألف حديث ^(٣)، وهذه الأحاديث هي الأصول التي سار عليها كل من اتبعه من الحنبلية. وهذه الأصول هي:

الأول: النص إذا وُجدَ أفتى بموجبه.

الثاني: ما أفتى به الصحابة.

الثالث: إذا اختلفت الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة.

الرابع: الأخذ بالمرسل، والحديث الضعيف.

الخامس: القياس وكان يستعمله للضرورة. ^(٤)

ولعل من المفيد هنا أن نذكر أن المذهب الحنبلي رُخِرَ بالعديد من المصنفات الفقهية التي نقلت مذهب الإمام أحمد، وبينت آراءه في العديد

^(١) ابن قيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ / ١٣٢٥ م) أعلام الموقعين عن رب العالمين، تخريج : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبو عمر أحمد بن عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي الرياض، ١٤٢٣ هـ، ج ٢، ص ٤٩.

^(٢) يُعد هذا الكتاب من أعظم كتبه وأجلها، لما حواه من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيدها، ويعتبر المصدر الرئيسي للأحاديث النبوية الصحيحة عند الحنابلة وعددها ثلاثون ألف حديث. العُلَيمي، المنهج الأحمد، ج ١، ص ٨٥.

^(٣) أبو زيد، المدخل المفصل لمذهب أحمد، ج ٢، ص ٦٦٧ - ٦٧٠؛ المطيري، محمد بن علي بن جميل، قصة نشأة المذاهب الفقهية المشهورة، د. مط، اليمن، ٢٠١٥ م، ص ٢٥.

^(٤) ابن بدران، المدخل، ص ١١٦؛ ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، ج ٢، ص ٥٠، ٥٥، ٩٠.

من المسائل الفقهية، والتخريجات، والاحتمالات، التي اجتهد فيها أصحاب الإمام أحمد من أئمة المذهب، وفق أصول الإمام واجتهاداته وأشهر هذه المؤلفات ثلاث مجموعات في الأصول.

الأولى: كتب الإمام أحمد ورسائله.

الثانية: كتب المسائل المروية عن الإمام أحمد التي روى تلاميذه مسائلها عنه.

الثالثة: الكتب الجامعة لمسائل الرواية، وأهمها كتاب الجامع لمسائل الإمام أحمد لأبي بكر الخلال، لذلك لا جرم لو قلنا إن كل ما صُنِفَ في فقه المذهب الحنبلي من متون ومختصرات وشروح يرجع إلى هذه المجموعات الثلاثة، ويصدر عن هذه الأصول.^(١)

أما المذهب الرئيس والذي عُدَّ المذهب الرسمي للدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام فهو المذهب الشافعي، والذي ترجع أصوله إلى الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف^(٢)، فهو

(١) المدخل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٠٨٦.

(٢) يراجع عنه: الزبير، أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٨م)، نسب قریش، تح: ليفي بروفنسال؛ ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٥م، ص ٩٦؛ ابن حبان البستي، أبي حاتم محمد بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م) - الثقات، مؤسسة الكتاب الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٨٣م، ج ٩، ص ٣٠؛ ابن حزم، أبي محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٧٨م)، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م،

قرشي مطلبّي، نشأ وعاش في القرن الثاني الهجري، وكان عصره عصر رخاء واستقرار من الناحية الفكرية، وكان التدوين قد بدأ وشاعت الكتابة وتنوعت فنونها، واخذت المناهج تتضح وتتمايز، وكان الفقه اسبق هذه الفنون، حيث ابتدأت حلقات العلم ومجالس المناظرات تنعقد^(١)، فنشأ الشافعي في ظل هذا الجو المفعم بالعلم، ورحل الى المدينة المنورة والعراق طلباً له، الا انه استقر في مصر بعد اسفار طويلة، لما استشعر بفراسته ام العراق لم يعد ارضاً صالحة لبقائه، لظهور امر المعتزلة فيها، كما جاءته دعوة من والي العباسي لمصاحبته للرحلة معه الى ارض مصر،^(٢) والذي يبدو ان تلك الدعوة تناغمت مع ما استشعر به من ضرورة عدم بقاءه في بغداد فقرر الرحيل معه الى مصر، فضلاً عن رغبته في السفر والترحال الذي كان يرى فيه، ان منه يتحصل على الخبرة والمعرفة بالحياة من خلال التقاءه بالعلماء والفقهاء والقراء والمحدثين، فقد عرف عن الشافعي اقوال في مدح السفر وفوائده .

ص٦٦؛ ص١٩٠ الحسيني، ابي المحاسن محمد بن علي العلوي (ت ٧٦٥هـ / ١٣٦٥م)، التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د٠ت، ج٣، ص ١٤٦٩ رقم ٥٨٤٧؛ الخوازنساري، ميرزا محمد باقر الاصبهاني (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٣م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م، مج٧، ص ٢٤٥.

(١) الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٠١م) نهاية المطلب في دراية

المذهب، تح: عبد العظيم محمد الديب، دار المنهاج، بيروت، د.ت، ص ٩٧.

(٢) معجم الأدباء، ج٥، ص٣٣؛ القواسمي، المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، ص٩٣ - ١٠١.

نزل الشافعي بمصر، ووجد الحياة هناك تموج بالفقه وتعج بالفقهاء، فوجدَ فقه الليث^(١)، وفقه الإمام الأوزاعي، وفقه أبي حنيفة، وفقه الإمام مالك، وعلى عادة العلماء قديماً كانوا يرون ان الاحتفال بمقدم احد العلماء اليهم يكون بعقد مجالس العلم، والاستماع الى ما عنده، وعرض ما عندهم، ويتبع ذلك بالمناظرات، وكل ذلك طلباً للعلم، وتحقيقاً للفوائد، فما كان من الشافعي، إلا ان اطلع على ما عند هؤلاء العلماء بمصر، واتخذ له حلقة له في جامع عمرو^(٢) بالفسطاط^(٣)، وأقبل إليه الفقهاء يسمعون ويتدارسون، حتى انحاز إليه الكثير من اتباع مالك، وأبي حنيفة،

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر في الفقه والحديث في زمانه المتوفى (١٧٥ هـ / ٨٩٧ م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص١٢٧؛ الذهبي، العبر، ج١، ص٢٠٦؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص٤٢.

(٢) أول جامع بني في مصر بل في افريقية بعد فتح المسلمين لها كلها وعرف بمسجد الفتح والجامع العتيق وتاج الجوامع ويقع في حي الفسطاط بمصر القديمة بناه عمرو بن العاص وجعله مركزاً ونواة لحكمه وعرف باسمه. للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٤٤؛ ابن دقماق، الانتصار، ج١، ص٥٩.

(٣) مدينة مشهورة بمصر وأولى العواصم الإسلامية بناها عمرو بن العاص سنة (٢٠ هـ / ٦٤٢ م). للمزيد ينظر: القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص٢٣٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١١٠؛ ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن ايوب العلائي (ت ٨٠٩ هـ / ٤٠٧ م)، الانتصار لواسطة عقد الامصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ج١، ص٢؛ عنان، محمد عبد الله، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣١ م، ص ١١-١٦.

وصار اتباعهم من أخص تلاميذ الشافعي وعلى رأسهم البويطي^(١) المتوفى ببغداد سنة (٢٣٢هـ / ٨٦٤م)، والمزني^(٢) المتوفى سنة (٢٦٤هـ / ٨٨٦م)، والذين كانوا يقولون بقول مالك^(٣).

من الظاهر ان تلك كانت بداية لظهور الشافعي في مصر، والتي بدأ بعدها بتقوية مدرسته، ووضع الاسس الخاصة بمذهبه، بعد ان كان الغالب على اهل مصر مذهب الحنفي والمالكي. وبذلك يمكننا القول : أن الإمام الشافعي قضى في مصر خمس سنوات فقط، لكنها خمس سنوات مباركات، أعطى فيها للحديث مكانته، وألح إلحاحاً شديداً في الاستدلال بالحديث وكانت نظريته حدثاً تاريخياً جعل الناس يتجهون للرجوع إلى الحديث بعد أن كان قبله الاتجاه في التشريع نحو العمل مجمعاً عليه حيناً، وأقوال الصحابة والرأي حيناً آخر ومنذ ذلك الوقت، أخذ فقه الحديث مسلكاً جديداً في المذاهب الفقهية، وفي ذلك يقول ابن خلدون : " اما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواه، وكان مذهبه قد انتشر

(١) ابو يعقوب يوسف بن يحيى المصري نسب إلى بويط من صعيد مصر، وهو اكبر أصحاب الشافعي المصريين، وله المختصر المشهور اختصر فيه كلام الشافعي، وقد اختصره قراءة على الشافعي وكان الشافعي يعتمد عليه في الفتيا، واستخلفه على أصحابه بعد موته. للمزيد ينظر: الجويني، نهاية المطلب، ص ١١٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص ١٢٤.

(٢) هو ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى كان زاهداً ورعاً صنّف الكتب الكثيرة اشهرها المختصر، والجامع الكبير والجامع الصغير، وأخذ عنه الناس في خراسان والعراق والشام. للمزيد عنه ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص ٢١٧؛ الذهبي، العبر، ج١، ص ٣٧٩.

(٣) ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص ١٦٨-١٧٠.

بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وقاسم الشافعية الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار، وعظمت مجالس المناظرات بينهم...^(١).
ان ما يهمنا هو ان مذهب الشافعي ظل يتوسع في مصر حتى صار
الغالب على اهلها وخصوصاً في الريف أو ما يسمى الوجه البحري.^(٢)
ولما جاءت دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) - (٧٨٤هـ/١٣٨٩م)
التي خلفت دولة الأيوبيين لم تُنقص من حظوة المذهب الشافعي فقد كان
معظم سلاطينها من الشافعية الا سيف الدين قطز^(٣)، الذي كان حنفياً ولم
يكن له اثر في مذهب الدولة لقصر مدته،^(٤) الا ان القضاء ظل على
المذهب الشافعي في دولة المماليك إلى ان استحدث الظاهر بيبرس^(٥)، فكرة
تولي اربع قضاة في كل مذهب قاضٍ، فصار كل قاضٍ يقضي بموجب

(١) المقدمة، ص ٤٤٨.

(٢) المقرئزي، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، ص ٣٥؛ مغربية، المذهب الشافعي، ص ١٤٠.
(٣) سيف الدين بن عبد الله المعزي، تولى السلطنة سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٧م) اخص ممالك الملك
الصالح ايوب واحد فرسان الامراء المعزية تجهز لقتال المغول وانتصر عليهم في معركة عين
جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وكانت وفاته بعدها في نفس السنة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام
النبلاء، ج ٢٢، ص ٢٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٧٢.

(٤) المقرئزي، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، ص ٣٦؛ مغربية، المذهب الشافعي، ص ١٤١.
(٥) ركن الدين ابو الفتوح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي اصله تركي أخذ من بلاده، واشتره
الامير ايدكين علاء الدين البندقداري وبه عرف، ترقى في المناصب بعد مقتل قطز ولقب بالملك
الظاهر، ويعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك. للمزيد عنه ينظر: ابن شداد، عز الدين محمد بن
علي بن ابراهيم (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء: احمد حطيط، دار فرانز
ستايز، ١٩٣٤م، ص ٣٧-١٩؛ بيبرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطائي (ت ٧٢٥هـ/
١٣٢٤م) مختار الاخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تح: عبد
الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢.

مذهبه، لكنه جعل للمذهب الشافعي مكاناً أعلى من سائر المذاهب الأربعة الأخرى، وذلك بان كان له وحده الحق في النظر في أموال اليتامى والاوقاف، فكان له المرتبة الأولى في الدولة.^(١)

اما عن انتشار المذهب الشافعي في بلاد الشام، فقد كانت الشام أولاً على مذهب الاوزاعي، حتى ولي القضاء ابو زرعة^(٢) الدمشقي، فشجع الناس على تقليد الشافعي، حتى قيل: أنه كان يهب مئة دينار لمن يحفظ "مختصر المزني"^(٣)، وهذا المختصر هو اصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلى مثاله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا وأخذ عنه خلائق كثيرة من علماء خراسان والعراق والشام.^(٤)

لعلنا بذلك نكون قد قدمنا عرضاً للمذاهب الفقهية التي انتشرت في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك.

اما التصوف والمتصوفة، الذي كان يقابل الفقه والفقهاء، فقد اخذ حيزاً كبيراً في حياة الناس في دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، فيُعرفه ابن خلدون بأنه : " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٦٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣١٦.

(٢) محمد بن عثمان القاضي الذي أدخل إلى دمشق المذهب الشافعي وحكم به وتبعه من بعده من القضاة. توفي سنة (٢٨١هـ / ٩٠٣م). للمزيد ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣، ص ١٩٦ -

١٩٨.

(٣) مغربية، المذهب الشافعي، ص ١٤٢.

(٤) الجويني، نهاية المطلب، ص ١١٧.

والانفراد عن الخلق في الخلوة^(١) للعبادة... "، ^(٢) وعرفه غيره من المؤرخين بتعاريف مختلفة، في حين يذكر القشيري (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) أنه: " لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر أنه لقب "^(٣)، وقد عرفه اهل التصوف انفسهم بتعاريف مختلفة، ولم يضعوا تعريفاً محدداً له، وان كل متصوف يضع للتصوف تعريفاً او وصفاً يتفق مع المنهج الذي اختطه لنفسه، فنلاحظ ان هناك تعريفات ركزت على جانب الزهد، ومنها ما ركزت على جانب الاخلاق، ومنها ركزت على الجانب التشريعي، في حين جاءت عند البعض بمعنى العبودية والتسليم لله تعالى كقول

(١) الخلوة هي العزلة للعبادة والابتعاد عن الناس والتقرب إلى الله تعالى، وهي احدى المستلزمات الروحية التي يؤديها المريد في الطريق الصوفي ويهتم بها مشايخ الطريقة لتربية النفوس وتركيزها القلوب لمريديهم. للمزيد ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٨٥؛ الطبرسي، أبو الفضل علي بن رضي الدين علي من علماء القرن السادس الهجري، مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تح: مهدي هوشمند، دار الحديث الثقافية، طهران، د.ت، ص ٤٤٩؛ الشرقاوي، حسن، معجم الفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣٠.

(٢) المقدمة، ص ٤٩٠.

(٣) ابو القاسم النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٦.

الجُنَيْد^(١) (ت ٢٩٧هـ / ٩٠٩م) الذي نقله السهروردي^(٢) (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٣م): "ان التصوف بيت بابيه الشريعة"^(٣)، في حين لخص الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١م)^(٤) التصوف انه: "علم طريق الآخرة، وعلم

(١) ابو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، وعرف بالخزار والقواريري لأنَّ ابوه كان يبيع القوارير، اصله من نهاوند ومولده ونشأته في العراق تفقه على ابي ثور الاسد المحاسبي وغيرهم. للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٢٩؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار (ت ٨٧٤هـ / ١٣٤٧م)، دول الاسلام، تح: حسن إسماعيل محمود والارناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨١؛ اليافعي، محمد بن عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٩م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٧٣ - ١٧٦.

(٢) هو العالم الصوفي ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله التيمي البكري ونسبته إلى سهرورد احدى القرى القريبة من زنجان في بلاد فارس كتب الكثير من المؤلفات في التصوف. للمزيد ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨؛ الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٢م). طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٤٢.

(٣) السهروردي، عوارف المعارف، ص ٢٦.

(٤) هو ابو حامد محمد بن محمد بن محمد حجة الاسلام ولد في مدينة طوس في خراسان وكان والده يشتغل بغزل الصوف وسمي الغزالي لذلك، درس العلم والجدل والفلسفة والمنطق، وأخذ علم الكلام عن شيوخ كبار وطالع كتب كثيرة، وألف المصنفات العديدة في التصوف وغيره. للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٤، ص ٢١٦؛ الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٣٨٦ - ٣٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٢١٣.

اصول القلب، واخلاقه المحموده او المدفوعة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه".^(١)

وبذلك فقد جمع بتعريفه ما بين العلم والعبادة والاخلاق وصفاء القلب، وهو ما تميل اليه الباحثة.

ويصف ابن خلدون المقابلة بين علمي الفقه والتصوف قائلاً: " وصار علم الشريعة على صنفين، صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهو الاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم- الصوفية- في القيام بهذه المجاهدة، ومحاسبة النفس، والكلام في الاذواق والموارد العارض في طريقها، وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك " .^(٢) لعل من المفيد ان نذكر ان: المتصوفة هم قوم اتسموا بحسن الخلق والزهد في الدنيا، والتأدب بآداب الشرع، ولقبوا بالنسّاك، والقراء، والزهاد، والعُبّاد، والفقراء،^(٣) ويصفهم صاحب حلية الأولياء: بانهم قوم اخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض، وجعلهم قدوة للمتجربين من الفقراء، لا يأوون إلى أهل أو مال، ولا يُلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا مال.^(٤)

(١) الغزالي، احياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣٣.

(٢) المقدمة، ص ٣٩٩.

(٣) ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٤؛ التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٤٥٦ - ٤٥٨.

(٤) ينظر: ابو نعيم الاصفهاني، ص ٣٣٧، ص ٣٤٧.

ولتمييز العلاقة بين الفقه والتصوف، علينا معرفة ان التصوف في الإسلام كعلم ديني، يختص بجانب الاخلاق والسلوك، في حين علم الفقه هو الباحث في الاحكام، ويستند إلى علم الكلام استناد الفرع إلى الاصل، أما التصوف فهو يستند إلى علمي الكلام والفقه، فلا بد للمتصوف من علم كامل بالكتاب والسنة.^(١)

وفي ذلك يقول الشعراني عن علم التصوف: هو علم انقذ في قلوب الأولياء، حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، والتصوف هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة.^(٢)

ويرى احد المؤرخين ان لا تصوف بلا فقه، فالفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على احكام الله تعالى وحقوقه، فلهما حكم الاصل الواحد في الكمال والنقص، وهو أحد اجزاء الدين.^(٣)

ويذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في مؤلفه الكبير تاريخ الاسلام: أنه مما يتوجب الاشارة اليه ان مذهب المسلمين في التصوف قد تطور في القرون المتأخرة، وأخذ عدة مناحٍ وتأثر بالعناصر الحضارية { الفارسية، الهندية، واليونانية، والسريانية}، وأصبح فلسفة قائمة على عناصر أخرى كالأفلاطونية الحديثة وتلك العناصر، وان للمتصوفة في حب الله نفس المذهب، فهم يحبونه حباً روحانياً خالياً من الرغبات والنزعات، أي: حباً افلاطونياً، ولا شك إنهم اكتسبوا هذا الحب مما وصلهم من هذه الفلسفة، في

(١) التقنازاني، مدخل إلى النصوص الإسلامية، ص ١٦.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٤.

(٣) زروق، قواعد التصوف، ص ٣٣.

حين اتخذ بعض المتصوفة من التصوف وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، واتخذها آخرون وسيلة لتحقيق مآربهم الشخصية.^(١)

واخيراً: بعد هذه المقارنات والتعاريف لربما تكونت لدينا صورة عن واقع الفقه والتصوف في هذا العصر لتكون مدخلاً للتعرف على العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في عصر سلاطين المماليك فالتشجيع والدعم الذي تلقته تلك الفرق والمجموعات الصوفية من لدن الأيوبيين كان سلاح ذو حدين في انتشار ظاهرة التصوف، فبالنسبة للأيوبيين حققوا مبتغاهم في الوصول إلى أهدافهم بالقضاء على الفكر الشيعي ونشر المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية التي كانوا يتمذهبون بها،^(٢) ولكن ذلك الدعم، لانحراف التصوف عن خطه العام، اثر عكسياً على اغلب سلوكيات واخلاق المجتمع، وانتهى بالتحلل والاستهتار وعدم الاكتراث بالقيم والتقاليد وتفتت العادات السيئة كبيع الخمر، وانتشار دور البغاء، وشيوع ظاهرة تعاطي الحشيشة^(٣).

(١) مج ٣، ص ٢٢٢.

(٢) المقرئزي، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ٣٢-٣٣.

(٣) نبتة تشبه العشب وقيل: هي الياض من العشب لها مفعول مخدر وتسمى ايضاً القنب الهندي يقول ابن مماتي عنها أنها تكثر في كانون الأول والثاني مع الزرع. للمزيد ينظر: ابن فارس، ابي الحسين احمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/ ١٠١٧م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ١٠-١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٨٨٥؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٤٣؛ الفيومي، المصباح المنير، ص ١٣٨.

تلك الظاهرة التي لم يألّفها المجتمع، والتي انتقلت من البلاد المجاورة، ثم إلى مصر، وشاعت زراعتها هناك، والتي حاربها سلاطين بني ايوب، لما فيها من اخطار صحية واجتماعية.^(١)

لما جاء المماليك إلى الحكم كانوا قد ورثوا جميع ممتلكات الايوبيين وعاداتهم، فكانت ظاهرة التصوف من ضمن ما ورثوه، فقد لقي علماء تشجيعاً واسعاً من لدن سلاطينه،^(٢) وكانت هناك أماكن لخلوة الصوفية وانقطاعهم فيها للعبادة، ويسكن فيها الزهاد كالزوايا والخوانق والربط، والتي لم تكن تؤدي هذا الدور فقط، بل أدت دوراً واسعاً في تدريس العلوم فضلاً عن العبادة، فقد تسابق سلاطين المماليك على بناء هذه المؤسسات وانفقوا عليها المبالغ الباهظة وقاموا بتكليف الفقهاء بالإشراف عليها،^(٣) فقد عرف عن السلطان الظاهر بيبرس محبته للفقهاء والصوفية وتقريبهم منه .^(٤)

(١) أصدر السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة (٦٣٢هـ/١٢٤٣م) مرسوماً تضمن منع زراعة الحشيشة، كما أمر بجمع المحاصيل المزروعة منه وحرقها الزركشي، زهر العريش في تحريم

الحشيش، ص ٢٧؛ المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ١٢٦-١٢٩.

(٢) منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية، ص ٤٩.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ص ٧٦.

(٤) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٧٠.

الفصل الاول

الملامح السياسية والدينية والثقافية في عصر سلاطين المماليك

المبحث الاول: ظروف قيام دولة المماليك

المبحث الثاني: الملامح السياسية

المبحث الثالث: الملامح الدينية والثقافية

المبحث الاول

ظروف قيام دولة المماليك

عند الحديث عن ظروف قيام هذه الدولة ونشأتها، لابد من الاجابة عن عدد من التساؤلات للتعرف على من هم هؤلاء المماليك؟ وكيف قامت دولتهم؟ وماهي سياستهم في الوصول الى الحكم؟ والاسباب التي ادت الى ذلك.

فالمماليك :ليسوا عبيداً، انما امتلكوا بقصد تربيتهم والاستعانة بهم كجند او للخدمة في القصور السلطانية وما شابه ذلك، على عكس العبيد، تلك الكلمة التي تعبر في مدلولاتها على كل معاني العبودية، فالعبد يولد من الرقيق، بينما المملوك يولد من ابوين حرين، ويختلف عن العبد في لونه عن المملوك، فالأول يكون اسود اللون غالباً، بينما يكون المملوك لونه ابيض،^(١) ويذكر ابن منظور : " ان المملوك هو العبد، والجمع مماليك، وهو من يملك، ولم يملك ابواه، بينما العبد القن هو من يملك هو وابواه. ^(٢) وقد اتخذ لفظ المماليك مصطلح في التاريخ الاسلامي، فاصبح يطلق على الرقيق

(١) ينظر: العريني، السيد الباز، المماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٧٥؛ ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٢م، ج١، ص١١؛ لين بول، ستانلي، تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والاشراف في الاسلام من القرن الاول حتى القرن الرابع عشر الهجري، تعريب: مكّي الطاهر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٦٩.

(٢) لسان العرب، ج١٤، ص٢١٨.

الابيض، الذين يجلبهم التجار، نتيجة لعمليات البيع او الشراء، أو نتيجة للأسر في الحروب،^(١) ويذكر المسعودي أن استعمالهم في الحروب كان منذ زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨١٤م)، الذي أكثر من جلب الاتراك وجعلهم في جيوشه، واعتمد عليه ليكونوا موضع ثقة،^(٢) بعد ان ازداد نفوذ الفرس، الذين أزررو الدولة العباسية، وكان لهم دور كبير في قيامها، ويرجع سبب اعتماده عليهم، لان امه كانت من الاتراك، وكونهم كانوا متدربين على اعمال الجيش العسكرية، وقوتهم البدنية بسبب شظف العيش في الاماكن التي كانوا يعيشون فيها،^(٣) ولا نريد الخوض في باقي التفاصيل زمن الدولة العباسية بل ان ما يهمنا أن هؤلاء المماليك زاد نفوذهم، كما ازدادت أهميتهم في الحياة السياسية ومفاصل الحكم في مصر وبلاد الشام،^(٤) واستطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم في مصر وبلاد الشام، والحجاز، والجزيرة الفراتية، فبعد ان انتقلت السلطة الى الايوبيين، وجد صلاح الدين الايوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ/١٧١١-١١٩٣م) نفسه

(١) ينظر: زيتون، عادل، تاريخ المماليك، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص١؛ قاسم، قاسم عبد، عصر

سلاطين المماليك، ص٢٥؛ العبادي، قيام دولة المماليك الاولى، ص١١.

(٢) ينظر: ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/١٩٦٨م)، مروج الذهب ومعادن

الجوهر، تح د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، مج٣، ص٢٤٠.

(٣) ينظر: عبد المنعم، صبحي، الشرق الاسلامي في زمن المماليك والعثمانيين، دار العربي

للطباعة، القاهرة د.ت ص١٧.

(٤) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٢٥، الحزوري، حسام الدين عباس، الحركة الفكرية ومركزها في

نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية

للكتاب، دمشق، ٢٠١١م، ص١٦.

مضطراً للاعتماد عليهم، بسبب الظروف السياسية التي شهدت الصراع بين الصليبيين والمسلمين، فلجأ الى تقوية جيشهم به، فيذكر صاحب الخطط المقرزية: أنه ازال الجند العبيد والسودان الذين كانوا عدة الجيش الفاطمي،^(١) واشترى بنفسه مجموعة كون بها فرقة، سميت بالفرقة الصلاحية نسبة اليه، أو الناصرية، نسبة الى لقبه الملك الناصر،^(٢) بعد موت صلاح الدين تقسمت املاك دولته الى امارات حكمها افراد البيت الايوبي في مصر وبلاد الشام، وكان بينهم خلافت دائمة، ولم يكن ينفعهم سوى الاعتماد على جند مجلوبين من بلاد اخرى مختلفة، بيد ان هؤلاء الاجلاب زاد نفوذهم بسبب هذه الخلافت بين هؤلاء الافراد، كما انهم لم يكونوا من اصل واحد.^(٣)

اما كيف وصل المماليك الى الحكم، فيبدو جلياً أن لصلاح الدين الايوبي الفضل في جلبهم والاعتماد عليهم، وانه بمؤازرتهم استطاع ان يتربع على عرش مصر،^(٤) الا أن المسؤول الحقيقي عن ازدياد نفوذ هؤلاء المماليك، ووصولهم الى سدة الحكم وسيطرتهم على المراكز الحساسة في الدولة هو الملك الصالح نجم الدين الايوب (٦٣٧-٥٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)، فيذكر المقرزي: أن الملك الصالح هو الذي انشاء المماليك

(١) المقرزي، ج١، ص٧١.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٢، ص٢٢٩؛ طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٢-٢٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص١٦٢-١٦٣؛ ستانلي، لين بول، تاريخ الخلفاء، ص٧١.

(٤) ابن وصال، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٣٧، لين بول، تاريخ الخلفاء، ص٧١، عبد المنعم دمشق، الشرق الاسلامي، ص٢١.

البحرية بالديار المصرية، واسكنهم قلعة في جزيرة الروضة على نهر النيل،^(١) واليه يعود الفضل في تكوين هذه الدولة التي ترأس عرشها بمؤازرة هؤلاء المماليك.^(٢)

اما تسميتهم المماليك البحرية، فقد اختلف المؤرخون في ذلك، كما اختلفوا في من هو اول سلطان حكم هذه الدولة، فابن دقماق^(٣) مثلاً يعتبر المعز آيبك اول سلطان مملوكي في هذه الدولة، يؤيده القلقشندي^(٤)، في حين يرى المقرئزي^(٥) مؤرخ مصر ان شجر الدر هي اول من ملك عرش مصر من سلاطين المماليك، ونحن نذهب الى ما ذهب اليه المقرئزي كونه مؤرخ مصر اولاً، وتعليلنا: انه في الوقت الذي اراد فيه الملك الصالح نجم الدين ايوب التصدي للحملة الصليبية السابعة، كانت ترافقه زوجته شجر الدر، عندما وصل الى مدينة دمياط، الا انه كان طريح الفراش، ولما وصلت الحملة الصليبية، كانت قد وافته المنية، قبل ان يتصدى لتلك الحملة سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م).^(٦)

(١) السلوك، ج١، ص٣٣٩، وينظر أيضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٠، قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٢٦.

(٢) عبد المنعم، الشرق الاسلامي، ص٢١؛ الحزوري، الحركة الفكرية، ص٢١؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص٢٦.

(٣) الجواهر الثمين، ص٢٤٤.

(٤) مآثر الانافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار فراج، مطبعة الكويت، ط٢، ١٩٨٥م، ج٢، ص٩٤.

(٥) السلوك، ج١، ص٣٤٤.

(٦) بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص٧-٨؛ ينظر: العبادي، احمد مختار، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٩٦-١٠٠.

بادرت شجر الدر زوجة الملك الصالح بعد وفاته الى ادارة شؤون الحكم والحرب بمساعدة امرائه الصالحية، واخفت خبر موته عن الجند، خوفاً من ضعف امر المسلمين، وارسلت الى ابنه توران شاه ليتولى عرش ابيه، وسلمته مقاليد الحكم، بيد انه تنكر لصنيعها وعاملها باستهتار، وعدم تقدير للموقف الذي صنعتة في ادارة الحرب والبلاد التي كان يجب ان يديرها، واخذ يتوعدها، كما انه اساء معاملته ممالك ابيه الصالحية الذين كانوا عوناً لهم وشاركوهم في نصرهم على الصليبيين. (١)

كانت نتيجة لتصرفات توران شاه ابن الملك الصالح تجاه ممالك ابيه، ان يثوروا عليه ويقتلوه بشكل مأساوي مريع وصفه المقريزي :بأنه مات جريحاً حريقاً غريقاً، (٢) لترتقي شجر الدر عرش المماليك وتكون اول السلاطين في مصر وبلاد الشام، (٣) والتي اخذت تدير الشؤون الادارية والعسكرية، وتتنصر بمساعدة المماليك الصالحية على الصليبيين الموجودين في بلاد الشام آنذاك، وثبتت حكم المماليك في مصر، بعد ان كانت امتحاناً رهيباً لهم، (٤) وبمثابة صرخة الميلاد لهذه الدولة الناشئة. (٥)

(١) ابو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١٨٠؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٣٢٧؛ ابراهيم، علي حسن، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م، ص ٣١.

(٢) السلوك، ج٣، ص ٣٢٧؛ وينظر: ابن سباط، تاريخ ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) الياضي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٩٢؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) ينظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٦٤.

(٥) قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٤.

كان اعلان شجر الدر ارملة الراحل الملك الصالح نجم الدين ايوب اول سلطنة تجلس على عرش المماليك، وعلى الرغم من الدور البطولي الذي لعبته بعد وفاة زوجها الملك وانتصاراتها التي حققتها والاصلاحات التي قامت بها وقصر مدة حكمها، الا انها اصطدمت بعدم قبول الرأي العام الاسلامي لامرأة تجلس على عرش السلطنة من جهة، ورفض الخلافة العباسية في بغداد مساندتها واعطاءها الشرعية بحكم البلاد، كما رفض الخليفة العباسي اعطاءها التفويض بحكم البلاد، مما انهى حكمها بسرعة،^(١) فما كان منها الا ان تنازلت عن الحكم للأمير عز الدين آيبك احد الامراء الصالحة بعد زواجه منها،^(٢) بعد ثمانين يوماً من حكمها، وتولى الاخير عرش البلاد تحت اسم السلطان المعز عز الدين آيبك .^(٣)

وبذلك نستخلص ان الظروف السياسية، كانت نتاجاً لقيام دولة المماليك الاولى، والتي عرفت بالمماليك البحرية، كما ان هذه الظروف تخللتها حقيقة هامة جداً، ان هؤلاء السلاطين لم يكونوا من اصل واحد، او سلالة واحدة حاكمة، وانهم قد مسهم الرق، وحصلوا على الحرية بالعق، كما كانوا يعتقدون انهم متساوون في الحقوق، وان عرش المماليك من حقهم جميعاً، بيد انه للأقوى منهم، وعلى ذلك قامت دولتهم التي آمن سلاطينها

(١) المقرئزي، السلوك، ج١، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ينظر: بيبيرس المنصوري، مختار الاخبار، ص٢٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٣٦٦.

(٣) ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٥٩؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ص٣٦٢.

وساروا على هذه النظرية الدموية التي جعلها الحكام المماليك اساساً وشرطاً لتوليهم الحكم، وهي نظرية الحكم لمن غلب . (١)

ان ما يهمننا مما سبق هي التحديات الكبيرة التي واجهتها هذه الدولة الناشئة، والتي كان فيها التنافس على العرش على اشدّه، فحكامها لم يحترموا نظام الوراثة في الحكم، ولم يؤمنوا او يعترفوا به،^(٢) وذلك بسبب طبيعتهم العسكرية من جهة، وشعورهم بأنهم متساوون في الحقوق من جهة اخرى، مما جعل كبار امرائهم يعتقدون ان العرش من حقهم جميعاً، بيد انه يجب ان يفوز به الاقوى منهم، لذلك ظل عرش السلطنة محل تنافس ونزاع بين كبار الامراء، ولاسيما عندما يخلو العرش عند موت السلطان الحاكم ، حيث يهرع قاتله لتسليم الحكم، وقد نجد بعض الحالات المختلفة، مثلما حصل عندما مات السلطان المعز عز الدين آيبك، حيث ان الامير قطز لم يتعجل الجلوس على العرش كونه لم يقتله، بل مات، فأمسك بزمام الامور ليواجه التنافس، وترك امر السلطة الفعلية لابن استاذة السلطان آيبك،^(٣) بيد انه استغل الظروف السياسية الداخلية للدولة، والاحوال المتردية، بسبب الفتن التي اثارها طوائف المماليك سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، ليرتقي عرش السلطنة، بعد ان اصبحت الدولة غير قادرة على تحمل المؤامرات والدسائس التي تحصل بين الامراء، كما ان السلطان الصغير لعب بأحوال البلاد، فما كان

(١) ينظر :ابن ايبك، الدرّة الزكية، ج٨، ص ٧٢-٨٠؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك

الظاهر، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٦٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٤٣.

من الامير قطز الا ان يخلع ابن استاذة، ويجلس على العرش المملوكي.^(١) ليسير فيه السيرة الحسنة وتكون بذلك قد اكتملت خطواته نحو العرش ليصبح سلطاناً على الديار المصرية، ويجلس على سرير الملك بقلعة الجبل،^(٢) ليكون اول مملوك يخلع ابن استاذة ويتسلطن عوضاً عنه،^(٣) كما ان جلوسه على العرش لم يكن نهاية لرحلته، اذ كان عليه ان يوطد دعائم حكمه في الداخل، قبل ان يتوجه للقاء اعداءه في الخارج، وقد تم له ذلك بعد ان واجه معارضة كبار الامراء المعزية، الذين انكروا عليه خلع ابن استاذهم وجلوسه على العرش، الا ان هؤلاء اصطدموا باعتذاره اليهم، بسبب حركة التتار الى مصر والشام، وانه يجب توحيد القوى لمواجهةهم، وبذلك استطاع ان يبيث الطمأنينة في قلوب معارضيه، ويمتص غضبهم، ويكسب مساندتهم له لمواجهة اعداءه، وانجاز مهمته التاريخية الكبيرة في التصدي للمغول.^(٤)

وما كادت تأتي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، حتى دخل المغول بغداد، واسقطوا الخلافة العباسية فيها، وقتلوا آخر خليفة من خلفاء بني العباس،^(٥) وتابعوا زحفهم الى بلاد الشام بقيادة هولاكو سنة

(١) ينظر: ابن ابيك، الدرة الزكية، ص ٣٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٨٨؛ رشيد الدين، جامع التواريخ، ص ٣١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٦٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٥٧؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٣٨١.

(٤) ينظر: المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٥٦؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٤٠٩-٤١٠.

(١٢٦٠هـ/١٢٦٠م)، ثم توجهوا بعدها الى حماة، ثم الى دمشق حتى وصلوا الى اطراف بلاد الشام،^(١) وكان هولاء يهدف من مسيره هذا الوصول الى مصر، وفعلاً ارسل انذاراً الى قائد الجيش قطز في نفس السنة المذكورة طالباً منه الاستسلام، الا ان الاخير رفض طلب هولاء، كما اقدم على قتل الرُّسل الذين حملوا الانذار،^(٢) والذي كان عددهم نيف واربعون نفرًا على ما ذكره ابن آيبك^(٣) كلهم علقت رؤوسهم على باب زويلة^(٤) احدى ابواب القاهرة القديمة، بأمر منه ثم نادوا بالجهاد في سبيل الله في مصر والقاهرة، بعد ان قرر قائد الجيش المظفر قطز مواجهتهم وعدم الرضوخ والاستسلام لتهديدهم.^(٥)

لعلنا لا نبالغ او نتحيز في القول: ان الظروف خدمت دولة المماليك، كي تقوم دولتهم، وينتصر الاسلام بهم، كما خدمتهم الظروف نفسها في الانتصار على المغول، فقد حدثت على الساحة المغولية ظروف، جعلت من

(١) ينظر: القلقشندي، مآثر الانافة، ج٢، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٣٨١-٣٨٢؛ قاسم، الايوبيين والمماليك، ص١٣٦.

(٢) ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص٤٣؛ المقرئ، السلوك، ج١، ص٤٢٧.

(٣) الدواداري، كنز الدرر، ج٨، ص٤٨.

(٤) تم انشاء هذا الباب عام (٤٣٥هـ/١٠٩٢م) من قبل امير الجيوش بدر الدين الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وسبب تسميته بهذا الاسم كونه يؤدي بالقوافل المتجهة منه الى مدينة زويلة المغربية الواقعة عمق الصحراء الليبية وان هذا الباب اخذ شهرته عندما علقت عليه رؤوس رسل المغول الذين ارسلهم هولاء لتهديد مصر عصر سلاطين المماليك. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط المقرئية، ج٢، ص٩٨.

(٥) ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص٤٣.

هولاكو الذي لم يخسر اي معركة طوال حياته ان ينسحب الى دولته خوفاً على املاكه في ايران، على اثر وروده نبأ موت اخيه الذي كان متربعا على عرش الدولة المغولية،^(١) تاركاً قيادة الجيش الى قائده كتيبغا^(٢)، تجاه هذه الظروف قرر المماليك استغلال هذه الفرصة لصالحهم، فقاموا بعدة حملات استطلاعية قادها الظاهر بيبرس، بعد ان قامت عدة مداولات بين قائد الجيش المملوكي قطز، وامراء جيشه الذي كان بيبرس احدهم، وذلك للوقوف بوجه المغول .^(٣)

ان النصر الذي كان حليف المسلمين يرجع الى الخطة الذكية التي اتبعها القائد قطز، والامير بيبرس، الذي استطلع المكان وشاهده على حقيقته قبل المعركة، وكانت تلك اول مرة توضع خطة المعركة على ارض الواقع وتشاهد ارض المعركة قبل وقوعها،^(٤) فكان النصر حليفهم بأذن الله في تلك المعركة التي وقعت بين الطرفين، والتي عرفت بمعركة عين جالوت نسبة الى المنطقة التي وقعت فيها سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)،^(٥) ودقت الطبول

(١) رشيد الدين، جامع التواريخ، ص ٣١٧؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، تعريب : د. عبد الوهاب

غلوب، منشورات المجمع الثقافي، الامارات العربية المتحدة، ابوظبي، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٩.

(٢) احد اشهر قادة المغول المقربين من هولاكو رغم كبر سنه الا انه ناب عنه في غزو بغداد وتم قتله

على يد جمال الدين آقوش في معركة عين جالوت التي انتصر فيها المماليك. للمزيد ينظر: ابو

شامة، ذيل الروضتين، ص ٢٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٦٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٦٧.

(٤) المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٥٣؛ ابن سباط، تاريخ، ص ٣٠٩؛ الصياد، تاريخ المغول، ص ٢٠٦.

(٥) ابن شداد، الروض الزاهر، ص ٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٨٩؛ ابن

سباط، تاريخ، ج ١، ص ٣٩٠.

ونقلت البشائر بالنصر الى دمشق والقاهرة، وتهيأت دمشق لدخول القائد المنتصر قطز، كملك متوج على عرش سلاطين المماليك، الا ان المنية وافته على يد قائد جيشه وشريكه في النصر الظاهر بيبرس، الذي دبر مؤامرة قتله، ليحتل مكانه على عرش السلطنة المملوكية^(١)، حسب نظرية المماليك، الحكم لمن غلب،^(٢) الذي اصبح شعاراً وطريقة في تولي السلاطين الحكم في هذه الدواة الناشئة، وليتحدد مصيرها ويتولى حكمها عدد من سلاطين المماليك، كما جرت العادة لديهم انهم يبادروا بتولية السلطان الجديد العرش قبل الشروع بدفن السلطان الراحل.^(٣)

نستشف مما سبق ان الظروف السياسية خدمت هذه الدولة لتظهر وتتمو وتصبح الحامية المدافعة عن الاسلام ضد المغول، ويصبح شعار حكامها في توليهم للحكم، وكما أطلق عليها المؤرخون، نظرية الحكم لمن غلب.

(١) ابن شداد، الروض الزاهر، ص ٤٧٢؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٨٨؛ البرزالي، المقتفي، ج ١،

ص ١٢٢؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٢١٢.

(٢) شافع بن علي، حُسن المناقب السنية، ص ٣٨.

(٣) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٢٢.

المبحث الثاني

الملاح السياسية:

من المفيد القاء نظرة على الأوضاع السياسية والدينية، لكي نتوصل إلى المكانة التي حظي بها الفقهاء والمتصوفة ذلك العصر وهو ما يخص موضوع بحثنا.

إذ أننا بهذه النظرة نطالع بادئ ذي بدء أوضاع العالم الإسلامي، لنراه كأنه عقد انفرط أو صخرة تفتت وتناثرت اجزاءها، فبعد انتهاء الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وانهارها اضمحلت هيبة الخلافة^(١) وتلاشت سلطة الخلفاء، وتأثرت أوضاع دمشق تأثراً ملحوظاً بأوضاع بغداد، وكان مصير الشام ومصر والحجاز مختلفاً، إذ ترابطت هذه الاقطار في نظام سياسي قرابة الثلاثة قرون، فقد تسلم المماليك الحكم، بعد الايوبيين وبعد انتصارهم على المغول، جمعوا بين حلب والجزيرة، والقاهرة إلى الحجاز، وتوالى على الحكم ما بين المماليك البحرية، والمماليك البرجية (٦٤٨هـ/١٢٥٠م - ٩٢٢هـ/١٥١٧م)^(٢)، ثلاثة وخمسون سلطاناً عاد

(١) ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٣٣؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا ت(٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، ايران، ٤١٤م، ص٣٣٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٢٠٠؛ رانيسمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تعريب: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، مج٣، ق٢، ص٥٢٠.

(٢) سمووا بهذا الاسم نسبة إلى سكناهم في ابراج قلعة الجبل وتمييزاً عن المماليك البحرية وعرفوا بالجراكسة وسمو به نسبة إلى التاجر جركس الذي جلب المملوك برقوق مؤسس الدولة الجركسية وأول ملوكها الذين عرفوا بالمماليك البحرية. ينظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٠٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ص٣٣؛ محمد كرد، خطط الشام، ج٢، ص١٥٣.

بعضهم إلى الحكم مرتين أو ثلاث مرات، بينما حكم بعضهم أشهر معدودات، وكان أبرزهم واطولهم عهداً الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/١٢٦٠م - ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)^(١) والسلطان قلاوون الالفي (٦٧٨هـ/١٢٧٩م - ٦٩٠هـ/١٢٩٠م) وابنه محمد الناصر الذي امتد ما بين (٦٩٣هـ/١٢٩٣م - ٧٤١هـ/١٣٤٠م) إلى ان سقطت سلالته ببد الجراكسة سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م).^(٢)

ولو تتبعنا تلك الفترة التي حكمت فيها هذه الدولة، لوجدنا فيه عدة مفاصل وتحولات شهدتها مصر والشام، وبالذات مدينة دمشق، فبعد هزيمة النتر سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) في حمص، وبداية دخول دمشق تحت سلطنة الظاهر بيبرس، شهدت مصر سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) قدوم اول خليفة عباسي اليها،^(٣) وفوض للسلطان الظاهر سائر اعماله وكتب تقليده له بذلك،^(٤) فكان ذلك من الاحداث المهمة التي لا بد من الوقوف عليها بعد ذلك

(١) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٤٨؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٥٢٠-٥٢٢.

(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٨؛ ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٦١؛ مصطفى، شاعر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ٨؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٢٧.

(٣) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٢٩٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٦؛ ابن سباط، تاريخ، ج ١، ص ٤٠١؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤١١.

(٤) ابن أبيك، الدرر الزكية، ص ٨١؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٠٧؛ تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٦٦٤.

التفويض وجد السلطان الظاهر بيبرس السند الشرعي لاعتلائه على عرش الدولة المملوكية وصبغها بالصبغة الدينية التي كان يطمح لها من خلال احياء الخلافة العباسية في القاهرة وحصوله على ذلك التفويض،^(١) الا ان المصريين لم يروا في المماليك سوى طائفة من الغرباء الذين يحكمونهم بتفويض الخليفة العباسي، ولعلنا لا نبالغ بالقول : ان العداء والكراهية كان مزيجا من شعور المصريين تجاه تلك الطائفة، لكن الولاء الديني هو الواجهة التي استحصل عليها اولئك المماليك للحصول على ذلك التفويض بالحكم من الخليفة، بيد ان الخليفة نفسه لم يكن له من الحكم سوى الاسم،^(٢) وكان السلطان الظاهر بيبرس قد التقى بالخليفة العباسي والوفد وبايعه على انه من نسل بني العباس، وحضر معه الفقهاء والقضاة والامراء والاعيان، ولقب بلقب اخيه صاحب بغداد المستنصر بالله احمد بن الظاهر، على حد قول الياضي،^(٣) وهو اخو المستنصر خليفة بغداد باني المدرسة المستنصرية، وعم المستعصم اخر خلفاء بني العباس وكانت مبايعته من قبل الظاهر بيبرس بحضور القاضي ابن بنت الاعز والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وغيرهم من اعيان الدولة وامرائها.^(٤)

(١) الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص٢٩٨؛ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٤٠١؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص١٥؛ ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص٢٥٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١١.

(٢) ينظر: ابن الصيرفي، انباء الهصر، ص١-١٥.

(٣) مرآة الجنان، ج٤، ص١١٦.

(٤) ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص٢٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٢٦؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٤٠١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١١.

ان ما يهمننا هو حصول السلطان الظاهر على التقويض بالحكم وليرتبع على عرش الدولة المملوكية في مصر، وهو ما كان يصبو اليه،^(١) وليصبح اعظم ملوكها، وليحكم لفترة طويلة من الزمن امتدت الى وفاته.^(٢) اما دمشق فقد شهدت جملة من التغييرات الإدارية والتنظيمية الأخرى التي دانت لها كل البلاد، فعلى صعيد القضاء مثلاً، تولى ابن خلكان^(٣) بعد ان عزل عن قضاءها القاضي سني^(٤) الدولة،^(٥) وغيرها من التغييرات الأخرى.

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ١٠٠؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ١٨٠.

(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٦١؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٠٧.

(٣) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر الاربلي الشافعي، ولد بدمشق وسمع بها وتفقّه بالموصل ولقي كبار العلماء وبرع في الفضائل والآداب ولي قضاء الشام مدة ثم عزل عنها، ترك مصنفاً خالداً من احسن ما صنف في هذا المجال هو وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان توفي سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٤٧؛ ابن كثير، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٨٢٩.

(٤) ابو العباس احمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن الدمشقي ولد ونشأ بدمشق وتفقّه بها، واخذ الاصول عن السيف الأمدي، وافتي وانبأ في القضاء بدمشق عن ابيه وتولى التدريس بالمدرسة الاقبالية والجاروخية، ولما استولى هولاكو على البلاد القريبة سافر اليه طمعاً في قضاء دمشق وسافر معه القاضي ابن الزكي لكن الاخير خدعه لدريته وتولى القضاء بدلاً عنه فعاد ابن سني الدولة إلى دمشق وفي طريق العودة مرض فدخل بعلبك ومات فيها بعد يومين وكانت وفاته سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م). للمزيد عن ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢٠٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٩١.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ١٢٤؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ٢٥٤؛ الياضي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١١٥؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٣٤.

وما كادت الأمور تسكن في جهة حتى هاجت وساءت الأوضاع في جهة أخرى وكان أكبر خطر يتهدد مصر في ذلك الوقت هو اغارة المغول، الذين اتخذوا من بلاد فارس مقراً لهم، الا إن طائفة منهم اعتنقت الإسلام، وصاروا من اعداء التتر، فاتحد معهم الظاهر بيبرس ومع قيصر الروم وحاربهم محاربة شديدة استمرت نحو عشر سنوات إلى ان شنت شملهم سنة (٦٧١هـ / ١٢٧١م)^(١).

في سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) كانت وفاة السلطان بيبرس بعد ان بلغ اعلى درجات المجد وأخذ منزلة كبيرة بين جميع من جاوره من الملوك والأمراء،^(٢) وبعد وفاته حدثت منازعات بشأن تولي الحكم على عادة سلاطين المماليك بعد وفاة احد ملوكهم، فخلفه ولدان احدهما بعد الآخر، ولكن لم تطل مدتهما، إلى ان تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)،^(٣) الذي بقي الملك في بيته لأكثر من مائة عام، وبعد ان تم له الأمر، عقد هدنة مع الصليبيين لمدة عشر سنوات على ان يسمح للسفن المصرية بدخول الموانئ المسيحية بالشام، وان لا يقوموا بأي تحصين جديد في مدنهم، وكان عقد هذه الهدنة معهم من الحكمة إذ ان

(١) ابن أبيك، الدرة الزكية، ص ٢١٤-٢١٦؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٢٥-٣٤

؛ الاسكندري، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٦١؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٠٧.

(٣) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٢٢؛ الكرمي، نزهة الناظرين، ص ٢٠٤.

التتر كانوا يتأهبون للإغارة على مصر مرة أخرى^(١) ولكن جرى اختلافاً عظيماً بين التتر وطوائف الفرنج وغار بعضهم على بعض، وقتل بينهم جماعة كثيرة، واختلفت طوائف الكُرج^(٢)، في سائر الاطراف، وقتل من بين هذه الطوائف ما لا يحصى عدّه^(٣).

وفي السنة نفسها (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) جلس الامير سنقر الأشقر^(٤) بدمشق وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق، وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر الاشقر^(٥).

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٦٦-١٧٢؛ الاسكندري، تاريخ مصر، ص٢٦٠؛ زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج١، ص٣٢٧.

(٢) كلمة فارسية دخيلة لا اصل لها في العربية يسمونها أهلها كرة وأما قولهم في العربية الكرج إذا تخرج الخبز أي أصابه العفن وعلته الخضرة أي الفساد، والكرج مدينة تقع بين بلاد الروم وبلاد ارمنية من جهة وبين همذان وأصبهان في منتصف الطريق وأقرب إلى همذان وكانها مقتطعة من البلدين بهاجبال منيعة وقلاع حصينة والغالب على أهلها النصرانية. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦؛ شير، الالفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٣.

(٣) ابن أبيك، الدرة الزكية، ص٢٣٤؛ ابن سباط، تاريخ، ج١، ص٤٦٨.

(٤) سنقر بن عبد الله الصالحي العلائي من أكابر الأمراء تولى بعد ايدمر الظاهري نيابة الشام، وكان معظماً عند الملك الظاهر ولما تولى الملك المنصور قلاوون عصى سنقر الاشقر نائب الشام وتسلطن بدمشق، وملك قلعتها، ولقب بالكامل وخطب له على منابر دمشق وضرب الدراهم باسمه، توفي سنة (٦٩٢هـ/١٢٩٢م). للمزيد ينظر: الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص٨٥؛ ابن طولون، اعلام الورى بمن ولي نائباً على دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص٣٨-٤١.

(٥) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٠.

ولما جاءت سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨٢م) خرج الملك الكامل المنصور قلاوون في جيش عظيم هزم به التتر في موقعة^(١) فاصلة في حمص، أسكتتهم عن مصر لمدة سبعة عشر عاماً، وفي سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) تولى السلطان الناصر محمد الحكم بعد اخيه وعزل عنه سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)،^(٢) الا انه في سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) اعيد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطة مرة ثانية بعد ان تمكن فيها من التغلب على معظم المشاكل الداخلية والخارجية التي اعترضته.^(٣) لما دخلت سنة (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) طرق قازان^(٤) البلاد الشامية، وكانت ملحمة عظيمة

(١) وقعة حمص الكبرى من المواقع الفاصلة اتحد فيها التتر وكان عددهم ثمانين ألفاً منهم خمسون ألفاً من المغول والباقون من الكرج والأرمن والعجم وغيرهم، وكان يقودهم أبغا بن هولاكو وأخيه منكوتر الذين سارا ضد المماليك إلى حمص وتصدى الملك المنصور قلاوون لهم وكانت هزيمة التتر وانكسار جيشهم وفتحت البلاد للملك المنصور قلاوون واستشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء. ينظر: الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٣٧٩؛ ابوالفدا، المختصر، ج ٤، ص ٢٣؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٤١-٢٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٥٧٤-٥٧٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٩٦.

(٢) ابن أبيك، الدر الفاخر، تحقيق: هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م، ج ٩، ص ٦، ص ١٥٦؛ ابو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٤٨.

(٣) بيبس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٨-١١٠؛ اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص ٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص ٢٥؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ٤، ص ٦٥.

(٤) قازان او غازان ابن ارغون بن ابغا بن هولاكو بن تولي خان بن جنكيز خان احد ملوك التتر ملك خراسان والعراق وفارس والروم وأذربيجان والجزيرة، وكان يتكلم الفارسية ويفهم اللسان العربي، واسلم بعد سنة من جلوسه ونشر الإسلام في التتر، توفي سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) عندما كان عائداً من وقعة حلب وقيل ان زوجته هميا خاتون قامت بتسميمه وكانت من قبل زوجة ابيه، وفي

ظفر بها غازان، ودخل دمشق وخطب له بها، واستمرت الخطبة اياماً، وحصل لأهل الشام من القتل والسبي والتعذيب ما لا يوصف، بسبب ما صودروا به من الاملاك، وهلك الخلق من الجوع والتعذيب بسبب هذه الواقعة، وتوفي فيها من شيوخ الحديث بدمشق والجبل اكثر من مائة نَفْس،^(١) وقد تحدث المؤرخون عنها وسماها العرب وقعة الخازندار.^(٢)

وما كادت تأتي سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) حتى سكنت أوضاع دمشق بعد هزيمة المغول في موقعة شقحب^(٣)، وتولى أمرها نائب عالي الهمة هو

ذلك حكاية، وحمل إلى تربته بظاهر تبريز بمكان سماه الشام دفن به. ينظر: ابن أبيك، الدر الفاخر، ج٩، ص١١٢؛ القرمانلي، أخبار الدول، ج٢، ص٤٩٦؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١-٣.

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٧٧٥؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٤.

(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص١١١؛ تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٤٦٢؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٩٣؛ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص٢٨.

(٣) حدثت هذه الموقعة بين التتر والمسلمين إنكسر فيها التتر وكانوا نحو اربعة الاف وقتل منهم خلق كثير وأسر مقدمهم انتصر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون، وانهزام غازان وقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم وعرفت هذه الموقعة بمرج الصفر. ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٣١؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤١٣؛ محمد، صبحي عبد المنعم، المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٤؛ العملة، عبد الجبار احمد، نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز الحسامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٠م، ص١٤٩.

الأمير تتكز^(١) الحسامي الذي تمكن، وبمساعدة وتقويض من الملك الناصر الذي بسط نفوذه وسلطته على مصر والشام بقوة وحزم بعد ان اعيد إلى الحكم الذي عزل عنه مرة أخرى من سنة (٧٠٨هـ/١٣١٠م) واعيد اليه سنة (٧٠٩هـ/١٣١١م)^(٢)، مما مكن تتكز بهذا التقويض المطلق بحكم الشام^(٣)، بأن يقوم بحملة إصلاحات واسعة في جميع نواحي الحياة، بحيث لم يكن له هم في مأكّل أو مشرب ولا ملبس، بل في تأمين الرعايا فأمنت السبل في ايامه ورخصت الاسعار، ولم يكن احد في ولايته يتمكن من ظلم أحد، ولو كان كافراً، حتى ان السلطان الناصر بالغ في تعظيمه لذلك، وتقدم امره إلى

(١) الأمير الكبير المهيب العادل ابو سعيد سيف الدين الاشرفي الناصري، نائب السلطة بدمشق، جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الملك الأشرف ثم صار إلى الناصر فجعله أمير عسكره قبل ان يعزل نفسه ويفر إلى الكرك أصبح نائباً على الشام وقام بفتح ملطية ورجع بأسرى وغنائم ومال كثير فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب، ومكث في نيابتها إلى وفاته وعمر الجامع المعروف باسمه وانشأ إلى جانبه تربة ودار وحمام وعمر بصفد بيمارستان وفي آخر ايامه تغير السلطان عليه فتم القبض عليه واعتقاله وسجنه وقتل سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م). للمزيد عنه ينظر: الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٨٥؛ الصفي، اعيان العصر، ج٢، ص١١٦-١٣٨ وأمرء دمشق في الإسلام، ط٢، دارالكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤١؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج٢، ص٦٠١-٦٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١١٧؛ ابن طولون، اعلام الورى، ص٣٨-٤١.

(٢) ابن أبيك، الدر الفاخر، ج٩، ص٦، ص١٥٦؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٩؛ حسن، الناصر محمد بن قلاوون، ص٤٠؛ قاسم عصر سلاطين المماليك، ص١٣٠.

(٣) المقرئ، المقفى الكبير، ج٢، ص٦١٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٤٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٤٦.

جميع النواب بالبلاد الشامية ان يكتبوه بجميع ما يكتبون به السلطان،^(١) فبعد ان كان تتكز مملوكاً للملك الناصر رقيه في المراتب، و ولاه نيابة دمشق التي تمكن منها،^(٢) وقيل ان السلطان الناصر لا يفعل شيئاً الا بعد مشاورته ولم يكن يكتب إلى السلطان في شيء فيرده الا نادراً،^(٣) وقد حظي عنده بهذه المكانة العالية بعد النجاح الكبير الذي احرزه في حملته الشهيرة على ملطية^(٤) سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م)^(٥) ولم يزل يترقى في المراتب حتى كتب له لقب «المقر الشريف»^(٦)،

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢١.

(٢) الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج ٢، ص ٢٣٢؛ ابن طولون، اعلام الوري، ج ٢، ص ٢١١؛ العملة، نيابة دمشق، ص ١١٨.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٠؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ١، ص ٢٥٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢١؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص ٣٨؛ العملة، نيابة دمشق، ص ١٢١.

(٤) ملطية: يفتح اوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، وهي بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام فتحها المسلمين سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م) وبنو فيها السور والجامع و سكن الناس بها ثم اخذها منهم الروم وقاموا بهدم السور والجامع في عهد قسطنطين الرابع. ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٨١؛ البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥٥؛ ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٥.

(٥) الذهبي، ذيل العبر، ج ٤، ص ٤٠؛ ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٤٥.

(٦) بفتح الميم والقفاف، لقب من الالقاب المملوكية يختص بكبار الأمراء واعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجري مجراهم كناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكاتب الدست. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ٤٩٤-٤٩٥؛ دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٤٣.

و«الاتابكي»^(١) و«الزاهدي»^(٢) و«العابدي»^(٣)، وغيرها من النعوت، وهذا مالم يحصل لغيره من النواب،^(٤) ويبدو ان ذلك ما جعل الناس يعيشون في ولايته أمنين على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأولادهم فضلاً عن أخلاقه وصفاته وحزمه، فقد كان مثابراً على الحق ونصرة الشرع الا انه سريع الغضب، شديد الحدة، ولا يقدر احد على مراجعته مهابةً له، وإذا غضب على أحد لايزال مغضوباً عليه إلى ان يموت، وكان يعظم أهل العلم، ليس عنده مكر ودهاء ولا يصبر على الاذى وكان ذا سطوة وهيبة وزعامة، ومحباً لإيصال الحق إلى اهله بغير سؤال او ذلة،^(٥) لعل ذلك يعود إلى المدة الطويلة

(١) لقب تركي من القاب ارباب الوظائف ويتألف من مقطعين ((اِطا اوتات)) ومعناه الاب الكبير والشيخ المحترم و((بك)) تعني الوالد الأمير ويلقب به أمير الجيوش، كالنائب والكافل، وهو يرجع إلى الاتابكيات التي كانت من بقايا عادات الترك التي احيها السلاجقة، ووضعت الياء فيه للزيادة في المبالغة في وصف الشيء. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ٥؛ الباشا، الالقاب الإسلامية، ص ١٢٢؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والالقب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٧؛ الشهابي، معجم القاب السلاطين، ص ١٦.

(٢) الزاهد في اللغة خلاف الراغب، والمراد به من اعرض عن الدنيا ولم يلتفت اليها وهو من القاب الصوفية واهل الصلاح كذلك وضعت الياء للمبالغة. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ١٤؛ الباشا، الالقاب الإسلامية، ص ٣٠٩؛ الخطيب، معجم المصطلحات التاريخية، ص ٢١٧.

(٣) من القاب الصوفية ورجال الدين واهل الصلاح و العبادة وقد يستعمل لغيرهم من ارباب السيوف والاقلام لاتصافه بنفس الصفات. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ١٩؛ الباشا، الالقاب الإسلامية، ص ٣٨٧؛ الشرتوني، سعيد الخوري، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، مكتبة المرعشلي، قم، ايران، د ٢٠، ج ٢، ص ٧٣٦.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٠-٢٦١ وتحفة ذوي الالباب، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ١٤٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ١، ص ١٦٩-١٧١.

التي قضاها مع الملك الناصر في النيابة والتي استمرت حتى وفاته سنة (٧٤١هـ/١٣٤١م) والتي لم تتفق لغيره من سلاطين المماليك من اسلافه الذين سبقوه.^(١)

من الظاهر ان الصلاحيات الواسعة التي حصل عليها الأمير تتكز الحسامي والتي لم يحصل عليها نائب سابق لدمشق او نيابات الشام وغيرها، والتي مكنته عن طريق العمل المتواصل والاخلاص والتفاني للسلطان الناصر في خدمته وخدمة دولته ان يصل إلى المرتبة العالية التي وصلها في بلاطه واطلاق يده في ادارة شؤونها العامة فضلا عن خضوع النواب له وتقديم الولاء والطاعة لعله الدليل على ما وصله من تلك المرتبة في بلاط الناصر والتي مكنها له، كما يمكننا القول ان بلاد الشام اصبحت في نيابة تتكز ولاية مستقلة بوضعها الإداري حيث حكم الاخير بسلطة مطلقة وصلاحيات واسعة مكنته من ذلك الامان الذي حصل في ولايته.

ويبدو ان هذه الصورة الجميلة لحالة دمشق انتهت بموت صانعها تتكز، فلم تستقر الأمور كما وصفت، فقد قامت وشاية على نائبها تتكز لدى السلطان الناصر وقام باعتقاله ثم بعد ذلك عزله وثم الافراج عنه ومن ثم قتله،^(٢) بعدها مات الملك الناصر بأشهر،^(٣) وساءت احوال البلاد فقد توالى على الحكم حكام ضعفاء، لم تكن مدة حكم كل منهم كبيرة، بحيث لم يتمكنوا من السيطرة على أوضاع البلاد، وانتشر مرض الطاعون في العالم

(١) ابن أبيك، الدر الفاخر، ج٩، ص١٦٧؛ اليوسفي، نزهة الناظر، ص٣٩.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٦٦؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٦١٩.

(٣) ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج٢، ص٦٧؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص١٤٧-١٤٨.

كله الذي راح يحصد الالاف الناس، وعدم الخبز وقلت الاقوات وغرقت البلاد في فوضى عارمة.^(١) إلى ان انتهت دولة المماليك البحرية على يد الجراكسة.^(٢)

نستشف مما سبق يبدو ان انهيار حكم الخلافة العباسية في بغداد وسقوطها على ايدي المغول، ومقتل الخليفة العباسي، وافتقاد البلاد لحاكم شرعي، ولقوة عسكرية تدافع عن خطر المد التتري، فضلاً عن انتصار المماليك في عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ادى إلى نظرة اكبار لهؤلاء الحكام الجدد في مصر، والذين كان البعض يعدهم مغتصبون للعرش، ولعل ما فعلوه من الاعتراف بنسب الخليفة العباسي في مصر لإضفاء الشرعية الدينية على حكمهم والتي كانوا بأمس الحاجة اليها، ادى إلى الاستقرار السياسي في مصر والشام، وهو ما أكد ورسخ دولتهم الجديدة فلا غرو ان نرى الكثير من الاسس والتنظيمات الإدارية والسياسية والعسكرية التي اوجدوها، والتي حققت لهم هذا الاستقرار.

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٤٤.

(٢) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ٩٨؛ ابن أبيك، الدرة الزكية، ص ٦١.

المبحث الثالث

الملامح الدينية والثقافية:

شهدت مصر في عصر سلاطين المماليك نشاطاً دينياً وثقافياً ملحوظاً وخاصة بعد أن أصبحت قاعدة الخلافة العباسية، وقصدها المسلمين من كل حذب وصبوب^(١)، فبعد القضاء على المذهب الشيعي الذي كان قائماً في عهد الفاطميين من قبل الايوبيين، اقتفى أثرهم في ذلك السلطان الظاهر بيبرس فقد قام سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) بتحريم أي مذهب عدى المذاهب السنية الاربعة، بحيث كانت لا تقبل شهادة أي احد ولا يتم ترشيحه لأي وظيفة من وظائف الدولة الدينية والادارية في القضاء او التدريس، الا إذا كان احد اتباع المذاهب الاربعة السابقة الذكر،^(٢) و خير دليل على سعة النشاط الديني في ذلك العصر كثرت المنشآت الدينية التي بناها السلاطين المماليك وارباب الدولة واكابرها، وكذلك الأوقاف الدينية التي أوقفت عليها ليصرف عليها من ريعها للأعمار والرواتب للمدرسين،^(٣) ولعل خير ما يدل على تلك المنشآت في مصر وبلاد الشام من جوامع ومساجد ومدارس، مذكروه: خليل بن شاهين من أن عدد المساجد في هذا العصر كانت تقدر بأكثر من الف مسجد^(٤)، في حين يذكر المقرئزي انها

(١) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣؛ شاکر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣، ص٨٢.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٦٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩١.

(٣) ينظر: المقرئزي، السلوك، ج٤، ص٨٤.

(٤) ينظر: الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٢٨-٣١.

أكثر من مائة وثلاثون مسجداً،^(١) وقلَّ ما نجد أن أحد من السلاطين المماليك لم يؤسس له مسجد أو مدرسة أو يعيد بناء أو يكمل بناء إحدى هذه المدارس أو يقوم بتعميرها،^(٢) ولعلنا لا نبالغ لو قلنا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون جدد ما ينيف عن ثلاثون جامعاً ومسجداً^(٣)، حيث أن هذه المساجد منذ القدم لم تكن مساجد للصلاة والعبادة فقط بل يقصدها الكثيرون من الطلبة والمعلمون لطلب العلم^(٤)، فضلاً عن المدارس والابنية والعمائر الأخرى التي تهتم بنشر الثقافة والتعليم في هذا العصر وخير من يدلنا على ذلك النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس^(٥).

فعلى صعيد الحياة الثقافية، عنيت مصر والشام بالعلوم والمعارف والفنون والآداب، بعد أن أصبحت ملجأً لهؤلاء الذين خلدوا إلى حياة علمية خصيبة في ظل ملوك وأمراء هذه البلاد، الذين أرادوا بالتقرب من العلماء والقضاة والفقهاء، والذين كانوا في طليعة المثقفين تأكيد البعد الديني لدولتهم وكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلوم المرتبطة بهما ركيزة التعليم والثقافة في ظل الحضارة العربية الإسلامية^(٦).

(١) ينظر: الخطط المقرية، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٢) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦١، ص ١٧٩، ص ١٨٧.

(٣) ينظر: المقريري، السلوك، ج ٣، ص ٣١٨.

(٤) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٥٢؛ ينظر: متر الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣٣٢.

(٥) ينظر: ج ١، ص ٥٥-٣٦٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٦؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٦.

فضلاً عن نشاط حركة الترجمة وإنشاء المكتبات العامة والخاصة، وتأليف الكتب والموسوعات الضخمة في مختلف أنواع العلوم والفنون خاصة الدينية والتاريخية، ففي ميدان العلوم التاريخية، برع ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان^(١)، والحسن بن زفر الأربلي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)^(٢) والكاتب النصراني الصقاعي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)^(٣)، والقطب اليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)^(٤)، والمؤرخ

(١) مصنف خالد جليل في أسماء الرجال والأعيان من ذلك الزمان.

(٢) عز الدين أبو علي الحسن بن أحمد بن زفر بن مظفر الأربلي ولد بمدينة أربل وسافر من بلده إلى بغداد ومنها إلى تبريز لطلب العلم، واشتغل بالطب، قدم إلى دمشق وأقام به، وصار صوفياً بدويرة حميد إلى أن مات ودفن بمقبرة الباب الصغير ومن مؤلفاته تاريخ الأربلي الذي تحدث في جزء منه عن مدارس دمشق وجوامعها وحماماتها، وله مؤلف في السيرة النبوية في جزئين. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٧١؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٦٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٢٨.

(٣) فضل الله بن أبي الفخر كان كاتباً خبيراً في صناعته، كانت عنده فضيلة في دينه، جمع الانجيل الأربعة، انجيل متي، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، وجعلها في انجيل واحد باللسان العبراني، والسرياني، والقبطي، والرومي، وذكر في كل فصل ماقاله الآخر، وذكر اختلاف الحواريين، وبين عباراتهم، وكان يقول: إنه يحفظ التوراة والانجيل والمزامير، وقد كتب تاريخ المكين ابن العميد بخطه، عمل ذيلاً على تاريخ ابن خلكان سماه (تالي وفيات الأعيان). ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٣٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٣٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ١٥٣.

(٤) أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد البعلبكي الحنبلي، ولد بدمشق وسمع من والده، ومن الكثير من الشيوخ وأخذ الاجازات وحدث بها بدمشق وبعلبك وكان رجلاً كبير القدر، له مكانة في الدولة، وكان جميع النواب بالسلطنة يراعونه ويحترمونه اختصر كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وذيل عليه توفي في بعلبك وصلي عليه صلاة الغائب في جامع دمشق. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٥٨؛ الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص ٦٢٣ رقم ٩٣٢؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٥، ص ٤٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٧٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٨٢ رقم ١٠٣٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٣٢.

ابن الجزري (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) ^(١) وغيرهم، ففي علوم الحديث برز الشيخ ابو القاسم البرزالي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) الذي قيل: عنه انه محدث ^(٢) الشام ومصر ^(٣)، والحافظ المزي (ت ٧٤٢هـ/١٣٤٢م)، وعالم الشريعة والتاريخ والادب الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) الذي ألف العشرات من المصنفات اكثرها في التاريخ، ^(٤) ومن المهم الاشارة إلى بروز اعلام في الثقافة الإسلامية والذين تنوعت كتاباتهم ما بين التاريخ العام ^(٥)، والتراجم والسير ^(٦)، ونذكر ممن

^(١) هو شمس الدين محمد بن ابراهيم، ولد بدمشق وسمع من والده، ومن الشيوخ هو صاحب المؤلف الموسوعي في تاريخ دمشق المسمى بتاريخ ابن الجزري. للمزيد ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٢١٤؛ ابن رافع، الوفيات، ج ١، ص ٢٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥٣، ص ٤٥٣.

^(٢) المحدث: هو المشتغل بالحديث رواية وكتابة ومن عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والشيوخ والضابط لمواليدهم ووفياتهم ومراتبهم في العلوم ولو بلغوا الالف ومالهم من مروياتهم على اختلاف انواعها، والمقتدر على تلخيص ماتقف عليه الطباقي والاسانيد، والمقتصر على السماع والقراءة وطلب الاجازات من المشايخ لا يدعى محدثاً. ينظر: السبكي، معيد النعم، ص ٨٢؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص ٩٣.

^(٣) الذهبي، ذيول العبر، ج ٤، ص ١١٤؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٩٦؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٢٧.

^(٤) ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٧؛ محمد كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٤٦.

^(٥) لعل ابرز من كتب في التاريخ العام عن هذا العصر هو ابن أبيك الدوادري (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) وكتابه كنز الدرر وجامع الغرر المكون من عدة اجزاء، وقد خصص الجزء الثامن منه وسماه الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية عن عصر سلاطين المماليك.

^(٦) ابرز من كتب عن سيرة الملك الناصر ابن شداد في الروض الزاهر، واليوسفي في كتابه نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، وببيرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٦م): وكتابه مختار الأخبار عن تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك حتى سنة ٧٠٢هـ، وغيرهم من المؤلفين.

برع في كتابة الفقه الشافعي قاضي القضاة تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)^(١)، الذي ألف مصنفاً كبيراً من عشرة اجزاء في طبقات الفقهاء الشافعية، وصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وابن الوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)^(٢)، وغيرهم من الاعلام التي ماتزال كتبهم متداولة بين ايدينا إلى يومنا هذا.

مادمنّا نتحدث عن الأوضاع الدينية لآبد لنا من الإشارة إلى ان اهم ما يميز الحياة الدينية في هذا العصر هو انتشار ظاهرة التصوف انتشاراً واسعاً، الذي لقي تشجيعاً واسعاً من الأمراء والسلاطين المماليك،^(٣) والذي

(١) ابن قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي الانصاري احد شيوخ عصره ولد في قرية سبك من اعمال المنوفية بمصر وتوجه بفضل ابيه المذكور توجهاً علمياً فتلقى العلم على ابيه وغيره من العلماء واجيز بالفتيا ولم يبلغ العشرين من عمره ناب في القضاء عن ابيه اضافة إلى وظيفه الكاتب وجمع معهما التدريس في مدارس دمشق، تولى القضاء مكان ابيه وبقي فيه حتى اصيب بالطاعون وتوفي فيه سنة (٧٧١هـ/ ١٣٧٢م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣١، ص ١٦٦-١٩١؛ ابن العراقي، ذيل العبر، ج ٢، ص ٣٠٣-٣٠٥؛ ابن طولون، نقد الطالب لزغل المناصب، ص ٩.

(٢) عرف بابي الفوارس زين الدين عمرو بن المظفر احد فضلاء العصر وفقهائه وادباءه وشعرائه تفنن في العلوم وبرع فيا نشأ بحلب وتقه بها وفاق اقرانه واخذ عن البارزي وعن خطيب جبرين ونظم البهجة الوردية في خمسة الالاف بيت واختصر الفية ابن مالك والف في التاريخ وكتب عن الطاعون ومات فيه. ينظر: ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٥٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٩٥؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٥٠٦؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٣) ينظر : منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية، ص ٣٧-٤١.

ورث المماليك من اسلافهم الايوبيين الكثير من عاداتهم ليقولوا انهم ورثة بني أيوب،^(١) ومن هذه العادات نزعتهم الصوفية التي شجع عليها صلاح الدين الذي كان يقرب العلماء والصوفية، ويشجع حضور مجالسهم ويستمع إلى اقوالهم ويعتقد بهم اعتقاداً كبيراً ويغدق عليهم الكثير من الاموال التي يجمعها،^(٢) وسار المماليك على نهجه في دعمه للمؤسسات الصوفية التي اصبحت ملاذاً لكل طالب راحة إذ يجد فيها أنواع الطعام والشراب دون اي عناء، وفراراً من قسوة الحياة وضغوطها، وازداد عدد المتصوفة لاسيما بعد ازدياد عدد الخوانق والربط والزوايا إلى جانب الاحباس والأوقاف التي حبست وواقفت على هذه المؤسسات ودعمت نظامها ومكنتها من القيام برسالتها،^(٣) ونشأت في هذا العصر في مصر اشهر الطرق الصوفية منها الطريقة القنائية، وتنسب إلى عبد الرحيم القنائي (ت ٥٩٨هـ / ١١١٠م) والطريقة البدوية، او الاحمدية التي ينسب اتباعها إلى السيد احمد البدوي (ت ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) الذي عاش في طنطا، وعظم شأنه وانتسب اليه جمهور كبير من الناس ومنهم السلطان الظاهر بيبرس،^(٤) كما ظهرت في دسوق

(١) ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص ١٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص ٢٠٦؛ ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج ١، ص ٤٠٧.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٣٦، ص ٦٦؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٦.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦١؛ قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٩٣؛ الطويل، التصوف في مصر، ص ١٥١-١٥٢.

(٤) ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠٢-٦٠٥؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ٦٢-٦٦.

بالوجه البحري في مصر الطريقة الدسوقية، وينسب اتباعها إلى الشيخ ابراهيم الدسوقي (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) وهذه الطريقة عاصرت الطريقة الاحمدية المذكورة انفاً،^(١) كما وفدت إلى مصر طرق صوفية كثيرة معظمها من المغرب والأندلس والبلاد المجاورة امثال الطريقة القادرية، والرفاعية، الشاذلية، والمدينية، فضلاً عن مشايخ يتبعون لهذه الطرق ساروا على نهجها واصبح لهم اسم في مصر وبلاد الشام امثال ابي العباس المرسي، وابي القاسم القباري، وجلال الدين الرومي وغيرهم، وكلهم وجدوا في مصر تربة صالحة لنشر تعاليمهم الصوفية ومذاهبهم والذين لم يلبثوا ان انقسموا إلى فرق صوفية لكل فرقة شيخها وشعارها،^(٢) ومثلما ازداد التصوف في هذا العصر ونضج كثر مؤلفوه في المشرق والمغرب، كان جلال الدين السلامي الصميدي^(٣) وابي البركات الصوفي^(٤) والقونوي،

(١) ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦١١-٦١٢؛ المناوي، اللوكايب الدرية، ج ٢، ص ٥-١٥.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٧٨؛ زكي مبارك، التصوف، ص ٣٥؛ التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ٢٨٦.

(٣) ابو محمد رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن نعمة ولد بدمشق واخذ عن شيوخها وعني بالقراءات وقرأ ونسخ، رحل إلى القاهرة، وتفقّه على العلم العراقي ولازم ابن دقيق العيد والدمياطي، واخذ العربية عن البهاء ابن النحاس اعداً ببعض المدارس ودرس وكتب بخطه الكثير توفي (سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ٥٠؛ الجزري، غاية النهاية، ج ١، ص ٢٥٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) ابو اسحق ابراهيم بن ابي البركات بن ابي الفضل الحنبلي بن القرشية سمع من وكان احد اعيان الصوفية، تولى مشيخة الخانقاه الاسدية وإمام تربة بني صصري الحنبلي وكان ذا حرمة وجلالة بين

والقحفازي، والزواوي^(١)، والجعبري وغيرهم، من ابرز المتصوفة في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي ولايفوتنا ان نذكر ان ابن عربي^(٢) الحاتمي من الرواد البارزين الذين برعوا في هذا المجال في الأندلس^(٣) والذي اقتدى

القادرية والسلاوية حلو المذاكرة وروى عنه الشيخ البرزالي وتوفي بعده سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م). ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص١١٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٠.

(١) هو جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان بن سومر المعمر بقي في القضاء ثلاثين عاما عاش في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عهده ابطلت الخمر وقلت الفواحش وابطلت المكوس توفي سنة (٧١٧هـ/١٣١٨م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص٤٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) ابو عبد الله محي الدين محمد بن علي الحاتمي العربي الأندلسي ولد بمرسية، وقرأ القراءات بالأندلس، له مصنفات وافرة ومؤلفات زخرة جلها في التصوف (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م). ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٩؛ طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج١، ص٢١٤؛ جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، ص٢٩١-٣٠٣؛ الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٠٠.

(٣) الاسم العربي لشبه الجزيرة الايبيرية التي فتحها العرب المسلمين سنة (٩٢هـ/٧١٠م) بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد. للمزيد ينظر: البلاذري، ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٢٣؛ ابن القوطية، ابو بكر بن عمر بن عبد العزيز (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، ص٢٧-٣٣؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط٢، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٩-١٣؛ ابن عذارى، ابو عبد الملك المراكشي (ت٧١٢هـ/١٣١٣م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م، ج٢، ص١؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، صفة جزيرة الأندلس، ص٤-٩.

بعقيدته في التصوف من بعده البعض من اهل دمشق،^(١) ولاغرو ان نذكر ان الكتابة ازدهرت وتنوعت التأليف من قبل المؤرخين، لعلهم بذلك ارادوا إصلاح ما فسد التتر وما جلبوه من كوارث وما أحدثوه من خلل في مكتبات بغداد التي اغرقوها في دجلة واحرقوا بعضها الآخر والخوف على ضياع التراث العربي الإسلامي الذي كانت تتجسد معانيه وافكاره في معظم تلك الكتب، ويبدو ان ذلك ما دعى إلى اقبال المصريين على هذا اللون الجديد من ألوان الحياة الدينية،^(٢) عندما شاهدوا السلاطين يتقربون إلى الله ببناء الخانقوات والزوايا والربط، التي كانت ذات طابع ديني، لذا رصدوا لها الأوقاف الكثيرة ورتبوا بها الارزاق الوفيرة لهؤلاء الصوفية ومشايخهم وفي خدمة هذه المؤسسات.^(٣)

اما عامة الشعب في مصر وبلاد الشام فقد امنوا بالصوفية فقصدوهم في اذكارهم، او لقضاء حوائجهم حتى وصفوا بانهم ملوك الآخرة الذين يدخلون الجنة قبل الاغنياء .^(٤)

مما لاشك فيه ان هذه المبالغات من الاعتقاد بهؤلاء الصوفية من قبل السلاطين والعامة كان له اثاره الخطيرة على المجتمعين الشامي والمصري، فقد جعلت من هذا العصر عناصر تسود فيها تأليه هؤلاء الأولياء والصالحين، ولعلنا لانبالغ لو قلنا ان هؤلاء كانوا يدفنون في مدافن خاصة

(١) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٤١؛ الياضي، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٩.

(٢) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٤١-٤٢.

(٣) ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٢٢.

(٤) ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٠٢-٣٠٣.

عرفت بمدافن المؤلهين،^(١) على أن لا يفوتنا نذكر ان الغزو المغولي جلب معه من تأثيرات هذه العناصر كأخبار تأليه اجدادهم وملوكهم فذكروا ان قبر جنكيز خان وضعوا فوقه قبه وكانوا يعبدونه.^(٢)

وفي دمشق فقد كانت المدّة التي تولى فيها تتكز نيابة الشام وإصلاحاته في هذا المجال من اعادة أعمار المنشآت العلمية كالمدارس والمساجد، واحياء ما اندثر من الأوقاف التي اشتهرت بها دمشق الأثر الكبير الذي خلفه من طمأنينة وأمان للسكان،^(٣) وكان هذا الأعمار سبباً حيوياً لتنشيط البيئة العلمية التي هي البيئة الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر لما تضمنته من مدرسين اكفاء وطلبة محبين للعلم، ولعل انشاء السلطان الناصر المدرسة الناصرية^(٤)، لهو خير دليل على الأعمار واهتمام المماليك بإنشاء المدارس، مما شجع النواب على الاهتمام بها في سائر الولايات التابعة له، وكان لدمشق الشام النصيب الاكبر في ذلك الاهتمام، إذ يعود تاريخ انشاء المدارس في الشام إلى الايوبيين الذين اسهموا في بناء عدد كبير منها، تبعهم المماليك في ذلك، لعل ذلك كان عائداً إلى رغبتهم

(١) ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢٠٣.

(٢) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢١٨.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٦٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥٢٢؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٢٣٣.

(٤) المدرسة التي أنشأها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري في القاهرة وتقع بين القصرين وكانت ارضها قبلاً تعرف بدار الرشيد فاشترى كتبغا الارض وبنى المدرسة مكانها وكملت عمارتها، في عهد السلطان الناصر سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م). للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٦٥؛ ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٥٧.

في نشر المذهب السني في انحاء مصر وبلاد الشام، فقد عرفت دمشق أنواعاً متعددة من المدارس، تركز على تدريس المذاهب الاربعة كل مدرسة مخصصة لطائفة معينة،^(١) فضلاً عن المدارس المشتركة التي كانت تدرس اكثر من مذهب، ومدارس تعليم القرآن الكريم ومدارس تدريس الحديث النبوي الشريف، وكان لهذه المدارس اساليب معينة متبعة مع طلبتها في العصر المملوكي قد تختلف عن غيرها من البلاد الأخرى، كطريقة تدرجهم في المراحل التعليمية، ومنحهم الاجازات العلمية، إلى جانب الاهتمام بالناحية التعليمية كان الاهتمام بالأمور المادية للطلبة فقد حرصوا على توفير الاحتياجات الضرورية والمستلزمات الدراسية من اجل التفرغ للدراسة وتحصيل العلم، فكان توفير المسكن والملبس والغذاء من ضروريات تلك المدارس، لذا كان للمدارس الدور الفعال في نشر الثقافة في هذا العصر من خلال نشر المذهب السني مما ترتب عليه انتشار علوم الشريعة والفقه بحسب المذاهب الاربعة، وذلك مما ينعش الحياة الدينية، فيذكر ابن طولون: "ان تاج الدين ابا القاسم عبد الغفار"^(٢)، شيخ المدرسة الصاحبية^(٣) بدمشق قد

(١) النعمي، الدارس، ص ٥٥-٣٦٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٢) عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي الشافعي، سمع من شيوخ عدة وكتب الكثير وتميز وافتى ودرس ونسخ من خط يده وخرج لشيوخ عده، ومن اشهر تلامذته ابن كثير، الذي قال عنه: سمع الكثير، وخرج لنفسه معجمان ثلاث مجلدات، ناب في وقت ما عن قاضي الحنابلة، وولي مشيخة الصاحبية بدمشق، توفي في مصر سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م). ينظر: الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٩٢؛

الصفدي، اعيان العصر، ج ٣، ص ١٠٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٣) تقع هذه المدرسة بسفح قاسيون بجبل الصالحية انشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت السلطان صلاح الدين واخيه السلطان العادل واوقفتها على الحنابلة وكانت اخر من ماتت من

نسخ بخطه حوالي خمسمائة مجلد^(١) هذا ان دل على شيء فهو يدل على نشاط الحركة العلمية، من خلال نشر الكتب بين الناس فضلاً عن المجانية لتلك المدارس التي رفعت مستوى التعليم والثقافة في ذلك العصر.

جاء الاهتمام بإنشاء الجوامع فضلاً عن انشاء المدارس من ضمن اهتمام المماليك في هذا العصر، والتي عدت أولى المؤسسات التعليمية فضلاً عن مركزها الديني واشهرها جامع كريم الدين^(٢) وجامع شمس الدين بن غبريال^(٣)، وجامع تنكز^(٤) والتي عرفت باسماء بانيها،^(٥) والتي كان للدولة

نسل بني ايوب وعمرها ثمانين عاماً ودفنت بدمشق. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣،

ص ٣٤٧؛ النعيمي، الدارس، ص ٣٦٨؛ ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٤٩.

(١) القلائد الجوهريّة، ص ٢٤٥.

(٢) ويعرف بالجامع الكريمي، بناه القاضي كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله وكيل الخالص السلطاني المتوفى

سنة (١٣٢٤هـ/١٣٢٤م) ويقع هذا الجامع بالقبيبات بالقرب من دمشق ويعرف ايضا بجامع الدقاق. ينظر:

النعيمي، الدارس، ص ٥٥٥؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٢١.

(٣) ويعرف ايضا بجامع الملاح لوقوعه في محلة الملاح او محلة القعاظلة خارج باب دمشق الشرقي، انشاء

الصاحب شمس الدين غبريال بن سعد ناظر الدواوين وحضر افتتاحه الصاحب المذكور وجماعة من القضاة

والاعيان. ينظر: النعيمي، الدارس، ص ٥٥٨؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) الجامع الذي انشاءه نائب الشام تنكز وعرف باسمه ويقع بالقرب من باب النصر باتجاه حكر السماق

على نهر بانياس بدمشق، وابتدأ بعمارته سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) واستمر ببناءه مدة سنة كاملة وجعل فيه

ماذنة من اجمل ماذن العهد المملوكي، ولما اكتمل ببناءه حضر افتتاحه نائب السلطان والقضاة والاعيان

وكان يوما مشهودا. ينظر: ابن بن عبد الهادي، نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق بدمشق، نشر حبيب

الزيات، د ١٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، طلس، ذيل ثمار المقاصد، ص ٢٠٢.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٤٨.

الفاطمية الفضل في البدء بتأسيسها كالجامع الازهر^(١)، وغيره واقتفى اثرهم صلاح الدين في ذلك، حيث اهتم بتشييد الزوايا^(٢) والخوانق والربط^(٣) للصوفية التي اصبحت بمثابة المراكز الدينية.^(٤)

لعل ذلك يعود إلى ان هذا الاهتمام بهذه المؤسسات المراكز الدينية والعلمية إلى شحذ الهمم والتعبئة الاجتماعية من خلالها لدعوتهم إلى الجهاد

(١) الجامع الذي بناه القائد جوهر الصقلي بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وشرع في بنائه سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م) واتم بنائه سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) ليكون إلى جنب العاصمة الجديدة القاهرة رمزا للدولة الفاطمية ومنبرا للإمامة الجديدة ويقع داخل مدينة القاهرة بالقرب من القصر الشرقي. ينظر: ابن أبيك، كنز الدرر، ص ١٢١؛ احمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢١٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦١٦؛ عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية، دار النشر الحديث، القاهرة، د.ت، ص ٣٠.

(٢) زاوية البيت ركنه وكانت تطلق بادیء الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم اطلقت على المصلى او المسجد الصغير الذي يتولى امره احد الرجال المشهورين والمعروفين بالتقوى والصلاح وقد يوجد بها محراب ولكنه لا يوجد بها منبر وقد تطورت الزاوية حتى ارتبطت بالصوفية واصبحت مرادفة لكلمة الخانقاه والرباط. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٩، ص ٨٣-٨٤؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٢٣؛ دهمان، معجم الالفاظ، ص ٨٥.

(٣) جمع كلمة رباط وهي من المراقبة أي ملازمة ثغر العدو واصلها ان يربط كل من الفريقين خيله حتى صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل انفسها رباطا هذا من حيث المعنى اللغوي، الا ان الكلمة تطورت في العصور الإسلامية المتأخرة ولم تعد تعني ماتعنيه في صدر الإسلام إذ تحولت من مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد إلى ماتعنيه كلمة الزوايا والخانقاه بالنسبة لاصحاب الطرق الصوفية. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٧٣، ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ١٩١، حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٠٥؛ العملة، نيابة دمشق، ص ٢٩٠.

المقدس لتحرير الاراضي الإسلامية من الصليبيين واحتلالهم لهذه الاراضي والحروب التي دامت لسنوات طويلة، والاساس الذي قامت عليه دولتهم من خلال استمالة قلوب العامة لفكرة الجهاد المقدس والقضاء على الصليبيين، وبذلك يمكننا القول ان عدة عوامل جعلت من الحركة العلمية نشطة، والتي بالطبع لم تكن فاعلة في عهد الايوبيين على عكسه في الدولة الفاطمية، ولكن طراً عليها هذا التغيير الكبير نتيجة لهذه العوامل المتعددة التي أثرت عليها ورغم ان مصر والشام استطاعت ان تكون لنفسها طابعاً ثقافياً مميزاً خاصاً، لكنها تأثرت بمن جاورها من البلاد الإسلامية الأخرى، ومن بين ما تأثرت به من الافكار، فكرة تأليه الولي عند المغول كما ذكرنا، وهو اشارة إلى الاعتقاد به، وقد نقلوا هذه الثقافات إلى المصريين بحكم الاختلاط بهم،^(١) كون المغول امة وافدة إلى مصر، بعد ان اعتنقوا الإسلام.^(٢)

ولو جال بخاطرنا ان نحصر العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة الثقافية باطار محدد وحسب مالدنيا من معطيات تاريخية لأمكننا القول: ان غزو التتر للبلاد الإسلامية، وقتل العلماء واتلاف الكتب العلمية في بغداد، ووفود العلماء والادباء والفقهاء والشعراء إلى مصر والشام كل يحمل اتجاه فكري معين ومذهب اختص به، فضلاً عن زوال الخلافة العباسية، هناك اجتمعت كلها لتمكن مصر والشام من هذه النهضة التي حدثت بها في عصر سلاطين المماليك والذين اقاموا وزناً كبيراً للعلماء والفقهاء وبجلوهم وقدموهم في كل الأمور واستأثروهم على انفسهم

(١) ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢١٨.

(٢) ينظر: ابو الفدا، المختصر، ج٤، ص٢٣.

واستشاروهم في أمور الدولة العليا والدنيا، لما لهؤلاء العلماء من صلات و سلطان على نفوس العامة مستغلين مشاعرهم بواجبهم وتنافسهم في ادائه فضلاً عن انصرافهم إلى العناية باللغة والفقه والحديث، لذا نجد الكثير من العلماء الذين برزوا في هذا العصر وخلفوا الكثير من المؤلفات والنتاجات العلمية وكل ما هو ناضج ومفيد.

ومن الظاهر وبكلمة موجزة يمكننا القول :عن عصر سلاطين المماليك، بالرغم من انه عصر سادت فيه الصراعات على السلطة، وكانت فيه ثورات داخلية نتيجة سوء الأوضاع العامة على الرغم من الاستقرار في بعض فتراته، كما زاد فيه الصراع بين الفقهاء والمتصوفة على الامتيازات والمكاسب، وانه عصر طغى فيه التصوف وانتشر وكان الاعتماد على مكاسبه من اهم مظاهره، وكثر الاعتقاد بالأولياء والصالحين، وبرزت عناصر تأليه الولي بشكل واضح فيه، بيد اننا يجب ان لا ننكر اشراقه من الناحية الثقافية وانه عصر ابداع ثقافي ونتاجات علمية، فهو عصر: نقل متقن متزن، وتقليد واعٍ، وجمع في تحفظ، وتحقيق وتصحيح، واختصار، وتهذيب، بل إجتهد احياناً.

الفصل الثاني

مكانة الفقهاء لدى سلاطين المماليك ولدى المجتمع في مصر وبلاد الشام

المبحث الاول : مكانة الفقهاء لدى سلاطين المماليك

المبحث الثاني :مكانة الفقهاء لدى المجتمع في مصر وبلاد الشام

المبحث الثالث :مكانة المتصوفة لدى سلاطين المماليك

المبحث الرابع :مكانة المتصوفة لدى المجتمع في مصر وبلاد الشام

المبحث الاول

مكانة الفقهاء لدى سلاطين المماليك

كي نتعرف على مكانة الفقهاء عند سلاطين المماليك علينا ان نجيب على عدة تساؤلات توضح بصورة دقيقة دور الفقهاء في ذلك العصر؟ لنصل إلى مكانتهم، واسباب ما استحصلوه من تلك المكانة؟

كان الفقه عند اهل الصدر الأول فقهاً شاملاً للدين كله غير مختص بجانب منه، وكان الفقيه عندهم يُعنى بالأصول قبل الفروع، ويُعنى بأعمال القلوب قبل عمل الابدان، لذلك سُمى ابو حنيفة العقيدة بالفقه الاكبر،^(١) وفي ذلك يقول الحسن البصري: " إنما الفقيه المعرض عن الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع، الكاف عن اعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، والناصح لجماعتهم " ^(٢).

يصف ابن عابدين الفقهاء بقوله: " المراد بالفقهاء العالمون بأحكام الله اعتقاداً أو عملاً، لأن تسمية علم الفروع فقهاً حادثاً " ^(٣)، أي جديدة.

(١) التهانوي، محمد علي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٠. إن ابا حنيفة عندما سُئل عنه الفقه قال: "هو معرفة النفس ما لها وما عليها".

(٢) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٤٠.

(٣) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ/١٨٧٥م)، حاشية ابن عابدين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٢٧٢هـ، ج ١، ص ٢٦، ص ٣٣.

ولعل خير قول يحدد صفات الفقيه ما ذكره ابن طولون أنه: " ينبغي للعالم الفقيه الكف عن صغائر المعاصي وكبائرها... صيانة لمنصب العلم...." (١).

اما الأمر الثاني: الذي يجب ان يلتزم به العالم هو أن يكون ملتزماً بما يدعوا اليه هذا العلم، ويكون عادلاً مبتعداً عن اهواء الشخصية، (٢) لذلك تبوء العلماء والفقهاء مكانة سامية، ومنزلة رفيعة في التاريخ الإسلامي، لانهم يتكلمون باسم العلم الخالص، الذي ينفع ولا يضر، ويُقيم العدل، ويحقق المصالح.

ويعد هؤلاء العلماء قوام الدين وقوامه، وحراس الشرع وحماته، فهم المدافعون عن حقوق الناس، فقد كانت العلوم الدينية هي الاساس الذي يقوم عليه التعلم وذلك العصر، وكان أولئك نفر من العلماء والفقهاء، مرتبطون بالمماليك بحكم دورهم في الحياة العامة، فقد كانوا هم من يسيرون الوظائف الديوانية والمالية والادارية والقضائية، مما جعل بعض مصادر ذلك العصر تُطلق عليهم مصطلح اهل العمامة، (٣) وقد حرصت هذه الطائفة على تأكيد

(١) شمس الدين محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) نقد الطالب لزغل المناصب، تح: محمد احمد دهمان، مراجعة: نزار اباطة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٢٣.

(٢) الآجري، محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ / ٩٨٢م) اخلاق العلماء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٤٣.

(٣) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٠٥.

ولائها للسلاطين حيث كانوا معتادين على الصعود إلى القلعة^(١)، بداية كل شهر لتهنئة السلطان بالشهر الجديد،^(٢) وكم من الامثلة في المصادر المملوكية تؤكد على ذلك، حيث يعتبر الصعود للقلعة للتهنئة بتتويج السلطان أو بسبب استدعائه لهم لحضور مهام سلطانية من الامور الهامة عند سلاطين المماليك، هؤلاء العلماء والفقهاء، الذين اعتمد عليهم سلاطين المماليك كثيراً في اخذ الفتاوى منهم، وتتحدد بهذه الفتاوى التصرفات السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء السلاطين.^(٣)

ولا غنى عن الحديث عن مشاركة الفقهاء في تنصيب او عزل السلطان، حيث لا تتم هذه المراسيم الا بوجود هؤلاء، كما حدث عندما احيا الظاهر بيبرس الخلافة العباسية في القاهرة، وكذلك عند مبايعة الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، للسلطان الناصر احمد بن قلاوون

(١) قلعة الجبل: هي بناء عظيم مرتفع له سور ضخيم به عدة ابواب، وبداخل السور عدة قصور وحمامات، وأماكن لسكن الحاشية، وبها الطبقات السلطانية ودور الوزراء وخزانة بيت المال والاسطبلات السلطانية وغيرها من الابنية والمنشآت وهي دار الملك ومركز السلطنة، ولا يتم جلوس السلطات على العرش الا بدخوله قلعة الجبل هذه، ويذكر ابن ايبك ان هذه القلعة تعتبر ملاذاً آمناً للسلاطين أو عندما يتغير السلطان أو يستولي على عرشه لحين الدخول إلى هذه القلعة. للمزيد ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص ٣٣٣؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٣٠؛ كنز الدرر، ج٨، ص ٦٢.

(٢) ابن الصيرفي، ابناء العصر، ص ٩٠٨؛ ابن الياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤.

(٣) كنز الدرر، ج٨، ص ٦٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ١١٨٩ - ١١٩٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٣٣٨.

سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٧م)،^(١) وكذلك حضورهم عند تنصيب اي سلطان جديد،
مثلاً حدث سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٧م)،^(٢) عندما تم تنصيب الملك الاشرف
شعبان بن حسين، فكان وجود قضاة المذاهب الاربعة، ومعهم الخليفة من
شروط اكتمال تنصيب السلطان الجديد .^(٣)

لعل ذلك يبين ان للعلماء اثر سياسي كبير لدى السلاطين ومكانة عالية
ومتميزة، ولا بد من الاشارة إلى ان هذا التقريب من ضمن اهتمام السلاطين
بالمظهر الديني للدولة عموماً، وإذا كان هنالك بعض الحالات التي يقوم بها
الفقهاء أو القضاة بمعارضة السلاطين، فإنها تكون غالباً ضد النيل من
امتيازاتهم، أي الاعتراض يكون لأخذ حق يعتبرونه لهم، كمنعهم من التدريس
بمدرسة ما، أو اقالتهم من وظيفة معينة، فحين يقوم احد السلاطين بانتزاع
الأوقاف الدينية المخصصة للمدارس أو الجوامع أو البيمارستانات، وغيرها
من المنشآت الواقعة تحت مسؤولية أي منهم، أو يكون مسؤولاً عن ادارتها
ذلك العالم أو الفقيه أو القاضي، وتكون ذات طابع ديني أو خيري يعمد
هؤلاء إلى الاعتراض على ذلك التصرف وإظهار الاستياء وذلك ما يفهم من
كلام ابن اياس عن تلك الاعتراضات،^(٤) الا ان بعض الاعتراضات تكون
في بعض الاحيان فردية وتمثل شذوذاً عن الموقف العام لأبناء هذه الطائفة،
كما حصل من احد الشعراء، حين كتب قصيدة يهجو بها وكيل بيت المال

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٤٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٧-٣٤٠.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٨٣؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨١٧.

(٣) ابن شاهين، نيل الامل، ج ١، ص ٣٥٠؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣.

(٤) ينظر: بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٣-٢٤.

لفساد الوظيفي، وشكاهُ الوكيل إلى القاضي، الذي أمر بضربه، فما كان من الشاعر إلا أن هجا القاضي بقصيدة دارت بين الناس، فأزعجت القصيدة القاضي، فشكاهُ القاضي إلى السلطان، وتعصب جميع الفقهاء والقضاة، ضد ذلك الشاعر وارانوا ضربه بالسياط والتشهير^(١) به بالقاهرة^(٢)

لا ضير من قولنا أن الاعتراضات التي كانت تقام على سياسة هؤلاء السلاطين أو قراراتهم من قبل طائفة الفقهاء أو العلماء قد تصاب بالفشل والاعتراض لمرات عديدة، وقد يساندها العامة في أوان أخرى، لعل ذلك ما حصل سنة (٧٤٦هـ / ١٤٦٩م)، عندما عقد السلطان اسماعيل بن الناصر^(٣)، مجلساً حضره الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة، شكاه فيه السلطان اليهم، أن شمس الدين بن قيم الجوزية^(٤) صنف فيه مصنفاً، نصر

(١) التشهير: هي عقوبة كانت معروفة في ذلك العصر وشائعة حيث كان يؤتى بالشخص المراد التشهير به، ويُطاف به على حمار، ويوضع في رقبة الحمار جرس، ويُضرب على الجرس، وينادي على الناس لتجتمع وتشاهدوه، وفي نهاية المطاف، يُجلد بالسياط وسط الجميع. للمزيد ينظر: عاشور، المجتمع المصري، ص ٩٩.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) هو الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تسلطن بعد اخيه السلطان الملك الناصر احمد حكم عشرون عاما وكان محمود السيرة إلى ان مات. للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٣١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٤٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠٦.

(٤) هو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي إمام المدرسة الجوزية وابن قيمها سمع الحديث واشتغل بالعلم وتقنه وحصل علوم متعددة ولف العديد من المصنفات ولازم ابن تيمية واخذ عنه إلى ان مات توفي سنة (٧٥١هـ / ١٣٥٣م). للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٩٥؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٦٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٦٨؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج ٢، ص ١٤٣.

فيه اعتقاد ما ذهب اليه ابن تيمية، وصار يُفتي به جماعة من الاتراك ولا ينسبوه اليه، فاعتقد من اعتقد ان السلطان كان يناصره، وهو مخالف للائمة الاربعة، فحصل عليه انكار واعتراض، وطلبه القاضي الشافعي، لولا اعتراض الفقهاء لطلب القاضي، مما جعل المجلس ينفذ دون حصول أي نتيجة تُذكر، لولا ان اظهر ابن قيم الجوزية الموافقة للمجلس وبراءة السلطان.(١)

يبدو ان ذلك الاعتراض أو عدم قبول كلام السلطان كون الدولة لم تكن في حالة حرب، كما ان دولة المماليك البحرية قد اصابها الضعف نتيجة تولي حكام ضعفاء لا تتجاوز مدة حكمهم السنة او السنتين او لا تتعدى الاشهر، فمن الطبيعي عدم استجابة العلماء والفقهاء لكلام السلطان كونهم غير مضطرين لموافقة ومساندتهم له.

يبدو ان تلك الاعتراضات او الاحتجاجات كانت على الاغلب احدى الوسائل التي تصل احيانا إلى التلويح بترك المنصب او تركه فعلاً، يستخدموها الفقهاء من ذوي المكانة المكيّنة عن السلطان للضغط عليه حتى يتراجع عن قرار قام به او امر اصداره، وذلك ما قام به قاضي قضاة الشافعية برهان(٢) الدين بن جماعة سنة(٧٧٨هـ / ١٣٧٨م)، الذي رفض مباشرة وظيفته، والحكم بين الناس بدار العدل، وعندما ارسل له الملك

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٤٧٩-٤٨١

(٢) هو ابراهيم بن سعد بن جماعة الشافعي من اسره توارثت القضاء قضاء القدس والشام ومصر كما توالى التدريس في عدة مدارس ومشيخة الشيوخ ومشيخة الحديث بالمدرسة الكاملية توفي سنة (٦٧٥هـ / ١٣٣٣م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٨٣.

الاشرف شعبان يسأل عن سبب تغيب القاضي عن الحضور، اجاب القاضي: بأنه بلغه اعادة ضمان^(١) المغاني والقراريط^(٢)، وهذا من موجبات الفسق، فحلف له السلطان انه لم يكن يعلم، وانه سوف يتراجع عن قراره، وارسل إلى جميع نواحي مصر والقاهرة بعدم رجوع تلك الضريبة.^(٣) لعلها اولى الثورات التي كانت بجهود الفقهاء في درء المفساد، ومن خلال التوعية التي قام بها العلماء والفقهاء، ومساعدتهم في تنفيذ اوامر السلطان، الذي أمر بإزالة الخمر وإزالة اثار المنكرات، ومنع الحانات من بيع الخمر، في جميع ارجاء مملكته في مصر والشام كما منع النساء من الزنى، وحبس الكثير منهن، فضلاً عما فعله في ابطاله ضريبة المغاني المذكورة.^(٤)

لا يسعنا من القول سوى ان نذكر ان هذه الطائفة التي كان يُطلق عليهم المعممون أو أهل العمامة، والذين كانوا يعملون في الوظائف التي يُعينهم فيها السلاطين، أو التي يقومون بها بالتدريس في تلك المدارس المختلفة المذاهب المنتشرة في ارجاء البلاد المصرية والشامية، كان عليهم ان يتعاونوا مع المماليك حيث كان هؤلاء المعممين ينعمون بحياة رغيدة،

(١) عبارة عن مال يؤخذ من النساء البغايا تستطيع من خلال دفعها ممارسة مهنة البغاء تدفعها إلى الضامنة. للمزيد ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٥-٣٦؛ المقرئ، السلوك، ج٥، ص٥.

(٢) ضريبة كانت تفرض على كل من يريد شراء منزل أو أي شيء آخر يدفع عن كل ألف درهم مبلغ عشرون درهم. للمزيد ينظر: المقرئ، السلوك، ج٥، ص٤.

(٣) ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٨١-١٨٢؛ الدارس، ج١، ص ٦٠-٦٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص ١٦١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص ٤٨١؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٣٨.

ويجمعون الثروات الهائلة من هذه الأوقاف، التي يشرفون عليها، وبفضل هؤلاء السلاطين كانوا يتقاضون مبالغ نقدية كبيرة ومرتبوات عينية من الديوان السلطاني، وتمسكوا بمظاهر الحياة المترفة فكانوا يركبون الخيول السلطانية، ويرتدون الملابس الغالية، ويجلسون في مجالس السلاطين والأمراء.^(١) لعل ذلك يبين مدى ترابطهم مع السلطة الحاكمة برابطة المصالح المشتركة، أما بحكم التقريب من السلاطين أو بحكم العلم الذي يحملونه، فلا بد من الاذعان لهم لمدارة مصالحهم الخاصة، إلا في اوقات الحرب، عندما تشتد الحاجة إلى هذه الخيل، أو في اوقات الفتن والاضطرابات.^(٢) فالظاهر انهم في هذه الاوقات الحرجة يُمنعون من استخدام هذه الخيول السلطانية.

ان من المهم ان نشير إلى ان التدهور اواخر ذلك العصر ترك آثاره السلبية على هؤلاء المتعممين من الفقهاء، فكانوا بين فترة وأخرى يتعرضون لمظاهر الامتهان، ويُمنعون من ركوب الخيل السلطانية التي يركبها اصحاب الطبقة الحاكمة،^(٣) كما قد تتعرض مرتباتهم للقطع، وتُمنع عنهم الاعطيات لفترات نتيجة عجز ميزانية الدولة.^(٤)

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج٢، ص٢٥٩؛ عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٣٧.

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج١، ص١٥٩؛ المقرئ، السلوك، ج٣، ص ٥٧٣.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٧٨؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٣.

(٤) يُنظر: ابن الصيرفي، ابناء الهصر، ص٢٣٠، ص ٤٣٠.

يُعد الظاهر بيبرس من أكثر السلاطين اهتماماً بالعلماء والفقهاء، فقد عرف عنه محبته للفقهاء بصورة خاصة،^(١) ويبدو ذلك من خلال استحصاله الفتاوى التي يحتاجها أثناء فترة حكمه، كونه وسلاطين المماليك لم يكونوا يفقهوا من الفقه شيئاً، كما أن هذه الفتاوى لها وقعها عند العامة كونها تصدر عن المفتي الذي هو رأس السلطة الدينية وتخضع له جميع الهيئات الدينية والقضائية بوصفه شيخ الإسلام،^(٢) ولذا فقد اعطاهم المكانة التي يستحقونها، فقام بالإكثار من بناء المؤسسات التعليمية، وأخذ العهد على العلماء لتبليغ احكام الدين، وتعظيم حُرُماته، وشعائره، وتكريم الفقهاء وأتباعهم،^(٣) كما كان يحرص على مجالسة كبارهم، ومنهم العز بن عبد السلام،^(٤) ويصف القلقشندي مكانة الفقهاء عند جلوسه على كرسي العرش والفقهاء يحفون به ويجلسهم بترتيب معلوم حوله بشكل حلقة، فيقول: يجلس السلطان على كرسي العرش، ويكون على يمينه القضاة من المذاهب الاربعية، ثم وكيل بيت المال، ثم الناظر، وعلى يساره يجلس كاتب السر، وإمامه ناظر الجيش، وجماعة من الموقعين، وغالباً تكون هذه الصورة للجلوس حين يدعوهم السلطان إلى حضور إحدى المناسبات الدينية أو

(١) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٧٠.

(٢) الانصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٢ هـ / ١٦٢٤ م)، نزهة الخاطر وبهجة الناظر،

تح: عدنان محمد ابراهيم وعدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١ م، ص ٤٣.

(٣) السيوطي، حُسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) ابو الفدا، المختصر، ج ٣، ص ٢١٢.

الرسمية . لعل تلك احدى صور المكانة الرفيعة والعلاقة الوطيدة بين السلاطين والفقهاء. (١)

وما دمنّا في معرض الحديث عن مكانة الفقهاء الدينية عند السلاطين ومحاولة اظهار صورة الدولة بالمظهر الديني اللائق بها، لابد من ذكر ما يقوم به السلاطين من جعل الفقهاء والقضاة والاعيان والقراء والقضاة، وائمة المساجد والجوامع وخطبائها يشاركوهم في حضور المواكب التي تحمل الكسوة إلى الكعبة الشريفة في كل سنة وهي تطوف بالقاهرة، وما اكثر المصادر المملوكية التي تتحدث عن خروج المحمل السلطاني ووصف ابهته وعظمته، وهو لتحفيز الناس على الحج، وحصول السلطان على الصيت والسمعة. (٢)

ان من مظاهر حب السلطان الظاهر بيبرس للعلم والعلماء، وتكريمهم وأتباعهم ما أظهره من الرفق ولين الجانب للمؤرخ ابو الفدا (٣)، الذي قلده ولاية حماة، ولقبه بسلطان العلماء وألبسه شارات الملك، وأنعم عليه بأعلى القاب الشرف واسماها، وكان يخاطبه بلقب اخ، (٤) وذلك مشابهاً لما قام به مع

(١) صبح الاعشى، ج٤، ص٤٥-٤٦.

(٢) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص٤٠٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٠٢.

(٣) هو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل علي صاحب حماة له تصانيف مشهورة منها كتاب تقويم البلدان، وكتاب المختصر في اخبار البشر توفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٣م). للمزيد

ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢١٣.

(٤) طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٩٦؛ موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص١٠١.

الفقيه المؤرخ ابن شداد^(١) الذي كان من المقربين من الملك الناصر يوسف بن العزيز الايوبي واستقبله بعد وصوله من حلب هارباً من بطش التتار، واحسن وفادته، وشمله بالتكريم، واصبح مقرباً منه وكان رد الجميل من ابن شداد ان الف كتاباً امتدحه فيه وكتب سيرته واشتى على انجازاته .^(٢)

لاضرر من القول ان مكانة الفقهاء عند سلاطين المماليك اختلفت باختلاف القرب أو البعد عن السلطان، او بقدر طاعته، وتقديم النصح والمشورة له، وان مظاهر احترام سلاطين المماليك للعلماء كثيرة ومتعددة، فقد كان الظاهر ببيرس يحفظ لهم حرمتهم وينزل على حكمهم حفظاً لحرمة الإسلام، ففي عصره برزَ الشيخ العز بن عبد السلام الذي يُعد من اشهر فقهاء الشافعية في عصره في القاهرة، وكان الملك الظاهر يرتبط معه بعلاقة حسنة، وكان يُعظمه ويهابه، ويخشاه، ويستشيره في اموره، حتى ان السلطان نفسه لم يُبايع لأي خليفة من خلفاء بني العباس، الا بعد ان كان الشيخ العز بن عبد السلام يُبايع له، ويبايع ببيرس من بعده،^(٣) أي ان السلطان نفسه رغم قوته وسطوته، كان يُقدّمه على نفسه في المبايعه، لعل ذلك يبين المكانة

(١) هو محمد بن علي بن ابراهيم صاحب كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، كما كتب سيرة الملك الظاهر وتاريخ حلب (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٥٦؛ اليافعي، مرآة الجنان،

(٢) ابن شداد، محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)، الاعلاق الخطيرة، تح: دومنيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات، دمشق، ١٩٥٣ م، ج ١، ق ١، ص ١-٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٤، ص ٢٧١.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣١٨.

السامية والمنزلة الكبيرة التي كانت للعز بن عبد السلام شيخ فقهاء الشافعية عند هذا السلطان، على الرغم من انه لما اراد الظاهر بيبرس ان يستلم السلطة والحكم استدعى العلماء والفقهاء والقضاة والأمراء لمبايعته على عادة المماليك عندما يتولى أحدهم السلطنة، وكان بين هؤلاء الشيخ العز بن عبد السلام، الذي فاجأ الظاهر بيبرس بكل جرأة وشجاعة، وقال له: " يا ركن الدين انا اعرفك مملوك البندقدار"، ولا يصح مبايعة المملوك في استلام السلطة، فأحضر الظاهر بيبرس ما يثبت ان البندقدار، قد وهبه للملك الصالح ايوب، وان الاخير قد اعتقه، وهنا تقدم الشيخ العز وبإيعه على الملك،^(١) ليكون من اعظم الملوك في هذا العصر، وفي انتصاره على الصليبيين وهزيمتهم، وطرد المغول المحتلين، لعل ذلك يوضح مكانة الشيخ العز بن عبد السلام كونه شيخ فقهاء الشافعية آنذاك، فضلاً عن مكانته عند السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يحترمه ويعرف قدره، ويقف عند اقواله وفتاواه على حد قول السبكي^(٢)، ولعل ذلك ما دعى المؤرخين ان يصفوه انه كان: يتكلم بالحق، ويصدع به، ولا تأخذه في الحق لومة لائم،^(٣) ويصفه ابو شامه بقوله: " ناصر السُّنة، وقامع البدعة " ^(٤).

لعل تلك الصفات هي التي عززت مكانته عند سلاطين المماليك ومن قبلهم سلاطين بني ايوب، ففي بداية عصر سلاطين المماليك كان

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٥٢٢؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص ٩٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٤٥.

(٣) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج١، ص٥٩٥؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج٢، ص ٣٥٣.

(٤) ذيل الروضتين، ص ١٧٠.

الشيخ العز بن عبد السلام بمصر سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٧م) وعندما تقدم التتار إلى بلاد الشام بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، واستولوا على بعض المدن، ليواصلوا الطريق إلى مصر، وكان على عرش مصر شاب صغير، بعث صاحب حلب والشام الملك الناصر الايوبي، يطلب النجدة والمساعدة لقتال الكفار، وكان السلطان قطز قد جمَعَ الفقهاء والعلماء والقضاة والأمراء والاعيان لمشاورتهم في امر مواجهة المغول، وكان الشيخ العز قد حضر معهم، وهو شيخ كبير، فطرحَت المشكلة إمامه في استيلاء هولاءكو على البلاد، وإن بيت المال خالٍ من الأموال والسلطان صغير لا يفقه من امره شيئاً^(١) وقد افاض العلماء في التشاور والحديث، وكان الاعتماد على ما يقوله : الشيخ العز بن عبد السلام، وسكتت الأمراء والقضاة والعلماء، ولم يجرؤ احد على الاعتراض على عزم الملك الجديد قطز في فرض ضرائب على الشعب دون الأمراء، وبيت السلطان، لجمع الأموال، لمقارعة المغول، كان موقف العز موقفاً جريئاً وحازماً في تقديم النصيحة للسلطان، فأفتى بجواز خلع الملك الصغير السن^(٢)، وتعيين ملك قوي بدلاً عنه، وهو السلطان قطز، كما افْتى بجواز اخذ المال من الرعية لغرض الاستعانة به على الجهاد بشرط، ان لا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج الذهبية والفضية، وان يبيعوا ما لديهم من الحوائص الذهبية،

(١) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ١، ص ٥٩٥؛ طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٩٠؛ الزحيلي، محمد، العز بن، عبد السلام سلطان

العلماء، ص ١١٨.

والالات النفيسة، ويقتصر كل جندي على سلاحه ومركوبه، وبقاء أموال الجند في ايديهم فلا تجوز.^(١)

ان تلك المكانة التي استحصل عليها الشيخ العز بن عبد السلام لم يتحصل على غيره من فقهاء عصره آنذاك، ولعل مما يدل على ذلك انه لما مرض الشيخ، وأحس بالموت، أرسل له الملك السلطان بيبرس ان يُعين أولاده في مناصبه فقال: " ... ان يكون ولدك مكانك بعد وفاتك في تدريس الصالحية، فقال العز: ما يصلح لذلك، فقال له: فمن اين يعيش؟ قال من عند الله تعالى، قال له: نجعل له راتباً؟ قال: هذا اليكم"^(٢)، ثم اشار إلى تعيين تقي الدين ابن بنت الاعز، في منصب القضاء بدلاً عنه، والحقيقة ان ولد الشيخ المدعو عبد اللطيف كان عالماً فقيهاً ويصلح للتدريس، لكن ابيه الشيخ العز، منعه ورعه وزهده من جعل منصب التدريس في المدرسة المذكورة حكراً على اولاده أو منصباً وراثياً لهم،^(٣) فقد كان زاهداً في الدنيا شديد العزوف عن الجاه والمنصب لا يُفتن بهما، ولعنا لا نبالغ لو قلنا ان مكانة الشيخ العز بن عبد السلام والخوف من منزلته العالية عند الأمراء والسلاطين والاعيان والقضاة والعامة جعلت السلطان الملك الظاهر بيبرس

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٧٢؛ ابن دقماق، الجواهر الثمين، ص ٢٦٤.

(٢) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٥٠٦؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٤؛ ابن شاکر،

فوات الوفيات، ج١، ص ٥٩٥.

(٣) الندوي، العز بن عبد السلام، ص ١٦٧.

عندما علم ب وفاة هذا الشيخ قال: " اليوم استقر أمري في الملك، لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس أخرجوا عليه، لا نترع الملك مني" (١).

يبدو ان احساس الخوف من العلماء والفقهاء ونفوذ كلمتهم عند المصريين والشاميين هو احد المرتكزات الاساسية التي تحكم العلاقة بين السلطة والفقهاء، كما انها احدى صيغ المبالغة من قبل المؤرخين، في وصف حدث موت الشيخ العز بن عبد السلام ووقعه عند السلطان الظاهر بيبرس، حيث ان الاخير من اعظم سلاطين المماليك واكتسب شعبية كبيرة ونفوذ على المصريين كونه كان الداخل والمبشر بالانتصار على المغول، وان صيغة المبالغة بالخوف من نفوذ أو مكانة الشيخ العز بن عبد السلام، ماهي الا تعظيم لسطوة الشيخ ومكانته في قلوب المصريين كونه شيخ الإسلام ومن اشهر فقهاء الشافعية آنذاك، ويذكر بعض مؤرخو العصر المملوكي: ان السلطان الظاهر بيبرس لما ورده نبأ وفاة الشيخ عز الدين في القاهرة، نزل بنفسه للصلاة عليه وحضور جنازته . (٢)

اتاح سلاطين المماليك للفقهاء والعلماء تبوء مراكز الصدارة في مناصب الدولة المملوكية، وجعلوا من منصب القضاء، ومن يتولاه من الفقهاء، على درجة كبيرة من الأهمية والتأثير في الدولة والمجتمع والجيش،

(١) السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص٢١٥؛ ينظر: السيوطي، حُسن المحاضرة، ج٢، ص ٩٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٥٢٤.

(٢) ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٧٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٥٢٢؛ ابن شاکر، فوات الوفيات، ج٢، ص٣٥٢.

وخصَّصَ سلاطين المماليك قضاة عسكريين على القضاء في الجيش،^(١) كما حرصوا على استرضاءهم، وتذكر المصادر التاريخية انه جرت حادثة سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) لشيخ الحنابلة شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين ابراهيم المقدسي المتوفى سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)^(٢)، مع السلطان الظاهر بيبرس مضمونها انه وصلت إلى السلطان ورقة ان الشيخ يكره السلطان ويتمنى زوال دولته، لأنه لم يشركه في التدريس في مدرسته التي أنشأها، ولم يعين فيها احد من الحنابلة، واراد السلطان التأكد من هذه الوشاية، فارسل الورقة إلى القاضي شمس الدين، فأنكر بدوره صحة هذه الورقة، واقسم انها وشاية فما كان من السلطان الا ان ابدى تسامحه مع الشيخ، وقال له : ولو شتمتني انت في حلٍ، كما عاقب الذي اتى له بالرسالة.^(٣)

يبدو ان المكانة الكبيرة التي حَصَلَ عليها الفقهاء لدى سلاطين المماليك نابعة من مساندتهم للسلطة، وعدم تشجيعهم على الفساد، ومحاربتهم له، وبنفس الوقت حصل الفقهاء على الدعم اللازم من السلاطين فحثوهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعل تلك المكانة تتفاوت عند السلاطين، عندما يعلمون ان هذا الفقيه أو ذاك وصل إلى منصبه عن

(١) ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٥٢؛ السبكي، معيد النعم، ص ٦٣.

(٢) هو قاضي القضاة ابو بكر الشافعي سمع على الكندي وطبقته وابن طبرزد ورحل إلى بغداد فسكنها ثم تحول إلى مصر فكان شيخ المذهب في التدريس والافتاء. للمزيد ينظر: الذهبي،

العبر، ج٣، ص٣٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٥٣٨.

(٣) ينظر: ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٨٣؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣.

طريق الرشوة، أو ممن لم يحمّد سيرته أو ممن لا يأمرّون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فقد كان للعلماء دوراً كبيراً في تقديم النصّح والمشورة للسلاطين والاغلاظ عليهم في الحق، فالشيخ محمد بن يوسف القنوي^(١)، كان شديد البأس على الحكام، شديد الإنكار للمنكر، أماراً بالمعروف، قليل المهابة للأمرء والسلاطين، يغلظ عليهم ويكتب إلى النواب، شفاعاً وشكوى في المفسدين، فكان النواب لا يردون له شفاعاً، ولا أمر في معاقبة المفسدين،^(٢) كذلك العالم النووي^(٣) الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق، ويواجه الأمرء والملوك بذلك، ففي سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) أنكر على الملك الظاهر بيبرس استماعه وانصياعه لمشورة بطانته الفاسدة عندما أراد الخروج من مصر إلى بلاد الشام واستعادتها من المغول وأخذ أملاك الناس وأراضيهم، فقام العالم النووي بتقديم النصّح للسلطان، بالعدول عن أخذ أملاك الناس، وتحدث معه بذلك بدار العدل، ثم أرسل له كتاباً مكتوباً بفتوى عدم جواز أخذ تلك الأملاك والأراضي من أيدي أصحابه، وذكره بأن جملة من أصحاب هذه الأملاك هم

(١) هو علاء الدين القنوي الشافعي تتلمذ على علماء مصر والشام ووليّ مناصب عديدة لعلمه وفهمه. للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٢؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤١٩.

(٢) ابن حجر، انباء الغمر، ج٨، ص١٧٩.

(٣) هو محي الدين يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن الشافعي، ولد في نوى، وقدم إلى دمشق ودرس على مشايخها، وتبحر في العلوم حتى فاق أهل زمانه الف المؤلفات الكثيرة النافعة في الحديث واللغة والفقّه توفي سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢١٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٩٥.

من الايتام والارامل وضعفاء الحال، غضب السلطان اول امره، وهَمَّ بالبطش به، بيد ان النووي لم يتنازل عن موقفه، إلى ان انصاع السلطان لامره والاخذ بمشورته، وارسل للنووي رسالة مطولة، اوضح له فيها جهله بأحكام الاراضي التي تاخذ بعد الجهاد، ورد النووي عليه برسالة مماثلة اوضح له فيها الاحكام، وان الجنود الذين يجاهدون يأخذون الرواتب المجزية من الدولة، فلا يصح ان يأخذوا اراضي غيرهم من المسلمين ولا تقسم بينهم، فوقى الله النووي شر بطش السلطان، ثم حصل له القبول منه، فعظمه وأكرمه، وكان السلطان يقول: انا افزع منه، ^(١) كما وافق موقف الإمام النووي السابق موقف القاضي الشهرزوري ^(٢) في مواجهه السلطان في مجلسه في اخذ اراضي و املاك الناس في بلاد الشام من ايدي اصحابها، ورد بكلام حاسم جاء فيه: ان الماء والكأ والمرعى لله تعالى لا تُملك، وكل من بيده فهي ملك له، ثم قام من المجلس الذي انتهى بكلامه، ^(٣) كما وافق القاضي الحنفي شمس الدين الازرعي رأي كل من النووي، و الشهرزوري، الذي رفض اخذ اراضي بلاد الشام من اصحابها، وغضب غضباً شديداً من قول

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٣٩؛ النووي، الامام بالاعلام، ص٨٢.

(٢) هو شمس الدين علي بن محمود بن علي المدرس بالمدرسة القيمرية بدمشق المتوفى سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م). للمزيد ينظر: البرزالي، المقتفي، ج١، ص٣٧٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٢٢.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ص١٠٧-١٠٨؛ الشهري، عبد الله، جهود العلماء في الجهاد ضد المغول (٦١٦-٧٢٠هـ)/(١٢١٩-١٣٢٠م)، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، ١٤١٦هـ، ص١٣٣-١٣٥.

السلطان، وانصرف من مجلسه مما اغضب السلطان اول الأمر، لكنه سرعان ما هدأ غضبه، واصبح الازرعي ذا خصوصية لديه، فكان يمتدحه، ويقول: لا تثبتوا كتباً الا عنه. (١)

من الظاهر من النصوص المتقدمة عن الفقيه العالم النووي، والقاضي الشهرزوري، والقاضي الازرعي، المكانة المتميزة التي استحصلها الفقهاء لدى السلطان الظاهر بيبرس، فعلى الرغم من غضبه عليهم لخروجهم من مجلس السلطان، الا انه انقاد لرايهم بسبب انصافهم للحق والوقوف بوجه السلطان نفسه لتحقيق هذا الحق، ولمكانتهم عند السلطان تمت مسامحتهم وتنفيذ مطالبهم.

ومن الحوادث الأخرى التي تبين مكانة الفقهاء لدى السلاطين هو رفض الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد (٢)، ان يُعطي فتوى بأخذ مال من الرعية لاستخدامها في الحرب برغم تهديد وترغيب السلطة المملوكية آنذاك، الا انه لم يرجع عن رأيه، وأستدل على رأيه بأن ذكرهم بالموقف الذي قام به قبله شيخ الإسلام العز بن عبد السلام برفض اعطاء السلطان قطز الفتوى بأخذ المال من الرعية الا بشروط، (٣) فقد اكتسب ابن دقيق العيد مكانة

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣١٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص١٣٥.

(٢) هو ابو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع المنفلوطي القشيري، قاضي مصر وعالمها وشيخ العصر توفي سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٢٣٧؛ الصفدي، اعيان العصر، ج٤، ص٥٧٦؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص٦٥٨.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ٣٢٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٢٤٢.

عالية، وكانت له كرامات تُنسب إليه، وكان السلطان يقبل يديه وله مكانة عند الأمراء وارباب الجاه والمناصب.^(١)

ومن مظاهر تعظيم المماليك للفقهاء والقضاة وارباب الدولة من الأمراء والاعيان مشاركتهم استقبال السلاطين بعد كل انتصار في اي معركة فيدعوهم إلى عقد مجلس ليشهدهم على تملك الأمراء الاقطاعات التي يستحصلوها بعد النصر كما حصل عندما عاد السلطان قطز منتصراً من معركة عين جالوت، وكذلك عندما قرر السلطان العودة للديار المصرية، حيث كان في استقباله القاضي السنجاري^(٢) المتوفى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)،^(٣) كذلك بعد الانتصار في معركة ارسوف، حين ارسل الملك الظاهر بيبرس إلى قاضي القضاة وجماعة من الفقهاء والعدول ووكيل بيت المال وغيرهم ليشهدهم على تملك هذه الاراضي للأمراء، وكان ضمن الذين حضروا ابن خلكان، الذي حضر من غزة وكتب مكتوباً خاصاً بالتمليك.^(٤)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ٣١؛ الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص ٩٣.

(٢) هو بدر الدين يوسف بن الحسن الكردي قال ابو شامة : كانت سيرته معروفة في اخذ الرشاوي من قضاة الاطراف والشهود والمتحاكمين. للمزيد ينظر: ذيل الروضتين، ص ٢٣٤؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٠٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٥٤٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٩٣.

(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ٤٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣١٩.

يبدو ان قضية الشهادة على تملك الاقطاعات من الامور الهامة لدى الطرفين السلاطين والأمراء حتى يقدموا الفقهاء والاعيان لكي يشهدوا على التملك.

ومن المظاهر الأخرى التي تدل على مكانة هؤلاء الفقهاء والعلماء ومظاهر التعظيم لهم هو تقديمهم في الوظائف الدينية، فعندما تعرضت السلطة المملوكية سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٨م) لخطر المغول، وحين ارادت هذه السلطات درء هذا الخطر، قامت بفرض الأموال على المصريين؛ وقدم كمال الدين بن العديم لطلب المساعدة من المصريين برز دور العز بن عبد السلام في اقناع العامة، فأصدر فتوى بوجوب الاخذ من أموال العامة لمساعدة الجند، وكان الاعتماد على قوله: الذي مفاده إذا لم يبقى في بيت المال من الأموال، وانقصتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة، وتساوitem مع العامة في الملابس سوى الآلات الحرب، لم يبقى للجندي سوى فرسه التي يركبها، وجب اخذ شيء من أموال العامة لدفع الاعداء لأنه إذا دهم العدو، وجب على كل الناس ان يدافعوا عن بلادهم بأموالهم وأنفسهم،^(١) ومن العلماء من ساند الشيخ العز في موقفه هذا، فقد قام العالم محي الدين النووي، بالوقوف مع الناس ضد مطالب السلطة المملوكية التي طلبت الأموال من العامة، فكأن رأي العلماء التصدي لمظاهر البذخ التي كان يعيشها المماليك، والتوقف عن البذخ والاسراف في معيشتهم، لكي يفتي بجمع الاموال ومن الظاهر عدم موافقة المماليك على رأيه، لذلك تراجع

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٨٨.

السلطان المملوكي عن جمع الأموال بعد معارضة العلماء له^(١)، وعمل مثلاً أرادوا وبذلك كان انتصارهم في عين جالوت على المغول سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).^(٢)

يبدو مما تقدم بالرغم من عظمة السلطان بيبرس، مقدار تعظيمه واجلاله للعلماء والفقهاء، وتقديره لمكانتهم، بالرغم من حدوث بعض الاعتراضات على بعض القرارات التي يصدرونها كما أنهم كانوا يقيمون وزناً للعلماء، فقد جرت العادة أن يرافق السلطان مع الأمراء وأكابر الدولة من الفقهاء والصوفية عند خروجه لافتتاح أحد المباني الخيرية، أو تجديد أحد الجوامع أو المدارس، حيث تقام الصلاة فيه بحضور السلطان مع من يصحبه منهم،^(٣) فضلاً عن الاعتماد عليهم وتكليفهم بالقيام بمهمة الإشراف على مثل هذه المباني، مثلاً كلف السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٣م)^(٤) بتكليف فخر الدين بن السديد المتوفى سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٥م)^(٥)، بالإشراف على بناء الجامع الناصري^(٦). لعل ذلك

(١) ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٥٢؛ النويري، الأعلام بالأعلام، ص ٨٢؛ أحمد عبد الرزاق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، دراسة عن الرشوة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٦٣٥.

(٢) الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٨٨؛ بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١١.

(٣) ينظر: المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٥٥٦-٥٥٧.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ص ٧٦.

(٥) هو عبد الكريم بن هبة الله بن السديد اسم زمن السلطان بيبرس الجاشنكير، وتولى الكتابة في دولته ثم أصبح وكيل السلطان الناصر. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٣٩؛ المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٧٦.

من الثقة العالية والمكانة الرفيعة التي بين الطرفين وان المذكور سوف يقوم بمهمته بأكمل وجه ويصرف الاموال المخصصة للبناء في وجهتها الصحيحة.

لا بد من الاشارة إلى ان هذه المكانة والثقة والنفوذ والمناصب، التي حصل عليها الفقهاء من لدن السلاطين، والتي بلغوا بها شأناً عظيماً في الدولة المملوكية، فقد استغلوها لصالح إصلاح أوضاع الدولة من كل النواحي، فكانت محاولاتهم حثيثة للحفاظ على الأوقاف بأنواعها، والوقوف بوجه من يحاول ازاحتهم عن هذا الطريق، ومن ابرز من قام بمثل هذه المحاولات والاعمال هو ضياء الدين يوسف^(٢)، حيث باشر نظر الأوقاف والوقوف على شروط الواقفين لها، كما اعتنى بتعميرها وترميمها .^(٣)

ومن مظاهر الحفاوة والتكريم التي حصل عليها العلماء والقضاة والفقهاء والوعاظ والأمراء والاعيان انهم كانوا يتصدرون مع السلاطين في افراحهم واحزانهم، فقد كان حضور الفقهاء معه إلى اواوين العزاء السلطانية،

(١) انشأ هذا الجامع زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان له اربعة ابواب، وفيه مائة وسبعة وثلاثون عموداً، وفيه ست عشر شباكاً ، وهو يطل على نهر النيل. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج٣، ص١٠٢.

(٢) هو ابي بكر يوسف بن محمد المقدسي وعرف بخطيب بيت الابار من اسرة علمية دينية توارثت القضاء والخطابة في قرية بيت الابار باشر ديوان تنكز في دمشق ثم طلب للقضاء في القاهرة فولي نظر الصدقات والايام ونظر المطابخ والاسرى والمارستان والحسبة وقد احبه المصريون والشاميون وعظم امره عند الأمراء والاعيان (ت ٧٦١هـ/ ١٣٦٢م). للمزيد ينظر:

المقرئ، السلوك، ج٤، ص٢٤٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٤٨٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٩١؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ص٢٨٩.

من مظاهر عظمة هذا السلطان، وتقريبه لاحد الفقهاء في هذا المهام، فيذكر المقرئزي^(١): حضور السلطان والأمراء وسائر الاعيان والقراء والوعاظ وقت وفاة الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس، حين وفاته في دمشق، ووصوله إلى القاهرة، وحين وصوله قام بغسله وتكفينه قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ^(٢)، ويبدو من ذلك مكانة هذا القاضي وتقدمه عند السلطان عن غيره ممن يماثله في المكانة من ابناء عصره، كما ان حضور هؤلاء العلماء والفقهاء والقضاة في حالات المصاهرات التي تتم بين اكابر الدولة واعيانها، كزواج احد ابناء هؤلاء السلاطين أو بناتهم، أو زواج ابناء وبنات الأمراء، وقيامه بعقد الزواج أو الشهادة على ذلك العقد، كما حدث عندما عقد القاضي شمس الدين الحريري الحنفي،^(٣) عقد زواج بنت الأمير سيف الدين تنكز^(٤) نائب السلطنة في

(١) المقرئزي، السلوك، ج٢، ص ١٤٣.

(٢) هو قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل سمع من ابن اللتي وجماعة ولازم كمال الدين التفليسي وتفقه في المذهب وبرع فيه بأشر التدريس في عدة مدارس وولي وكالة بيت المال وبقيت له تدريس المدرسة العزراوية، ثم إلى قاضي القضاة ثم عزل، ثم اعيد إلى منصبه إلى وفاته سنة (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م). للمزيد ينظر: الاسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٤٩-٥٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٦٦٧.

(٣) للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج٢، ص ١١٦-١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١١٧.

(٤) هو الأمير الكبير نائب الشام ابوسعيد تنكز بن عبد الله الحسامي الاشرفي الناصري احضر إلى مصر وهو صغير فاشتره الملك الاشرف ثم صار إلى اخيه الناصر من بعده فجعله أمير عسكره قبل ان يعزل نفسه ويفر إلى الكرك فاصبح تنكز نائب على الشام وفتح ملطية ورجع بأسرى

دمشق على الأمير احمد^(١) بن الأمير الكبير سيف الدين بكتمر^(٢) الساقي بقلعة الجبل وخلع عليه، وكان السلطان وكيلها نائب عن ابيها،^(٣) وكذلك

كثيرين وغنم مالا كثيرا فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب وعمر الجامع المعروف بأسمه في القدس و دمشق وانشأ إلى جانبه دارو تربة وحمام وعمر بصفد بيمارستان ومكث في نيابة الشام إلى ان تغير عليه السلطان واعتقله وسجنه وقتله سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٢م). للمزيد ينظر: الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٨٥؛ الصفدي، أمراء دمشق في الإسلام، دار الكاتب الجديد، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤١؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج٢، ص٦٠١-٦٢١؛ ابن طولون، محمد بن علي بن احمد الصالحى (ت ٩٥٣هـ / ١٤٥٧م)، اعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد احمد دهمان، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٣م ص٣٨-٤١.

(١) هو الأمير بن الأمير الكبير بكتمر الساقي تزوج من بنت الأمير تنكز بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان هو وكيل عن ابيها. للمزيد ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢١٣؛ المقرئ، المقفى الكبير، ج٢، ص٤٦٨-٤٧٣.

(٢) اصله من ممالك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل لخدمة الملك الناصر محمد وحظي عنده بمكانة كبيرة وزوجه اخته بنت السلطان المنصور قلاوون فأصبح صاحب الحل والعقد في دولة الناصر هو وابنه احمد، ولما عظم نفوذه هو وابنه ووسعت سلطته وتجاوزت الحد خاف منها الناصر فقتله هو وابنه وقيل دس له السم وهم في رحلة صيد سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٥م). للمزيد ينظر: الذهبي، ذيل العبر، ج٤، ص٩١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٢٠-٢٢١؛ ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج٢، ص٦٥٣.

(٣) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص١٨٤-١٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٧٨.

اشرف السلطان بنفسه على زواج الأمير ايدمر^(١) من ابنة القاضي جلال الدين القزويني^(٢) الذي كان قاضي قضاة مصر سنة (٧٢٧ هـ / ١٣٢٨ م).^(٣) كانت علاقة السلطان الظاهر بيبرس مع القاضي تاج الدين بن بنت الاعز الشافعي، علاقة جيدة، وكان السلطان يحبه ويحترمه ويُعظمه، فقد كان القاضي ديناً عفيفاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يقبل شفاعة أحد، ولشدة حب السلطان له جمعت له من الوظائف في الديار المصرية خمسة عشر وظيفة، حيث لم تجتمع لقاضي مثله مثل هذه الوظائف، كما باشر الوزارة في بعض الاوقات.^(٤)

(١) احد الأمراء ايام الناصر محمد بن قلاوون كان أمير الحاج، حج بالناس سنة ٧٣٠ هـ، وحدثت فتنة بمنى بين الحجيج ادت إلى مقتله في نفس السنة ولما سمع الملك الناصر اخذ بثأره. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٢٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٣٢٥.

(٢) قاضي القضاة القزويني: ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر اصله من قزوين ومولده بالموصل تفقه على ابيه قاضي القضاة سعد الدين، طلبه السلطان الملك الناصر فقدم إلى دمشق مع أخيه إمام الدين وأعاد بالمدرسة الباذرائية ثم قضاء القضاة بها، وله مصنفات عديدة توفي سنة (٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م). للمزيد ينظر: الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٢٣؛ الاسنوي، تذكره النبيه في تصحيح التنبيه، تح: محمد عقله الابراهيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٣٣٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٩، ص ١٥٨-١٦١؛ طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٣) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٨٤-١٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٣٢٥.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٧٢.

لعل ذلك يُبين مدى علاقة السلطان الظاهر ببيرس مع هذا القاضي، ومدى حبه له، فضلاً عن تأثير هذا القاضي على السلطان مما جعله يوكل إليه مثل هذا العدد من الوظائف التي لم تجمع لغيره من الفقهاء في الديار المصرية، على أن لايفوتنا أن نذكر أن تلك العلاقة الحسنة المكلفة بجمع الوظائف، قد تتقلب بين السلطان والفقهاء في ليلة وضحاها، بسبب الوشايات أو الأكاذيب، التي قد تلفق إلى الفقهاء أو بسبب أنه خالف السلطان في رأي ما مثلما حصل لابن بنت الاعز، حين انقلبت علاقته مع السلطان، وجُرد من كل وظائفه وصودرت أمواله سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م)، حين قامت عليه وشاية لدى السلطان من جهة الوزير، ولم تنتهي محنة هذا القاضي، إلا بعد أن رضي عليه الوزير، وقام بتوليته التدريس في مدرسة الإمام الشافعي^(١).
أن قيام العلماء بتوجيههم للسلطة الحاكمة وتقديم النصح والتقويم والمحاسبة والرقابة على سياساتهم، ومدى مطابقتها للشرع في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،^(٢) لهو أحد الأركان الأساسية للتمسك بأحكام الشريعة والتعليم بأمور الدين والاهتمام بالأمور التي تحتاجها الرعية، وتزداد أهمية هذا التوجه، كلما فشا الجهل عند الرعية، واندثرت معالم الشريعة، وظهرت البدع،^(٣) كذلك يتولى العلماء الولايات العامة بحقوق الله، وتحري

(١) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٥٧؛ الذهبي، المختار، ص ٣٤٦.

(٢) الزين أبو الروح، عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود (ت ٨٥٦ هـ / ١٤٥٨ م) الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، د.ت، ص ٨٠.

(٣) ينظر: ابن جماعة، تذكرة السامع والمتعلم، ص ٢٠، ص ٣٦؛ الآجري، اخلاق العلماء، ص ٣٦.

مقاصد الشرع دون ادنى تقرب للسلطة أو ترضية لهم من حيث خضوع العالم لشرع الله وكتابه^(١). حيث ان السلاطين كانوا يوافقونهم على اعفائهم من مناصبهم، إذا ما شاهد خلاً ما يضاد شرع الله وكتابه، وكذلك موافقة السلطان على تعيينه في مكان آخر، ومما يدل على ذلك حوادث سنة (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) حين استغفى قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسي من قضاء القاهرة، والوجه البحري، معتذراً للسلطان عن البقاء في منصبه، ومتعللاً بأنه يضعف عن الجمع بين قضاء العديدين بوجهها القبلي والبحري، وفي ذلك مخالفة لأمر السلطان، من جهة، ولغرض اقامة العدل من جهة أخرى، فلولا المكانة التي كان عليها هؤلاء من تقدير واحترام لدى السلاطين لما وافق السلطان على قبول اعتذاره واعفائه عن المنصب الذي فوضه اليه، وفوض مكانه القاضي شهاب الدين الخوي^(٢) على حد قول المقرئزي^(٣).

في حين يتحصل القاضي الفقيه على مكانة عالية جداً وينال ثقة السلطان بأن يجمع له القضاء بلدين، كما جمع قضاء القاهرة والوجه

(١) الأسدي، محمد بن محمد بن خليل من رجال القرن التاسع الهجري، التيسير والاعتبار والتحريير والاختبار، تح: عبد القادر احمد، دار الفكر، ١٩٦٨م، ص ٩٨.

(٢) الخوي: هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن خليل سعادة اصله من خوى توارثت اسرته القضاء اخذ العلم عن ابيه وشيوخ دمشق اشتغل كثيرا والى الكثير من المؤلفات وولي القضاء والتدريس وكان من اكابر علماء دمشق (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٦٩؛ المقرئزي، المقفى الكبير، ج ٥، ص ١٦٦؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٣.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٥٧.

البحري لابن بنت الاعز الشافعي بعد وفاة القاضي برهان الدين السنجاري^(١)، الذي كان له الجمع في القضاء بين البلديتين المذكورتين.^(٢) إذ لولا تلك المكانة والثقة عند السلطان لما قام بالجمع له بين هاتين البلديتين في القضاء، ونتيجة للثقة لاحدهم قد يزداد عدد الوظائف الموكلة له ما عدا القضاء مثل التدريس في أكثر من مدرسة أو نظر الأوقاف أو الاحباس^(٣)، أو نظر المواريث الحشرية^(٤)، أو نظارة ديوان الاسرى^(٥)، وغيرها من الوظائف

(١) هو ابو محمد الخضر بن الحسين تولى القضاء لأكثر مرة كما تولى الوزارة بالديار المصرية وفي آخر حياته تولى بعد القاضي الخوي ثم عزل وتولى بعده ابن بنت الاعز (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م). للمزيد ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٤، ص ٣١٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ١٤٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٣٣٥؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٨٨.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) وموضوعها التحدث عن أوقاف الحرمين الشريفين، وكان يتولاها قاضي قضاة الشافعية، في حين نظر الاحباس يتولاها قاضي مخصوص، ثم اضيفت إلى نظر الأوقاف بعد ان كان يشرف عليها السلطان. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٢٧٨؛ العيني، بدر الدين (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥٨م)، السيف المهند، تح: فهميم محمد شلتوت ومراجعة محمد مصطفى زيادة، ط ٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٧٥؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٦٠-١٦١.

(٤) وهي النظر في اموال من يموت ولا وارث له وقد اصطنع هذه الوظيفة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وولى امرها القاضي الشافعي. للمزيد ينظر: الطرسوسي، نجم الدين ابراهيم بن علي (ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م)، تحفة الترك بما يجب ان يعمل في الملك، تح: رضوان السيد، مطبعة دار الطليعة، القاهرة، د.ت، ص ٣٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٣٣؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٧٧.

الادارية والدينية في الدولة المملوكية، او قد يجمع لاحدهم ما بين القضاء والتدريس كما جمعت للقاضي جمال الدين الزرعي^(٢)، الذي قدم إلى دمشق بعد وفاة القاضي نجم الدين^(٣) بن صصري، ما بين وظيفة مشيخة الشيوخ^(٤)،

^(١) وهذه الوظيفة تختص بشؤون الأوقاف التي يُفدى بها الاسرى في الحروب. ينظر: تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٤٥٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٩٨؛ العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد الأمير تتكز الحسامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، ٢٠٠٠م، ص٨٣.

^(٢) هو ابو الربيع سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عثمان الانزعي الشافعي، ولد بأذرعات واشتغل بدمشق وناب في الحكم بزّرع فعرف بالزرعي ثم ناب في الحكم بدمشق ثم بمصر ثم استقل بولاية القضاء بها، كما ولي قضاء الشام ومشيخة الشيوخ مع التدريس في المدرسة الاتابكية، ثم تحول إلى مصر فولّي قضاء العسكر بها مع التدريس توفي سنة (٧٣٤هـ/١٣٣٥م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٩٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص١٨٧.

^(٣) هو ابو العباس احمد بن سالم بن ابي المواهب بن صصري الربيعي الدمشقي الشافعي باشر مشيخة الخانقاه السميّاطية بدمشق عند الصوفية وهم الذين اختاروه متولي عليهم توفي سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٤م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٧٥-٧٦.

^(٤) هي احدى الوظائف الدينية وموضوعها التحدث عن جميع الخانقاوات والفقراء بالنيابة واعمالها وهو من أجل المناصب الدينية التي تجتمع فيه قلوب الأولياء على الطاعة ويكون متوليها شيخ شيوخ الخانقاوات كلها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٣٦، ص١٣١، ج١٢، ص٤١٢؛ ابن طولون، نقد الطالب، ص١٧١.

والقضاء، وقضاء العسكر^(١)، والتدريس في المدرسة العادلية^(٢)، والغزالية^(٣)، والاتابكية^(٤)، سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٤م).^(٥)

كان الملك الظاهر بيبرس يرتبط مع العلماء والفقهاء بعلاقات جيدة حسنة، وكان يقيم لهم وزناً ويقبل شفاعتهم على اختلاف مذاهبهم ومن هذه العلاقات علاقته مع ابن ابي عمر المقدسي^(٦)، خطيب جامع جبل قاسيون،

(١) هي احدى الوظائف الدينية ومتوليها كان يحضر بدار العدل ويسافر بالركاب الشريف ويقضي بين الناس وينفذ الامور والاحكام الشرعية. للمزيد ينظر: ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٤٣.

(٢) العادلية: تقع هذه المدرسة داخل دمشق شمالي الجامع وشرق الخانقاه الشهابية وان اول من انشأها هو نور الدين محمود بن زنكي ومات ولم يكملها فأتمها ولده العادل سيف الدين وعرفت بأسمه الا انه لم يتمها فأكملها ولده المعظم. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٩٤؛ النعيمي، الدارس، ص ١٧١-١٧٥.

(٣) الغزالية : احدى مدارس الشافعية بدمشق وتقع في الجهة الشمالية الغربية للجامع الاموي بنيت فوقها قبة مطلية باللون الاخضر، بنيت في العصر السلجوقي وسميت بهذا الاسم نسبة الإمام الغزالي عندما وصل إلى دمشق نزل بها بعد ان منعه الصوفية من النزول بالخانقاه السمسباطية كذلك تنسب إلى الشيخ نصر المقدسي. للمزيد ينظر: النعيمي، الدارس، ج ١، ص ٣١٣ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٤) الاتابكية :هي احدى مدارس الشافعية وتقع بصالحية دمشق والى الغرب منها دار الحديث الاشرفية انشأتها ابنة نور الدين ارسلان صاحب الموصل ووقفتها زوجة الملك الاشرف موسى الايوبي ثم تحولت المدرسة إلى مسجد فيه تربة الواقعة. للمزيد ينظر: النعيمي، الدارس، ج ١، ص ٩٦؛ ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٩١؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ١٦٨.

(٥) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٦٥؛ النعيمي، الدارس، ج ٢، ص ١٢٣.

(٦) هو نجم الدين ابو العباس احمد بن ابي محمد عبد الرحمن ابي عمر المقدسي الحنبلي، كان فقيها فاضلا سريع الحفظ، جيد الفهم، كثير المكارم، ولي القضاء مع الخطابة والإمامة والتدريس بدار الحديث الاشرفية والإمامة بجامع الحنابلة ونظر أوقاف الحنابلة وغير ذلك (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م). للمزيد ينظر: البرزالي، المقتفي، ج ١، ص ١٥٩؛ الذهبي، الاعلام بوفيات الاعلام، ص ٢٨٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣١٠.

وقاضي القضاة، ومدرس اكبر مدارس الحنابلة وشيخهم، الذي كان يحضر الغزوات الظاهرية مع والده، كما حضر الغزوات المنصورية،^(١) وكذلك علاقته مع الشيخ ابو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي الحنفي (ت ٧١٩هـ/١٣٢٠م) الذي كان عارفاً بالقراءات ومحدثاً فقيهاً، الذي حصل له حظ وافر في دولة المظفر بيبرس،^(٢)

ان من المفيد ان نذكر ان الدولة المملوكية بمصر وبلاد الشام (٦٤٨ - ٧٨٤) هـ، قد سارت على نهج الايوبيين في التمهيد بالمشهد الشافعي، والعقيدة الاشعرية^(٣)، وقد تعصبوا لها تعصباً شديداً حتى انه كان من يجرؤ على مخالفتها علانية يكون مصيره القتل،^(٤) وقد انتشر هذا التعصب المذهبي بين الخلفاء والملوك ورجالهم إنتشاراً واسعاً، وكان فيه طرفاً فاعلاً ومؤثراً في دعمه ورعايته، الا ان الحال تغير في عصر هذا

(١) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٦.

(٢) ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٨٣٣؛ المقريزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٠.

(٣) الاشاعرة: هو احد المذاهب الإسلامية التي ظهرت على يد ابي الحسن الاشعري في البصرة وحملة عقيدته ان الله تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي ب حياة، مُريد بارادة، ومتكلم بذاته تعالى، سميع بسمع، بصير ببصر، وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى، وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات، وقدرته واحدة، تتعلق بجميع ما يصح وجوده. للمزيد ينظر: المقريزي، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، تح: ايمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية للطباعة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ١١٠-١١١.

(٤) المقريزي، الخطط المقريزية، ج ٢، ص ٣٤٣؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ١، ص ٣٥٦.

السلطان - الظاهر بيبرس- حين امر بتعيين اربعة قضاة بمصر يمثلون المذاهب الاربعة سنة (٦٦٣هـ / ١٢٦٤م).^(١)

ان من مظاهر التعصب المذهبي الذي ساد آنذاك هو بناء السلاطين والملوك للمدارس للطوائف التي يتمذهبون بمذهبها، والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما بناه صلاح الدين الايوبي (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٠م) من مدارس للشافعية والمالكية، والحنفية،^(٢) وكان له اثره الكبير والسلبى في تكريس الطائفية والتعصب والحفاظ عليها وتشجيعها مما دفع تلك الطوائف إلى النزاعات، والمصادمات فيما بينها، ثم طبق هذا الأمر بالشام سنة (٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) باسم القانون، وأصبحت الدولة تحتكم إلى اربعة مذاهب مختلفة، تختلف في احكامها في كثير من المسائل.^(٣)

ويبدو للمؤلفة: ان هذا التصرف من جهة ليس بالتصرف الحكيم حيث انه من الممكن تغيير المذهب من قبل البعض والتحول عنه إلى مذهب اخر، خاصة من قبل العامة، في حين كان هذا التصرف مقنعاً لكسب العامة من جهة أخرى، كون الحكم بمذهبهم يجعلهم لا يشعرون بالغبن والظلم، في حين انهم ام يكونوا يعلموا احكام المذهب السائد، ولم يتفقهوا به.

في سنة (٦٦٦هـ / ١٢٦٦م) عقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً اجتمع فيه من القضاء والفقهاء من سائر المذاهب وكان السلطان قد اخذ فتوى

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٠٩؛ المقرئ، السلوك، ج١، ص٣٤٢، ص٥٣٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٦٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٢٣؛ الانصاري، نزعة الخاطر، ص٤٦.

مسبقة من فقهاء الحنفية بعد انتصاره على الصليبيين في مدينة انطاكية^(١)، حيث اراد اخذ الاراضي من القرى والبساتين، التي في ايدي مُلاكها، وكان يزعم انه استنقذها من ايدي التتر، الذين استحوذا عليها، وكان السلطان قد صمم على اخذ تلك الاراضي والبساتين بفضل تلك الفتوى من فقهاء الحنفية، الا ان الناس خافوا من ذلك، فتوسط لهم الوزير وقال له : " يا خوند^(٢) أهل البلد يُصالحونك عل تبليغ قدره ألف الف درهم، على ان تقسطه لهم ذلك المبلغ فوافق الملك الظاهر، وفرح الناس في انطاكية " .^(٣)

اما قاضي القضاء صدر الدين سليمان بن ابي العز الاذري (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)، شيخ الحنفية في بلاد الشام، فقد ارتبط بعلاقة جيدة مع السلطان الظاهر بيبرس، الذي كان يحبه ويعظمه، وكان القاضي لا يُفارقه في غزواته، إلى ان استعفاه السلطان عن القضاء بالقاهرة، وعاد القاضي إلى دمشق، واقام بها مدة طويلة، يُدرس بالمدرسة الظاهرية الجوانية، ولما مات القاضي مجد الدين بن العديم، عرّض السلطان بيبرس

(١) انطاكية: بالفتح ثم بالسكون، مع تخفيف الياء، مدينة عظيمة على ساحل بحر الشام، وهي موصوفة بالحسن والجمال وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخيرات اول من بناها انطيوخيس الملك الثالث بعد الاسكندر. للمزيد ينظر: يا قوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٨.

(٢) لفظة فارسية كذلك في اللغة التركية، واصلها خُدا وند وتعني السيد او الأمير ويخاطب به الذكور والاناث. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ٧٨؛ الباشا، الالقب الإسلامية، ص ٢٨٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٧٨؛ رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ١، ص ٨٣.

على الاذرعى، مكانة فاستجاب القاضي لعرض السلطان وبأشر العمل به لمدة ثلاثة اشهر، ثم مات.(١)

على ان لا يفوتنا ان نذكر ان المكانة السامية والمنزلة الرفيعة والتقدير والحفاوة التي حظي بها العلماء والفقهاء من لدن سلاطين المماليك لم تقتصر عليهم بل شملت الأمراء والمماليك والوزراء واعيان الدولة ودليانا على ذلك مخاطبة الأمير شمس الدين سنقر، وهو يومئذ بدمشق إلى القاضي شهاب الدين الخولي بالألقاب الفخرية والتعظيمية بقوله: القاضي الأجل الكبير، الفاضل الاثير، الاكمل الاوحد، الرئيس الزاهد العابد، جمال الإسلام، فخر الانام، شرف العلماء، جلال الرؤساء، عز الاكابر، شمس الملوك، وغيرها من الالقاب،(٢) وذلك لبيان علو مقامه ومنزلته عندهم، وكذلك مخاطبة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي(٣) إلى القاضي المذكور بمثل هذه الالقاب،(٤) كذلك من ضمن المكانة المتميزة التي استحصلها الفقهاء لدى السلاطين المماليك هو السماح لهم بالاعتراض على تولية من لا يستحق المنصب، وخاصة المناصب الدينية، فقد اعترض القاضي بن

(١) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ١٤٢؛ النعمي، الدارس، ج١، ص ٤١٨ - ٤١٩.

(٢) ابن ابيك، كنز الدرر، ج٨، ص ٣٢٤.

(٣) كان وزير الديار المصرية، دخل دمشق سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، وهو الذي بنى في القاهرة البرج الذي فوق البنيان برج الطارمة ايام الاشرف خليل. للمزيد ينظر: الصفدي، أمراء دمشق في الإسلام، ص ٣٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١١؛ ابن طولون، اعلام الورى، ص ٣٥.

(٤) ابن ابيك، كنز الدرر، ج٨، ص ٣٢٧.

جماعة سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٩ م)، على تولية شهاب الدين العسجدي^(١) التدريس بالقبة المنصورية بين القصرين، وقال انه غير كفاء لهذا المنصب، ورفع الأمر إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي بدوره عقد مجلساً للفقهاء لمناقشة الأمر، الذين اقنعوا السلطان بالعدول عن رأيه، والاختار برأي جماعة بالعدول عن تعيين المذكور. ^(٢)

نستخلص مما تقدم

ان سلاطين المماليك كانوا يقيمون وزناً للعلماء والفقهاء ويهابونهم واستحصلوا لديهم مكانة عالية متميزة، لان سلطان الدين لدى الشعب كان اعظم من سلطان الملوك والممثل لهذا السلطان هم الفقهاء، فالمفتي باسم الدين له سلطان على العامة وعلى السلاطين، كما ان الناس كانت لا تعطي الشعور الديني حقه لكنها تأخذ به وعلى الرغم ان الدولة كانت تحكم بشريعة الإسلام في كل شيء، لكن فتاوى الفقهاء في بعض الاحيان كان تلاقي شعوراً فائراً من قبل بعض الناس كونها تتضارب مع مصالحهم العامة، في حين ان كثير من العلماء لا يخشون سلطان السلاطين، ويهتمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كون لا تربطهم علاقة منفعة مع السلاطين، الا ان استحصالهم المكانة لدى السلاطين كونهم المبلغين لأوامرهم،

^(١) هو احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم، طلب دراسة الحديث وهو كبير ودرسه مع اولاده، وكتب الطباقي بخط جيد، و درس بالمدرستين المنصورية والفخرية، وكان اديباً ملماً باسماء الكتب ومؤلفيها والناس على طبقاتهم توفي سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٩ م). للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٢٨-٢٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٣١٥.

^(٢) ينظر: المقرئ، السلوك، ج٢، ص٤٤٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٦٩-٢٧١.

وعقائدهم الدينية فهم الواسطة بين السلاطين والعامة واداتهم التي يضربون بها في بعض الاوقات من خلال الفتاوى التي يفتوها، فضلا عن ارتباط الفقهاء بالسلاطين بعلاقات تبادل منفعة كونهم اصحاب الوظائف الدينية والادارية في الدولة فالسلاطين هم من يعينون المدرسين في المدارس، وهم من يشرفون على الأوقاف الخيرية وأوقاف الدولة، ويمكننا القول انهم المتحكمون من خلال فتاواهم بالأمور المالية .

المبحث الثاني

مكانة الفقهاء لدى المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام:

حظي العلماء والفقهاء باحترام وتقدير كبيرين من لدن السلطة المملوكية، وكذلك من رجال العامة، فالفقهاء لم يكونوا يملكون سلطة على الناس، غير علمهم بالدين والشرع، الذي كانوا يمثلون سلطته، فالسلطة كانت تبحث عن دعامة تستند إليها في الحكم، فوجدت تلك الدعامة في فئة العلماء والفقهاء، الذين كان البعض منهم أداة طيعة بيد السلاطين، والتي كانت ترى فيهم المرجعية الدينية الثابتة، في حين كانت العامة ترى فيهم تلك المرجعية حين يزداد ظلم المماليك لهم، لذا لم تختلف هذه المكانة عند الطرفين.

مكانة الفقهاء في عصر الظاهر بيبرس:

فقد كان السلاطين والعامة يعظمون تلك الفئة من خلال إضفاء الألقاب التقديرية، والتفخيم لهم، حين مكاتبتهم أو حين إصدار منشور سلطاني، ومن هذه الألقاب مثل فقيه الزمان، وعالم عصره، واليه انتهت رئاسة المذهب، وشمس العصر، وشمس المذاهب وشيخ الإسلام، وشيخ المشايخ، وصدر المدرسين وضياء الإسلام، وغيرها من الألقاب.^(١)

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ٥٨؛ الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٦٠، ص ٣٦٦،

ص ٣٨١، ص ٤٣٢.

ففي الاسواق اعتاد الناس على تقديم العلماء والفقهاء على انفسهم، في ظل زحام هذه الاسواق، وعند البيع والشراء،^(١) لعل ذلك خير دليل على احترامهم وتقديرهم من قبل العامة وتفضيلهم على انفسهم، كما ان هذا الاحساس بمكانتهم جعلهم يقصدونهم لقضاء حوائجهم، ويتوسطون لديهم للشفاعة عند ارباب الدول واكابرها،^(٢) ويبدو واضحاً هذا الشعور لدى الطرفين، فيصف ابن شاهين القضاة بانهم، اعظم الأركان وقعاً وأعمها نفعاً، وعليهم مدار مصالح الامة عقلاً وشرعاً،^(٣) ويقول ايضاً في فضائل العلماء ان لهم مزايا كثيرة لا تُعد ولا تُحصى.^(٤)

لقد كان السلاطين يعظمون هؤلاء الفقهاء ويتبركون بهم، ويقدمونهم على غيرهم في مجالسهم، فالسلطان لاجين^(٥)، كان يقوم من مجلسه، ليقبل

(١) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) السخاوي، تحفة الاحباب، ص ٢٩.

(٣) ينظر: الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ٧٥ - ٧٦.

(٤) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٧٧.

(٥) هو حسام الدين لاجين المنصوري الحسامي كان مملوك الملك المنصور قلاوون ثم اصبح والي البر بدمشق، ومنها نقل إلى نيابة غزة ثم إلى نيابة السلطنة بالبيرة وكان من خيار ملوك الإسلام كريماً شجاعاً احبه اهل دمشق عندما اصبح نائباً عليهم توفي سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٣٠ م). للمزيد ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٣٧٦؛ الصفدي، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حمدان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ١٨١ - ١٨٣؛ ابن طولون، اعلام الورى، ص ٣٦.

يد القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد، فلم يكن القاضي يزيد في القول: أرجوها لك بين يديّ الله.^(١)، فكيف بالعامّة لو سمعوا مثل هذا التقدير .

ان تلك المكانة التي استحصل عليها الفقهاء لدى سلاطين المماليك، لم تكن على وتيرة واحدة، وكانت تتناسب طردياً مع تقديم الفقهاء للسلطين المساعدة والمشورة والنصح في مقابل تقريب هؤلاء منهم، فقد كانوا في فترات متفاوتة يتعرض بعض الفقهاء للدسائس، ويظهر فيها حقد بعض السلطين على الفقهاء، على الرغم من ان الفقهاء لا يقومون ابداً بالمساس بسلطانهم السياسي، الا انه ظهرت بعض حالات حقد الأمراء على العلماء، وحنقهم عليهم بسبب التقرب من السلطين، فيذكر العيني: في حوادث سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٥م)، انه قبض على احد القضاة بسبب تقربه من بعض الاكابر من الدولة واستملاكه قلوب الناس بالهبات والهدايا.^(٢)

أخذ الفقهاء يتعرضون للنقد من قبل الجند المماليك، فلم يكن يعجبهم مشاركتهم لهم في ركوب الخيول السلطانية، فثاروا على السلطان، وطلبوا ان ينادي في شوارع القاهرة، بعدم ركوب المعتمين الافراس السلطانية، وذلك ما حدث سنة (٧٨١هـ/١٣٨٢م) وكان السلطين آنذاك يذعنون إلى رغبات مماليكهم،^(٣) وربما شاهد الناس في بعض الاحيان جموع من المماليك تنساب في شوارع القاهرة، للاعتداء على هؤلاء الفقهاء وإنزالهم من تلك

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٣٤.

(٢) عقد الجمان، ص ٧٦.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣، ص ٥٣٤.

الخيول والتعدي عليهم بالضرب، بيد أنه سرعان ما تعود المياه إلى مجاريها ويستعيد هؤلاء مكانتهم، ويركبون خيولهم.^(١)

لعل ذلك يبين أن جزء من هذه العلاقة تتمثل في الصراع فيما بينهم متمثلاً في التسابق على المميزات التي يمنحها السلاطين للفقهاء، وأن تلك المميزات التي استحصل عليها الفقهاء من لدن سلاطين المماليك، جعلتهم يعيشون في الكثير من سعة العيش، والرخاء، وهذا ما تشير إليه الشواهد التاريخية، فقد كان القاضي عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ / ١٣٧٠م) يعيش حياة مترفة، واشتهر عنه أنه كان يتأنق كثيراً في ملبسه ومأكله ومشربه،^(٢) وأن جمال الدين بن عبد الله المتوفى سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٤م)، قد شُغف باقتناء الخيول، وعمل السباقات عليها، واحتوى أسطبله على الكثير من الخيل والنعام والغزلان، كما بنى داراً كلفته أموالاً طائلة،^(٣) زينها بالرخام فجاءت في ابهى صورة.^(٤)

لعل ذلك يعكس حالة الغنى والترف التي كان يعيش فيها هذا القاضي آنذاك نتيجة اتصاله بسلاطين المماليك، ولا نبالغ لو قلنا أن من مظاهر الابهة والغنى ما ذكره الذهبي: عن أحد القضاة أنه ملأ داره بالجواري الحسان والخدم، مما ضاهى الملوك في ذلك،^(٥) عدا ما جمعه

(١) ابن حجر، انباء الغمر، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٢٥.

(٣) ابن قاضي شعبة، الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١، ص ٤٦.

(٤) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٣، ص ١٢٣.

(٥) تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٠.

هؤلاء في بيوتهم من المقتنيات الثمينة والاولاني، ومجلدات الكتب التي لا تقدر بثمن.^(١)

لامحيص عن القول ان هذه الالبهة والعظمة وحالة الترف التي كان يعيشها بعضهم والأموال الطائلة التي كانت تُصرف هنا وهناك على ايدي هذه الفئة، والتي تمتعت بهذه المكانة العالية عند المجتمع والسلاطين كان مصدرها الرئيسي الأوقاف والاحباس، التي اوقفت على المؤسسات العلمية والدينية كالمدارس والمساجد والخانقاوات، أو على الاشخاص انفسهم، أو التي كانوا يتوارثون حينها المرتبات عن اباؤهم،^(٢) بيد انه من المهم ان نذكر ان البعض من هؤلاء القضاة أو الفقهاء كان يترفع عن اخذ حتى مرتبه من القضاء ويفضل ان يعيش من كسب يديه اما من حرفة يدوية أو مزاوله مهنة معينة، أو يقوم بنسخ كتب مقابل اجرة يعتاش منها، لذلك ذهبنا إلى ان حياتهم لم تكن على وتيرة واحدة، وانما حسب مصادر دخلهم.

ومن البديهي ان الدولة كانت تصرف لهم الرواتب السخية من مبالغ مالية حسب مستوياتهم ذلك العصر، كما لم تحرمهم من الارزاق العينية التي اعتاد سلاطين المماليك على صرفها لهم من الغلات والاطعمة واللحوم والخبز والتوابل، عدا السكر والشمع والزيتون والكسوة والاضاحي التي كانت تصرف كل سنة،^(٣) والتي صارت مورداً اساسياً يعتمدون عليه في

(١) ابن قاضي شهبه، الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١، ص ٤٦.

(٢) المقرئزي، الخطط، ج ٣، ص ٣٦٤.

(٣) ينظر: المقرئزي، الخطط، ج ٣، ص ٣٦٤.

حياتهم،^(١) والتي قد يتعرضون للضرر عندما تقطع عنهم، أو عندما يتعرضون لطارئ اثناء حياتهم، مثلما كان يُصرف للأديب الفقيه شافع^(٢) بن علي، بعدما كف بصره اثناء وقعة حمص سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨١م)،^(٣) عندما اصابه سهم في صدغه مسبباً العمى له، فلزم بيته وكان يحب الكتب وجمعها، ومن شدة حبه لها انه إذا لمس الكتاب يقول هذا الكتاب الفلاني اشتريته يوم كذا في وقت كذا، وإذا طلب أي احد منه كتاب، كان يقوم إلى المكتبة بجلبه له وكأنما وضعه الآن، ولما اصابه ما اصابه من العمى، صَرَفَ لَهُ السلطان مرتباً لكي يعتاش منه.^(٤)

يبدو ان ذلك ما دعى بعض القضاة والفقهاء إلى عدم الاعتماد على ما تجود به الدولة لهم من مرتبات وإرزاق، وحاولوا الكسب اما عن طريق التجارة التي عملوا بها سراً مما يُعرضهم إلى نقمة السلاطين حين يُكشف امرهم،^(٥) ولعلنا نصيب كبد الحقيقة عند قولنا ان تلك العلاقات لم تكن على

(١) ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) هو الفقيه الاديبي ناصر الدين العسقلاني المصري سبط ابن عبد الظاهر كاتب الانشاء في الدولة المملوكية، توفي سنة (٧٣٠هـ / ١٣٣١م). للمزيد ينظر: كتابه الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تح: د. عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٨ من مقدمة المحقق؛ الصفدي، نكت الهميان، ص ١٦٣؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٤٠.

(٣) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٤٢٨-٤٢٩؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٤٢؛ ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٤٢-٢٤٨.

(٤) ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٨٥-١٨٦.

(٥) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٩، ص ٣٣.

وتيرة واحدة بين الفقهاء والعامّة في المجتمع المملوكي فبقدر ما كان القرب من هؤلاء واستفادة العامة منهم ومعرفتهم لهم يكون تقديرهم واحترامهم، على عكس العلماء أو الفقهاء غير المشهورين أو الذين ليسوا بتماس مع العامة فهؤلاء لا تتحقق لديهم مكانة لدى العامة إلا بالقدر الذي يبين فائدتهم أو يتفق مع مصالحهم، فالفقيه دقيق العيد (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، كان يكثر الشفاعة للناس عند الولاة والقضاة، حتى أن ولده تقي الدين أخفى ثوب الخروج عنه كي يمنعه من الذهاب، مع شخص كان قد جاء إليه ليشفع له عند الوالي، فذهب معه بلا ثوب،^(١) لعل ذلك ما جعله من المقربين من العامة وذي مكانة متميزة لديهم، على عكس العالم الفقيه النووي الذي كان مهاباً من قبل الأمراء والسلاطين، المسموع الكلام لديهم، لم تكن العامة تأبه له، وذلك بسبب بساطته كونه كان مقتصدًا في طعامه وشرابه وملبسه .^(٢) لعل ذلك بسبب عدم تقربه إلى العامة وانعزاله عنهم بسبب حالة الزهد التي كان يعيشها.

إذاً كان السلاطين والأمراء والمماليك هم اصحاب النفوذ السياسي والنشاط الحربي والاداري، فان العلماء والفقهاء هم اصحاب التأثير المباشر والحقيقي على العامة في المجتمع المملوكي سواء في مصر أو بلاد الشام،^(٣) وهو ما تؤكد المصادر التاريخية على قيام العلماء بواجب الأمر

(١) ينظر: المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٤١.

(٢) ينظر: اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) فرغلي، ابراهيم، الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٧ - ٥٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر في حضرة السلاطين، دون خوف، أو محاباة، ولم يُثنيهم عن هذا الواجب التهديد أو الوعيد الذي قد يتلقونه من قبل السلاطين والملوك، مع علمهم ان تلك المعارضة قد تعزلهم، وتذهب امتيازاتهم إلى الفناء،^(١) لعل ذلك ما جعل العامة من الشعب يسمعون لفتاواهم ويطبقونها، ويمشون ورائهم في آرائهم.

فعندما قام العلماء في عصر السلطان المنصور قلاوون من حثه على اراقة الخمر، وابطال الزنا الذي كان متفشياً آنذاك، استجاب لهم السلطان وابطل كل تلك الفواحش.^(٢)

نتيجة للثقة المميزة التي منحها العامة لفقهاءهم كونهم كانوا مسموعي الكلمة لديهم، استغل سلاطين المماليك هذه الثقة وسخروها لمصالحهم السياسية، فجعلوا الفقهاء حلقة وصل بينهم وبين المحكومين من الشعب، كما جعلوهم وسطاء، بجمع الأموال والضرائب التي تفرض على الناس، لمساعدة الدولة في اعبائها المالية الضخمة ومشاكلها التي قد تقع فيها نتيجة الحروب الداخلية والخارجية، والتي تمر بها الدولة ويُفتي فيها الفقهاء بجواز جمع الأموال كما حَصَلَ وافتي شيخ الشافعية في وقته العز بن عبد السلام بجواز جمع المال قبل معركة عين جالوت لتسليح الجيش وتجهيزه سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، والتي انتصر فيها المماليك على المغول.^(٣)

(١) عبد التواب، عبد الرحمن محمود، قاتيباي المحمودي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سلسلة

الاعلام، ١٩٧٨م، ص ١١٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٢٨.

(٣) ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٨٨.

اكتسب الفقهاء مكانة كبيرة لدى المجتمع الشامي مثلما حصلَ عليها لدى المجتمع في الديار المصرية ففي سنة (٦٩٩هـ / ١٣٠٠م) عندما احتل غازان^(١) بلاد الشام وتخلّى المماليك عنها، سعى كبار العلماء للتفاوض معهم،^(٢) باستثناء ابن تيمية، الذي لم يكن لديه منصباً من المناصب الدينية آنذاك، واستطاع ان يحرض سكان المدينة ويقنعهم بعدم الخروج عن دمشق والنزوح منها، وتركها خالية، مثلما اراد اهلها العمل للحفاظ على ارواحهم واهليهم عندما سمعوا بهجمة التتار، كما سافرَ إلى القاهرة، واقتنع السلطان محمد بن قلاوون بإمكانية النصر على غازان وجيشه، فيما لو اتحدت الجيوش العربية مع بعضها ضد جيش المغول، وكان من نتائج ذلك اللقاء اتحاد الجيش المصري، مع الجيش الشامي سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م)،

(١) غازان بن هولاكو بن تولي خان احد ملوك التتار جلس على عرش المغول سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٥م) وكان قد اعتنق الإسلام قبل ذلك بـ أربع شهور على يد الإمام صدر الدين بن حموية الجويني، وكان اول قام به هو ان اعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة في ايران واعلن نفسه المدافع عن هذا الدين فأمر بتدمير الكنائس علامة النصارى وغيرَ لبس المغول وجعل لبسهم العمامة كشارة ملموسة للإسلام وغيرها من التغيرات التي تدل على إسلام المغول. للمزيد ينظر: ابن الفوطي، كمال الدين، الحوادث الجامعة، ص ٢٢٨-٢٣٢؛ ابن ابيك، الدر الفاخر، ج ٩، ص ١١٢؛ القرماني، اخبار الدول، ج ٢، ص ٤٩٦.

(٢) للمزيد عن احتلال غازان لبلاد الشام ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص ١١١-١١٤؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٩٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٧١٨-٧١٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٧٥.

وانتصارهم على المغول في هذه المعركة والتي عرفت بمعركة شقحب^(١)، والتي ازلت الخطر المغولي عن بلاد الشام لمدة طويلة، وكان انتصار المماليك فيها حاسماً ثبت اقدمهم لفترة طويلة.^(٢)

ان من الظاهر هي مكانة هذا الفقيه عند الناس لإرساله للتفاوض مع السلطان الذي كان دون منصب، تُحركه همته وخوفه على بلده، وكذلك مكنته قدرته على إقناع السلطان الناصر لخوض هذه الحرب، بيد ان المتمعن في الواقع، يرى ان السلطان الناصر قد أُضطر للتفاوض معه، نظراً للظروف العصيبة التي كانت تمر بها مصر وبلاد الشام آنذاك، فاضطر إلى قبول طلب ابن تيمية لخوض المعركة.

ان العلماء قد ملكوا سلطاناً دينياً على قلوب عامة المسلمين، في مصر وبلاد الشام، وذلك نفوذاً معنوياً ودينياً، بيد انهم لم يكونوا يملكون قوة سياسية أو عسكرية أو شبه عسكرية خاصة بهم، والواضح ان من امتلك القوة السياسية والعسكرية هم السلاطين، الا ان هؤلاء استخدموا طاقة العلماء كقوة ضاغطة على المجتمع،^(٣) ولما كان العامة غير منتظمين في اعمال

(١) معركة حدثت بين المماليك المسلمين والمغول انتصر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون، ووضع فيها المماليك حداً لغزو المغول للمسلمين لمدة طويلة وعرفت عن المغول بموقعة مرج الصفر وسماها المسلمين معركة الخازندار. للمزيد ينظر: بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص ١٣٢ - ١٣٣؛ ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٤٨٧؛ محمد، صبحي عبد المنعم، المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٤.

(٢) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٢٦.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٢ - ٢٦.

سياسية أو عسكرية، فغالباً ما كانوا يستغلون غياب السلطة، ليستخدموا امكانياتهم للسلب والنهب، ومن هذا المنطلق كان العلماء، يُسارعون للاتحاد أو التحالف مع اية قوة خارجية عسكرية، لحفظ الامن والنظام داخل بلدتهم، كما حصل عندما تفاوض ابن تيمية مع غازان المغولي، عندما احتل بلاد الشام،^(١)

كذلك ما قام به احد افراد اسرة آل الزكي^(٢)، من القضاة في التقرب منه لحصوله على المناصب له ولأفراد اسرته التي نعموا بها طوال فترة احتلال غازان لدمشق، الا ان ذلك انعكس سلباً عليهم عندما غادر بلاد الشام، فقد انقلبت عليه العامة، وعُتب عليه في ذلك، وغُرب عن وطنه إلى الصعيد، وسُحبت منه كل الوظائف والمميزات التي استحصل عليها ومنحه إياه غازان، وجرّد افراد اسرته الموالين للغزاة من تلك المناصب.^(٣)

لذلك يمكننا القول ان المنافع والمصالح قد جمعت بين العلماء وسلاطين المماليك، وكان البعض من العلماء على استعداد لتقديم الطاعة

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٧١٩؛

(٢) هو مجير الدين يحيى بن القاضي محي الدين بن الزكي من اعلام دمشق توارث بعض افراد اسرته منصب القضاء بيد انه تخلف عنهم عندما احتل هولاكو الشام وقدم له الولاء فولاه هولاكو قضاء الشام وخلص عليه خلعة مذهبه واستقر في القضاء وكان يجر الوظائف الدينية والادارية إلى افراد اسرته فترة احتلال هولاكو لكنه عتب عليه وجرّد من جميع الوظائف بعد خروج المحتل توفي (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م). للمزيد ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢٠٥؛ الياضي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٥٧١.

(٣) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص١٩٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٩٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٠٥.

والاعتراف لأي سلطة بديلة للحصول على المميزات والوظائف التي تؤهلهم للعيش عيشة كريمة، ولعل ذلك ما دعى ابن الزكي، السابق الذكر من قبول التفاوض والرضوخ لأمر المغول حين احتلوا بلاد الشام، في حين قام بعض كبار رجال الدين بالمبادرة والتفاوض مع المغولي المحتل وعاونوه، لإنشاء سلطة بديلة عن المماليك، فعندما سقطت دمشق لم تسقط قلعتها التي هي مركز الحكم ذلك الوقت، والتي حاول المغول السيطرة عليها لأخذها بالقوة، فساندهم العلماء واقنعوا الشحنة صاحب القلعة لتسليمها لغازان، لحفظ الدماء والحفاظ على اثار القلعة.^(١)

ان المكانة التي يستحصلها الفقهاء عند العامة قد تعود عليهم احيانا بالضد، مثلما حدث للفقهاء شمس الدين محمد بن مؤمل الحنبلي حين تعصب عليه اهل الجبل سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وحمل إلى والي دمشق، الذي قام بصفعه نتيجة التحامل عليه وقام بتجريبه^(٢) على حمار بالجبل وبدمشق،^(٣) وكذلك في قضية الشيعي محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ٧٦٦هـ / ١٣٦٧م) عندما اراد من العامة مساندته، حين دخل إلى الجامع الاموي في دمشق، وقام بسب الشيخين ابي بكر وعمر، ولعنهما علانية،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٧١٨ - ٧١٩.

(٢) احدى العقوبات التي كانت معروفة في العصر المملوكي، وهي ان يسير المذنب في طرقات المدينة على حمار ويقرع فوق رأسه جرس ليجتمع الناس حوله، ثم يُضرب او يعاقب بالاعدام او التوسيط او التسمير. للمزيد ينظر: حلاق، حسان وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٥١.

(٣) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ٢١٧.

فأخذ إلى القاضي فاستتابه القاضي، فلم يثب، وأصر على سبهما، فهجمت عليه العامة بالضرب، وكان يقول: كانوا على ضلالة، فأعيد إلى القاضي، وشهد عليه الناس، أنه ضلل الصحابة، فحكم عليه القاضي بالقتل، فقتل وأحرقت العامة (١)، على عكس الثقة التي منحها السلطان لابن القيسراني يبدو ان الحصول على رضا السلطان من قبل الفقهاء من الصعوبة وكسبه إلى جانبهم، على ان تكون علاقة محاباة له وتقديم الطاعة والولاء له، بيد اننا من المفيد ان نذكر العامة كانت دائماً تساند العلماء وتقف إلى جانبهم ضد الحكام، كونهم صوتهم الناطق المعبر ضد الظلم، لتحقيق مطالبهم، ومما يدل على ذلك ومدى تأثير الفقهاء على العامة، ما حدث سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٤م) حيث وقعت مظاهرات في المسجد الأموي، دفاعاً عن احد الخطباء حين ابعد عن منصبه، ورفض العامة الاستماع إلى الخطيب الجديد، وقاموا بالتظاهر واخراجه من الجامع، وذلك لمساندتهم الخطيب الذي اعتادوا عليه، أو لشعورهم أنه ظلم حين أخرج عن منصبه. (٢)

ولعلنا لا نبالغ لو قلنا ان العلماء تبوءوا مكان الصدارة في الدفاع عن الشريعة وحماية حقوق عامة الشعب مما اكسبهم مكانة كبيرة في قلوبهم، ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما اخذه الفقهاء على عاتقهم من تنقية الدين مما علق به من البدع والزندقة، ولم يكونوا يبتغوا من تلك السياسة سوى

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٤٤٤؛ لابيدوس، مدن الشام، ص ١٨٢؛ حمزة، عبد اللطيف،

الحركة الفكرية في العصرين الايوبي والمملوكي، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م،

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كانوا يُدرسون بالمدارس تبرعاً ودون رواتب لهداية العامة وتعليمهم وإرشادهم،^(١) وهذا ما فعله القاضي بدر الدين بن جماعة (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) من التنزه عن اخذ راتبه في القضاء، واستمر قاضياً بدون أجر، لأنه كان يرغب في خدمة الناس بدون مقابل، كسباً للثواب عند الله تعالى،^(٢) لعل ذلك يبين مدى حب العامة لهؤلاء الذين ارادوا هدايتهم والحرص على مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، وحقوق الايتام، وخير دليل على ذلك ما قام به القاضي عماد الدين البلبيسي^(٣)، سنة (٧٣٨هـ / ١٣٣٩م) حين اختلف هذا القاضي مع ناظر الخاص^(٤)، وعارضه في اخذ أموال الايتام.^(٥)

ان تفاني العلماء في خدمة الامة، وإرشادهم إلى الطريق القويم هو السبب في تقرب العامة منهم، وحصولهم على مكانة كبيرة لديهم، والانصياح إلى أوامرهم، وذلك ما تذكره المصادر التاريخية، حين تصف موت أحد هؤلاء العلماء، ساعة موته انها كانت ساعة عظيمة، وكثر البكاء والنواح

(١) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٩، ص ٣٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٥٣.

(٢) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٨١.

(٣) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن مرتضى عالم وفقه اصله من بلبيس، ولي القضاء، وعزل عنه، وكان محباً للأيتام والفقراء، مدافعاً عنهم مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ / ١٣٥٠م). ينظر:

ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٤) ناظر الخاص: احدى الوظائف الدينية التي استحدثت في عصر الناصر محمد بن قلاوون، ويكون صاحبها مسؤولاً عن مراجعة السلطان في كل تصرفاته، وله من الخيول والاقمشة من الملك وله

اتباع. للمزيد ينظر: ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٤٣.

عليه، واقفلت الاسواق، واغلقت الحوانيت، وكانت جنازته كبيرة، وحمل على الرؤوس، وخرَج الكثير من الناس خلفه، وصلى عليه جمع غفير من المؤمنين، ودفن بحضور السلطان،^(١) ذلك ما حصل عندما ورد من القاهرة نبأ وفاة الشيخ العز بن عبد السلام سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، نزل السلطان بنفسه الظاهر بيبرس بنفسه، وصلى عليه مع الناس صلاة الغائب بالقرافة، وعمل عزاءه بجامع العقبية^(٢)، ولما وصلت الجنازة إلى دمشق، حضرها جمع كبير من الناس وكان يوماً مشهوداً، حضره العام والخاص، كما يصف ذلك ابو شامة فيقول: ثم صلى السلطان عليه مع الناس في جامع دمشق، ودفن بالقرافة مما يلي الجبل، كما نادى المؤذن بعد الفراغ من دفنه، بالصلاة على الفقيه شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام في جميع جوامع الشام.^(٣) يبدو من ذلك الوصف المكانة الكبيرة لهذا الفقيه عند الناس والتي تجلت بحضورهم المميز للصلاة عليه رغم عدم وجوده في دمشق وحال ورود خبر وفاته من القاهرة مما يدل على ذياع صيته ومكانته عند العامة في المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام .

(١) ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص٨٤؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص١٥٠.

(٢) يقع هذا الجامع في منطقة العقبية بالقرب من القبيبات وهي مجاورة لجامع كريم الدين وفيها الكثير من المساجد والجوامع واخذ الجامع اسمه من المنطقة وكانت تقام فيه الصلاة والعزاء على الاموات. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص١٦٦، ص١٨٩، ص٢٠٣؛ النعيمي، الدارس، ص٣٦٠، ص٥٦١.

(٣) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص٢١٦-٢١٧.

كذلك مساندة العامة لاحد الفقهاء حين يقع عليه ظلم من احد الحكام كما حصل في دمشق وغيرها من مدن الشام في محنة ابن تيمية، حيث خرجت جماهير كبيرة هاجمت السلطات والمؤسسات المملوكية الحاكمة سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٤م) وتبع ذلك عنفٌ شديد وقتال.^(١) يبدو ان تلك الصورة التي صورها المؤرخ ما هي الا انتفاض بوجه الظلم لصالح العلماء الذين ساندوا العامة وكانوا حلقة الوصل بين الحكام وبينهم لغايات نبيلة سامية فاستحصلوا تلك المكانة بين الناس.

مكانة الفقهاء في عصر السلطان قلاوون:

كان سلاطين المماليك يحترمون الفقهاء، ويوقرونهم وينزلون عند آرائهم، ولا يقضون امراً من الامور المهمة الا بوجودهم، مما كان له الاثر الكبير في قيام هؤلاء بدور هام تلك الفترة، فلولا هذه الرعاية التي وفرها السلاطين للعلم واهله وتشجيعهم له، لما اصبح لديهم هذه المكانة في المجتمع، وان هذه المكانة استحصلوا عليها من خلال القرب من هؤلاء السلاطين، واسهام هؤلاء في جعل العلماء والفقهاء مكاناً مرموقاً في دولتهم، وحضور مجالس العلماء، وتحصيل الاجازات منهم، وإقامة المراسيم الدينية الكثير من المناسبات بإشرافهم، مما عزز المكانة التي حصلوا عليها هؤلاء السلاطين،^(٢) كما حرص اغلب السلاطين الممالك على استمالة واسترضاء هؤلاء العلماء وتقديرهم بتبوءهم المناصب الدينية والادارية الرفيعة في

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٣٩٦.

(٢) المقرئزي، السلوك، ج٥، ص ٤٠٩؛ الجبرتي، عجائب الاثار، ج٢، ص ٢٣٤.

الدولة،^(١) كما قدمنا للاستفادة منهم في ترسيخ سياساتهم، أو لإحياء فكرهم المذهبي، تلك الفكرة التي اتبعها الايوبيين لإحياء المذهب السني، بعد سقوط الدولة الفاطمية الشيعية، ولمواجهة افكارهم، لذا كان من مظاهر سياساتهم الدينية تقريب هؤلاء الفقهاء والمتصوفة بالذات، لمعرفة المماليك ما لهؤلاء من تأثير على الرأي العام، فالفقهاء كونهم أئمة المسلمين وتأثيرهم على المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام، لاحتكاكهم بطبقات المجتمع، واختلاطهم بهم من تجار، واصحاب حرف، فضلاً عن اتصالهم بالطبقة الحاكمة،^(٢) من سلاطين وأمراء ووزراء، كما حرصوا على مصاهرتهم لعلمهم يكسبوا مكانة اجتماعية كبيرة في نظر الشعب كونهم غرباء عن المجتمع، ومن مظاهر الحفاوة والتكريم التي حصل عليها الفقهاء من سلاطين المماليك، انهم كانوا يغدقون عليهم الأموال والهبات والخلع حتى بعد ان يقالوا من مناصبهم، وتحدد لهم رواتب عند طلبهم الاستغناء عن تلك المناصب، كما حصل للقاضي بدر الدين من جماعة الشافعي، الذي طلب الاستغناء من السلطان عن منصبه واعتذر بنزول الماء في إحدى عينيه، وانحذاره إلى الأخرى، وقلة نظره، وكبر سنه، فسأل السلطان عن ابنه عز الدين بن عبد العزيز عن وظائف والده، فأخبره الأخير بها فلما حَضَرَ القاضي بدر الدين إلى دار العدل إمام السلطان اعاد طلب الاعفاء من

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٢٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٥٧؛

لابيدوس، مدن الشام، ص ١٧٤.

(٢) القدسي، دول، ص ١٠٨؛ لابيدوس، مدن الشام، ص ١٧٤.

منصبه، فأجابه السلطان إلى طلبه، وقرر له من المال في كل شهر ألف درهم فضة.^(١)

ومن الكتاب الفقهاء الذين سادوا في دولة المنصور قلاوون القاضي محي الدين^(٢) بن عبد الظاهر صاحب ديوان الانشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية، الذي أعجب المنصور قلاوون برأيه وعقله، وحسن سياسته، وتقدم على والده فكان مع والده من جملة الجماعة الذين يصرفون الامور وينهون ويأمرون في عصر هذا السلطان.^(٣)

عهد السلطان خليل بن قلاوون:

حكم هذا السلطان بعد ابيه الشهيد السلطان المنصور قلاوون الالفي للفترة من (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٤م) ولم يكن على شاكلة والده، ولم يقتدي به في اعماله، الا في الاصرار على اخراج الصليبيين كافة من بلاد الشام، ووضع نصب عينيه هذه الخطة، واحتفل للقيام بهذا العمل فور تسلمه

(١) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص ٩٨.

(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي المصري مولده بالقاهرة وسمع الحديث بها وتفقّه ومهر بالانشاء كوالده وكان من المقرئين من السلطان المنصور ومسموع الكلمة لديه توفي سنة (٦٩٢هـ / ١٢٩٣م). للمزيد ينظر: الذهبي، الاشارة إلى وفيات الاعلام، ص ٣٧٩؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٣٦٦؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٣٨٧.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٣٠.

الحكم، فذهب إلى القبة التي فيها قبر والده واقام الصلاة فيها، وقرب قبره، وقام بتوزيع العطايا على الفقهاء والقضاة، والفقراء والمساكين. (١)

ويبدو للباحثة ان لهذا العمل مغزيين اولهما: انه لم يحصل من والده على العهد بالسلطنة والحكم من بعده، وكان يعتقد ان السلطة جاءت اليه من الله، واراد ان يحقق ما بداخله من ذلك في توزيع العطايا امام قبره والده ليُخبره بذلك بعد مماته انه آلت اليه السلطة، ولم يعطيها هو له، امام المغزى الثاني من عمله، هذا شعوره بقوة العلماء والفقهاء وتأثيرهم على العامة، واجزال العطاء لهم لكسبهم إلى جانبه خاصة وهو حديث العهد باستلام السلطة، وسوف يُغادر مقر حكمه إلى دمشق للدفاع عنهم واخراج الصليبيين منها، طلب السلطان الاشرف خليل من كل ولاية الشام مد يد العون له والمساعدة بكل الوسائل الممكنة، وما يلزم الجند من الذخيرة لمحاصرة اسوار عكا (٢)، وتم له ذلك بمساعدة الفقهاء والعلماء والقضاة، حيث اثاروا الروح الدينية في الناس وحفزوهم على ذلك، وقام الجند بمحاصرة المدينة، ونُصب عليها المجانيق (٣)، ودافع رجالها عنها دفاع الابطال، (١) والواضح ان

(١) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٣؛ ابو الفدا، المختصر، ج ٤، ص ٢٤؛ الذهبي، دول الإسلام، ص ٣٨٤.

(٢) عكا: اسم لموضع على ساحل بحر الشام بينه وبين طبرية يومان، وهي من احسن بلاد الساحل، والمدينة كبيرة فيها جامع وغابة للزيتون، وبها دار لصناعة السفن وهي مجمع السفن وملتقى التجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق فتحها المسلمين زمن معاوية بن ابي سفيان. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ١٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٠.

(٣) المجانيق: هي جمع منجنيق وهي من اسلحة الحصار، التي عرفها المماليك وتقدمت صناعتها على ايديهم، وبها يُقذف اللهب عن بعد مع الحجارة بقصد خنق العدو، فهذه المجانيق تكون

الذي شدَّ من أزرهم هو تلاحم العلماء والفقهاء والناس مع الجند، فضلاً عن النجيدات التي جاءتهم من جزيرة قبرص^(٢)، وكان النصر حليف المسلمين بعد أن سقطت المدينة تحت الحصار، وأخذ السلطان النساء والأطفال أسرى إلى مصر.^(٣)

عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون:

امتدت فترة حكم هذا السلطان (٦٩٣-٧٤١هـ)/(١٢٩٣-١٣٤٢م)، حيث اغتصب منه عرشه لأكثر من مرة إلى أن استعاده، واحكم سلطانه عليه.^(٤)

كان السلطان الناصر حنفي المذهب، وكان الحنفية لا يشترطون في الحاكم أن يكون عربياً أو قرشياً، كما يرى الشافعية، لذلك كان من مظاهر تكريم

منها كبيرة ومنها صغيرة منها ما يحمل على مئة عجلة وقد يُفصل اجزائها عن بعض عند النقل،

ثم جمع وتركب عند الاستعمال. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ص ٣٣٢.

(١) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤٥؛ موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٦٨.

(٢) قبرص: تقع هذه الجزيرة على البحر المتوسط سميت بهذا الاسم نسبة لمدينة هناك تدعى

قبرو، وهي في القدم للوثن المسمى فانوس قد تم فتحها من قبل المسلمين من قبل معاوية

بن ابي سفيان زمن الخليفة عثمان. للمزيد ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٤.

(٣) ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ ابن سباط، تاريخ ابن

سباط، ج ١، ص ٤٨٥-٤٩٨.

(٤) ابن ابيك، الدر الفاخر، تح: هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م، ج ٩، ص ١٥٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٤٨؛ حسن، اسامة، الناصر

محمد بن قلاوون، دار الامل للنشر والتوزيع، مطابع زمزم، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٥.

السلطان الناصر لفقهاء المذاهب اصطحابهم معه سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) لأخذ البيعة له، كما اصطحب معه القضاة واکابر الدولة إلى القلعة، وكانت مبايعته بحضرة هؤلاء العلماء من الفقهاء والقضاة والأمراء، ووصل الأمر إلى القاهرة انه ركب اليها، وعليه خلعة الخلافة، ومعه الجيش من المشاة والخيالة فأعلنت البشائر، ودقت الطبول لذلك. (١)

ان من الطبيعي ان تختلف مكانة الفقهاء لدى السلاطين بين عصر وآخر، بيد ان مظاهر الاحترام والتقدير في كل عصر كثيرة، وفي هذا العصر حظي هؤلاء بالمكانة العالية والمتميزة عند هذا السلطان كغيره ممن سبقه من سلاطين المماليك، فلا عَجَب ان نرى من مظاهر التعظيم لدى السلاطين لهذه الطائفة هو نزول السلاطين من قلعة الجبل مرة أو مرتين، في كل اسبوع ليزور احد العلماء أو يعود في مرضه، (٢) كذلك ان مات احدهم يحضر السلطان جنازته، والصلاة عليه، ويمشي إمام نعشه إلى ان يدفن، وربما يحاول ذلك السلطان حمل النعش، (٣) لعلهُ مكانة ذلك العالم عند السلطان أو لإبراز تواضع السلطان، الا انه بطبيعة الحال يُحمل النعش من قبل الاكابر والاعيان، والمقربين من أهله، فضلاً عن تقريبهم لهم فعقد قرآن ابنائهم وبناتهم، كما حدث سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٨م) حين قام القاضي

(١) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج١، ص٢٩؛ بيبرس المنصوري، مختار الاخبار، ص٩٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣١، ص٢٥١؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢، ص٥٥؛ ابي تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٧٨.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص٤٤٤؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج١، ص٢٢٠ - ٢٢١.

الحنفي شمس الدين^(١) الحريري، بعقد قران ابنة السلطان الناصر على الأمير سيف الدين قوصون^(٢) وتم هذا العقد بالقلعة، أي مركز حكم الدولة.^(٣) ولما كانت مكانة الفقهاء لدى السلاطين بهذا المستوى فلا بد ان يكونوا قد استحصلوا تلك المكانة عند الاعيان والأمراء من المماليك، فيذكر عن الأمير لاجين انه عندما يدخل الشيخ فتح الدين محمد^(٤) بن سيد الناس، عليه، كان لا يدعه يقبل الارض بين يديه على عادة المماليك المتبعة عندما يدخل احد من القوم اليهم، وكان لاجين يقول: ان أهل العلم منزهون عن ذلك وكان يجلسه إلى جانبه وعلى مقعده،^(٥) وكذلك ما حدث سنة

(١) الحريري: هو محمد بن عثمان تفتقه على شيوخ عصره، وولي قضاء الشام ثم القاهرة توفي سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٩م). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح الحلو، ط٢، دار هجر، ١٩٨٣م، ج٣، ص ٢٥؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص ٨٤.

(٢) سيف الدين قوصون: احد أمراء مصر العظماء حضر إلى مصر لأول مرة مع خطيبة الملك الناصر وكان من مملوكا اعجب به الناصر فاشتره واعتقه ولم يسكن كغيره في الطباق السلطانية في القلعة وكان يفخر على الأمراء بذلك ثم زوجه الناصر بإحدى بناته، وكان هذا من مفاخره ايضا توفي سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤٣م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص ١٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ٤٤١.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص ٩٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٧٢.

(٤) هو ابو الفتح محمد بن ابي عمر بن ابي بكر الربيعي اليعمرى شيخ البلاغة في الديار المصرية سمع من جماعة وطلب العلم بنفسه ورحل إلى الشام فتفتقه على المذهب الشافعي وحفظ التنبيه وولي التدريس في دار الحديث الظاهرية توفي فجأة سنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٥م). للمزيد ينظر: الاسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٢٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص ٣٣٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٠٨.

(١٣٨٢هـ/١٣٨٢م) عندما اراد الأمراء الاستيلاء على ثروة احد التجار بعد موته وحرمان ابناءه منها، فوقف القاضي ابن جماعة في وجهه وافتى بحرمة منعهم من ارث ابيهم، ومنع الأمير من اخذ اموالهم بغير وجه حق، حتى تراجع الأمير وترك الاموال لأبناء التاجر. (١)

ومن جهود السلاطين المماليك، اهتمامهم بالوقف الإسلامي من خلال تعيين الفقهاء كمتولين عليها، حيث بلغت الأوقاف والاحباس على المساجد والمدارس في بلاد الشام في عهد الناصر ما لم تبلغه في عهد غيره من السلاطين، كما حرص من هؤلاء على تنوع مصادر هذه الأوقاف حتى تبقى رافداً مالياً قوياً تعزز عمل تلك المؤسسات بانواعها وتكفل لها الاستمرار، ويشغل فيها الفقهاء والمدرسين، (٢) ومن اشهر الأموال والأوقاف المبذولة، تلك التي كانت تُصرف على المساجد وبنائها، منها ما يبينه الفقهاء وتعرف باسمه، ومنها ما يبينه كبار رجال الدولة والاعيان. (٣)

لقد كان السلطان الناصر يخشى سطوة العلماء والفقهاء لمكانتهم الدينية بين الناس، ولسنا نبالغ لو قلنا ما ذكره ابن بطوطة، من انه كان يخاف من احكام القاضي شمس الدين الحريري، وينقل ابن بطوطة عن لسان الناصر قوله: "اني لا اخاف أحد الا من ... شمس الدين

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٣٦٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) ينظر: المقرئزي، السلوك، ج ٥، ص ٤٠٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ١٣٨؛ ينظر: عبد

المنعم ماجد، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٨ - ٣٥.

(٣) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٢، ص ٤٠٩.

الحريري...^(١)، كما اهتم السلطان الناصر بتسخير العلماء والفقهاء لتوعية العامة بالحرب على المفسد، واسهامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ان أمر السلطان الناصر بإبطال بيوت الفواحش وأرباب الملاهي، كما اغلق الحانات، وكتب إلى نوابه في الشام، بإبطال الخمر، واستتابة أهل الفواحش.^(٢) لعلنا بذلك نرى انهم كانوا وسطاء بين العامة والسلاطين.

وصفوة القول ان للفقهاء كلام مسموع عن السلاطين وعند العامة عندما يطلبون منهم شي فيه امر بالمعروف ونهي عن المنكر، ففي سنة (١٣٤٦هـ/١٣٤٦م) دخل الشيخ احمد الاذري دخل على السلطان الصالح اسماعيل بن محمد الناصر طالباً منه إبطال عدة مظالم ومكوس فأجابه السلطان إلى كل ما طلب.^(٣)

اما موقف الفقهاء في إصلاح النواحي الاقتصادية، وقت الغلاء، او المجاعات التي تحصل في المجتمع المصري او الشامي كان موقفاً واضحاً ومشرفاً للتصدي لتلك الازمات، ولعل ماكتبه المقريزي عن القحط والمجاعة التي تعرضت لها مصرفي عصر سلاطين المماليك يبرز دور الفقهاء في مساندة الناس في تجاوز تلك الازمات، ففي سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٣م) تعرضت مصر إلى ضعف في النواحي الاقتصادية، بسبب الغلاء وجشع التجار، فسبب الجوع وسوء احوال الفقراء، فكان موقف الشيخ الاخنائي، وحسن تصرفه وحكمته، وتولييه مهمة الحسبة، له الفضل في تحسن احوال الناس،

(١) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٧.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٩١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٢٨.

(٣) ابن قاضي شبة، الأعلام بتاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٤.

وبقاء الاسعار، وعدم استغلال التجار تلك الازمة، وكذلك في سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٧م) في عصر السلطان الاشرف شعبان حدثت ازمة مماثلة تصدى لها الفقهاء بالنصح والارشاد للتجار، حتى ثبتت احوال الناس،^(١) لعل ذلك يبين بوضوح دور الفقهاء في الاسهام بإصلاح النواحي الاقتصادية للعامة مما يجعل لديهم مقبولية ومكانة لدى المجتمع المملوكي.

ومن المكانة التي استحصل عليها الفقهاء هو الأخذ بفتواهم والاعتماد على احكامهم عند السلاطين والعامة، مثلما حصل عندما اراد القاضي ابن الفهاد^(٢) القوسي، ان يستأجر ارضاً للزراعة وكان قليل الرزق بحيث لا يجد قوته في كثير من الاوقات، وكان بنفس الوقت قاضي قرية دمامين^(٣)، فلما احضر بعض المقطعين عنده للشغل، ارادوا ان يكون لديهم عليه حجة، فحلف انه لا يستأجر شيئاً.

وفي أحد المرات اُفتى الشيخ محي الدين يحيى بن عبد العظيم بن زكريا، ببطلان موقوفية احد الأوقاف لحدوث خلل في شروط الوقف وهو عدم قبول

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٧١.

(٢) ابن الفهاد، هو برهان الدين ابراهيم بن علي بن عمر أخذ الفقه على مذهب الشافعي عن الشيخ سراج الدين موسى، والعربية عن ابو الطيب السيني، وسمع الحديث على بدر الدين بن جماعة وولي قضاء دمامين و سار في الاحكام سيرة حسنة، توفي سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م). للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٦.

(٣) دمامين: بفتح اوله، وبعد الالف ميم مكسورة، بعدها ياء ونون وهي قرية كبيرة بالصعيد شرق النيل وعلى شاطئه بعد قوص فيها بساتين ونخيل كثيرة واهلها اخلاط الغالب عليهم اهل المغرب. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣٧.

الموقوف على المعين وطلب من قاضي دمامين المذكور الحكم بإبطال الوقف فامتنع القاضي وصمم وخالف في ذلك، ولم يتدخل.^(١)
لعل ذلك يبين وقوف العامة وراء احكام الفقهاء والاقتداء بهم في تنفيذها والانصياع لها.

(١) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٢٩.

المبحث الثالث

مكانة المتصوفة لدى سلاطين المماليك:

عند الحديث عن المكانة التي تميز بها المتصوفة لدى سلاطين المماليك، علينا الاجابة عن عدة تساؤلات؟ فحواها معرفة من هم المتصوفة؟ ولماذا استحصلوا تلك المكانة ؟ واسبابها؟

ان الصوفية استحصلوا مكانة عالية في العصر الايوبي من لدن السلطان صلاح الدين وخلفاءه، ونشرهم للمدارس والخانقاوات والزوايا التي كانت تهتم بالفقه الشافعي، وتعاليمه، وحظي التصوف بمكانة كبيرة في هذا العصر طغت على مكانة الفقهاء، فقد كان هذا السلطان يقربهم ويستمع إلى اقوالهم ويؤمن بها، ويغدق عليهم الكثير من الاموال. (١)

لما جاء عصر المماليك بقيت مكانة المتصوفة في هذا العصر، عما كانت عليه في العصر الايوبي لها مكانة مرتفعة في الميزان الاجتماعي لدى الحكام، ولدى العامة، فقد شيد الحكام لهؤلاء المتصوفة الخوانق والربط والزوايا، والتي عُدّت من اهم المؤسسات الصوفية آنذاك، كما ظهر أمراء من المماليك تنافسوا في بناء الزوايا، ووقفوا عليها من الأوقاف ما جعلها مقصداً لمن ادعى التصوف. (٢)

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٦٦.

(٢) الشرعة، عودة رافع، المجتمع الشامي في العصر المملوكي، ص ٨.

مكانة المتصوفة في عصر السلطان قطز:

ان الكرامات التي يظهرها هؤلاء الصوفية هي التي بسببها استحصلوا المكانة العالية التي حصلها الصوفية، وظهرت مواقفهم المساندة للسلطين في اوقات السلم والحرب، ففي عصر السلطان قطز، لما ورد خبر وصول التتار رسم السلطان بالخروج بعد العيد، فطلع اليه الشيخ العز بن عبد السلام، وسأله عن سبب تأخر خروجه، اجاب السلطان :حتى نهى اسيفاً، فقال العز : لا قم، فأطلع، فقال السلطان: فتضمن لي على الله النصر، قال العز :نعم، فكان كما قال، ولما وصلت جنود الفرنجة إلى المنصورة لقتال المسلمين في مراكب عديدة، كان الشيخ العز معهم، فأشار إلى الريح بيده، وقال: ياريح خذهم عدة مرات، فعادت الفرنجة وكسرت مراكبهم، وكان النصر للمسلمين. ^(١) لعلها احدى اوجه المبالغة لتعظيم وابرار مكانة الشيخ، لذا حصل الشيخ العز بن عبد السلام مكانة مميزة عند العامة انتصر له فيها العامة من السلطان وتبعه الصغير والكبير، فيذكر المناوي: ان السلطان قطز كلمه مرة بغلظة، فغضب العز وحمل حوائجه على حماره واركب زوجته ومشى، ومشى خلفها خارجاً من القاهرة، فلحقه غالب المسلمين رجالاً ونساءً وصبياناً، فلما وصل الخبر إلى السلطان برحيله، وقد قيل له :متى رحل، رحل ملكك معه، فلحقه السلطان واسترضاه حتى عاد. ^(٢)

لسنا نبالغ لوقلنا ان بداية هذه الدولة شهدت تدخل احد الصوفية تدخلا هاماً لصالح الدولة الناشئة، فبعد ان اسبغ المماليك الشرعية على

(١) المناوي، الكواكب الدرية، ج٢، ص١١٣.

(٢) المناوي، الكواكب الدرية، ج٢، ص١١٣.

حكمهم بفرض الواقع على الحكام الايوبيين في بلاد الشام بعد انتصارهم في معركة عين جالوت، ومواجهة الرأي العام الإسلامي وخليفة بغداد، وزواج الأمير عز الدين آيبك بشجر الدر الملكة التي جلست على عرش المماليك، واصبحت السلطنة القديمة زوجة السلطان الجديد، والتأم الصف المملوكي بهذا الزواج، وفرضوا الأمر الواقع على الأمراء الايوبيين في بلاد الشام والحكام الجدد وجرت عدة محادثات بين الطرفين، هنا برز دور احد المتصوفة في هذه المحادثات والمراسلات، التي كان من نتيجتها الصلح بين الطرفين، وقبول المفاوضات بين السلطان المملوكي الجديد آيبك، والسلطان الايوبي الناصر، الذي كان اشد سلاطين بني ايوب رفضاً لحكم المماليك، نتجت عن هذه المفاوضات ان تكون بلاد الشام كلها إلى الناصر الايوبي، والديار المصرية للمعز آيبك، بعد ان كانت ممتلكات الايوبيين،^(١) الا ان المصادر التاريخية لم تشر صراحة إلى مثل هذا الدور وهذه المحادثات، او ظروف ذلك الصلح، فقد اكتفت بذكر انه تم الصلح بين الطرفين على يد الشيخ الباذرائي^(٢)، كما لم تتطرق إلى بنود ذلك الصلح او شروطه، سوى ان الشيخ نجم الدين الباذرائي رحل من دمشق إلى القاهرة بسفارة مع كاتب

(١) ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٧٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٢) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الشافعي درس بالنظامية ببغداد وبمدرسته التي انشأها بدمشق للشافعية ووقف عليها أوقاف كثيرة وكان رسول الخليفة المستعصم إلى الشام توفي سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٦م). للمزيد ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص١٩٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٨، ص١٥٩.

الانشاء ببغداد لتمهيد قواعد الصلح، واكتفت بذكر نتائجه بصورة مقتضبه الا وهي الصلح وتحديد سلطة اماكن كل من الطرفين كما ذكرنا اعلاه . (١)
من الظاهر المكانة الرفيعة التي استحصل عليها هذا الشيخ كونه
مقدم عند الخلافة، ودائماً ما يكون هو مبعوث الخلافة إلى السلاطين
والأمراء.

فاذا بلغ اعتقاد الأمراء والسلاطين في الصوفية بهذه الدرجة وجعلهم
وسطاء لهم لتحديد حدود دولتهم، فلا عَجَب ان آمن كثير من عامة الشعب
المصري واكابر الدولة وامرائها ذلك العصر بالصوفية ومشايخهم ايماناً
راسخاً وقصدوهم في تلبية حوائجهم، أو مشاركتهم في اذكارهم، (٢) فقد حكى
عن الأمير حسام الدين لاجين، انه كان يحب الفقراء ويجمعهم على
سماطه، (٣) واذا تعرض احد للصوفية بما يمسهم، قام العامة عليه وارادوا
قتله، (٤) حتى وصفوا هؤلاء الفقراء بأنهم ملوك الآخرة يدخلون الجنة قبل
الاغنياء. (٥)

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٣٠٨ - ٣٤٧؛ المقرئ، السلوك، ج ١، ص ٤٠٧

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣٢، ص ٤١ - ٤٢.

(٣) ابن حبيب، درة الاسلاك، ج ١، ص ٣٣.

(٤) النويري، محمد بن قاسم بن محمد (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)، الامام بالأعلام فيما جرت به الاحكام،
تح: عزيز سوريال عطية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩٧٠ م،
ج ٢، ص ٥١٧ - ٥١٨.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

ويذكر الدكتور سعيد عاشور أنه لابد من الإشارة إلى انتشار التصوف والمتصوفة في مصر في عصر سلاطين المماليك كان له أثره الخطيرة في الحياة الاجتماعية، ذلك أنهم بالغوا في صبغ القيم والمثل العليا بصبغة الزهد والرغبة عن الدنيا ومتاعها، والاتجاه نحو الآخرة، والعمل لها، وترتب على هذه الاتجاهات نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس، مما ظلت بقاياه في نفوس الكثير من الناس أمداً طويلاً،^(١) وتكفي قراءة سريعة لبعض الحوليات التاريخية في عصر سلاطين المماليك للتعرف على سيطرة التصوف على هذا العصر، لأن التصوف العملي، يعني الاعتقاد بالشيخ الصوفي حياً أو ميتاً، وقد يُوصف أحد هؤلاء بـ (حُسن الاعتقاد): أي أنه مؤمن بالأولياء الصوفية، وذلك ما يدل على عمق التأثير بالتصوف وسيطرته ذلك العصر،^(٢) فقد كانت انتشار التصوف في مصر آنذاك من أهم الظواهر التي اتصفت بها الحياة الدينية، بسبب كثرة الوافدين من المتصوفة إليها وتلامذتهم، والذين تحدثنا عنهم بالتفصيل في النص الثاني من أطروحتنا، أمثال أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وأبي القاسم القباري، والسيد البدوي، وغيرهم، والذين وجدوا في مصر تربة صالحة لنشر مذاهبهم الصوفية وتعاليمها.^(٣)

لابد من الإشارة إلى أن هؤلاء المتصوفة لم يلبثوا أن انقسموا إلى فرق لكل فرقة شيخ وطريقته، فازداد بذلك أعداد المصريين الذين اقبلوا على هذا

(١) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٨٦.

(٢) منصور، محمد صبحي، أثر السياسة المملوكية على التصوف، ص ٣٣.

(٣) ينظر: عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٢ - ١٦٣.

اللون الجديد من الوان الحياة الدينية، التي لم تكن معروفة لديهم من قبل في عهد الفاطميين، وأخذ السلاطين منذ زمن بني أيوب التقرب إلى الله ببناء الخانقوات، ووقف الأوقاف عليها، والاحسان إلى الصوفية ومشايخهم،^(١) ولعل خير دليل على ذلك ان الشاعر الفقيه الشافعي محمد بن علي بن منجى المتوفى (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) لم يُعرف عنه أنه تشيع، بل اتجه اواخر ايام إلى التصوف، وبنى له رباطاً بأدفو^(٢)، ووقف عليه وقفاً، وكان متأثراً بآراء الشيعة، ولاسيما في عقيدتهم ان بولاية اهل البيت ينال العفو في الآخرة.^(٣)

مكانة المتصوفة في عصر السلطان بيبرس:

على الرغم من جبروت السلطة المملوكية، والتي عرف عنها ان السلطان لا يتولى الا على جثة السلطان الذي يسبقه، أي ان حياتهم كانت حياة دموية، مليئة بالشك والريبة والترقب، وعدم الثقة خاصة في الحاشية، الا ان السلطان المملوكي كان يؤمن بالتصوف وسلوك المتصوفة ويحترمهم، ويخضع للشيخ الصوفي كي يلتمس منه البركات، ففي عصر هذا

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١١٣؛ عاشور، الايوبيين والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٢١.

(٢) أدفو: بضم الهمزة وسكون الدال، وضم الفاء وسكون الواو قرية بصعيد مصر بين اسوان وقوص وهي كثيرة النخل بها تمر لا يقدر احد على اكله من حلاوته فيدق في الهاون ويذر على الطعام. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٦.

(٣) حسين، محمد كامل، التشيع في مصر، ص ٢٢.

السلطان على الرغم من استبداده، ودهائه، وسطوته، الا انه سمح بوجود نفوذ الشيخ خضر^(١)، الذي كان يرتبط معه بعلاقة جيدة، بحيث انه كان يتغاضى عن انحلاله الخُلقي لأنه كان يعتقد في معرفته للغيب كما يعتقد في ولايته^(٢).

كان السلطان بيبرس يببالغ في اكرامه بعد ان وليّ المملكة، ويُعظمه تعظيماً زائداً، ويزل إلى عنده إلى زاويته في الاسبوع مرة أو مرتين، كما كان السلطان الظاهر يصطحبه معه في اسفاره ويحترمه ويستشيرهُ، فيُشير عليه الشيخ برأيه من مكاشفات صحيحة مطابقة، اما شيطانية، أو رحمانية، الا ان هذا الشيخ أفتتن لما خالط بنات الأمراء، اللواتي كُنَّ يظهرن إمامه بدون حجاب، فوقع في الفتنة^(٣)، ومن عقائد الصوفية ان المخالطة مع الناس وخاصة مع النساء مع ترك الحجاب، تُفسد عقيدة المتصوف، فلا يسلم من الفتنة، وكانوا يخافون من آفات الاجتماع ويؤثرون العزلة^(٤).

(١) هو الشيخ خضر بن ابي بكر بن موسى الكردي المهراني العدوي اصله من قرية المحمودية من جزيه ابن عمر وكانت تنسب اليه احواله وكرامات ومكاشفات، اتصل بالملك الظاهر، الذي قرب منه ومنحه مكانة سامية وكان يعتقد فيه توفي (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، للمزيد ينظر: الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٧م)، تالي وفيات الاعيان، تح: جاكين سوبلة، مطبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٦٩؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٢٠٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٢١.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٥٣٨ - ٥٣٩؛ منصور، اثر السياسة المملوكية على التصوف، ص ٣٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٤) ينظر: الشعراني، لوائح الانوار، ص ١٤٧.

كان الشيخ خضر في مبتدأ امره بالجزية العمرية، ثم تنقل إلى حلب، بعد ان اطلع عليه اصحاب الجزيرة انه حصل منه ما لا يليق مع بعض الجواري، فهرب إلى دمشق، والتجأ إلى أحد الأمراء بجبل المزة، واقام بمغارة في زاوية، ويقال عنه: انه اجتمع بجماعة من الصالحين، بشروء بما يكون، واطلعوه على كثير من احوال السلطان الظاهر بيبرس، واتفق ان السلطان طلع يوماً إلى سطح هذا الجبل، والتقى بالشيخ الخضر عند تلك المغارة، وتحدثا فبشره خضر بالملك، وعرفه متى يصير اليه، فلما حصل وتسلم الحكم، أمر الشيخ خضر بملازمته، حيث كان الاخير يخبره بسائر احواله قبل وقوعها، وكذلك سائر فتوحاته، ومتى يكون فتحها، فلا يتعدى السلطان ذلك، وكان قد استحوذ على عقل السلطان، وكان الغالب على امره،^(١) ومن جملة ذلك، اراد السلطان استشارته بالتوجه إلى الكرك^(٢)، فلم يشر عليه بذلك، وقال له: اقصد مصر، لكن السلطان خالفه، وتوجه نحو الكرك، فما كان الا وقع وانكسر فخذ، وبسبب هذه الاشياء، والتي لا يعلمها الا الله هل هي عن اطلاع، أو من قبيل الصدفة، فقد احتفى به السلطان احتفاءً كبيراً وجعله من المقربين منه،^(٣) كما بنى له زاوية على الخليج بظاهر القاهرة،

(١) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٠٦ - ٢١٠.

(٢) الكرك: قرية في جبل لبنان فيها حصن مشهور وكانت معقل الايوبيين وبها اموالهم. ياقوت، معجم

البلدان، ج٤، ص٤٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٢١.

(٣) ينظر: ابن ابيك، كنز الدرر، ج٨، ص ٢٢١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٠٦ -

واوقف عليه احكاراً^(١) عظيمة يُجبى منها في السنة أموالاً عظيمة، وكذلك عمل له في القدس الشريف زاوية، وبدمشق، وبلبك، وحماة، وحمص في كل منها زاوية، وفيها فقراء ومريدون ونواب، وكان يتصرف في جميع مملكة السلطان الملك الظاهر تَصْرِفُ الحكام، وكتبه لا تُرَدُّ في سائر اطراف الممالك الإسلامية التي تدخل في حكم الملك الظاهر ببيرس،^(٢) كما كان السلطان يكلفه بأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما حدث سنة (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) حين ابطل السلطان الظاهر ببيرس المنكرات ومنها الخمرخير دليل حين طلب من الشيخ خضر القيام بنفسه بإتلافها بدل السلطان وبأمر منه، وكلفه بالكبس على دور النصارى واليهود، حتى كتبوا على انفسهم انهم لم يعد لديهم من الخمر شيء، واستمرت تلك المكانة عند السلطان الى ان حصلت جفوة بين الشيخ خضر والسلطان، يعود سببها الى قيام الشيخ واصحابه بالذهاب إلى كنيسة اليهود بالقدس، وذبح قسيسها وعملوها زاوية، وازالوا ما فيها من شعائر اليهود وعملوا سماًطاً، وبقيت على

(١) الاحكار، مفردا حكر وجمعها حواكير وهي تعني البستان المسور او المشجر بشجر الصبار او بشجر الآس او الورد، وهو من المصطلحات الفقهية القديمة التي تعني الارض او العقار المحبوس الذي يؤجر لمدة طويلة وقد شاع هذا المصطلح في العصر المملوكي وعرف في التجارة بالمحاكرة والتي توضع في هذه الاراضي البضائع المستوردة التي تبقى تحت نظر الدولة. للمزيد ينظر: الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج١، ص ١٧٣ .

(٢) ابن ايبك، كنز الدرر، ج٨، ص ٢٢٢.

حالتها اياماً كثيرة إلى ان اعادوها إلى اليهود، كما قام بهدم كنيسة الروم بالاسكندرية، وصيرها مسجداً وسماها المدرسة الخضراء.^(١)

بعد ان تزايد نفوذ الشيخ خضر وطغى على سلطة الأمراء والوزير خافوا من هذه السلطة، واخذوا بالدس له عند السلطان بعد ان تحققوا من فساد امره، واختلاطه ببنات الأمراء، وشهد عليه بعض الأمراء والمماليك، ومنهم المنصور قلاوون،^(٢) واعترف الشيخ خضر بذلك، ولما همَّ السلطان بقتله حذرهُ الشيخ خضر من ذلك قائلاً: ان بيني وبينك ايام قلائل،^(٣) فأمر السلطان بسجنه فسجن.^(٤)

ظلت العلاقات بينه وبين السلطان مشحونة بالخلافات، وظل الشيخ مسجوناً إلى ان مات سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٦٧ م) سُلم بعدها إلى قرابته، وأُخرج من القلعة، ودفن في تربته التي انشاها في زاويته، وكان عمره ما يقارب الستين، قيل عنه انه كان يكشف السلطان في اشياء واحوال، واليه تنسب قبة الشيخ خضر على الجبل غربي الربوة.^(٥)

ان من شدة ايمان العامة بالمتصوفة ومكانتهم العالية لديهم ينسبون لهم كل الانجازات والانتصارات التي تحصل في زمانهم، فحينما اراد الصليبيون احتلال ارض الكنانة، وجاء بالآف الجنود في معركة المنصورة،

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٥٠٨ - ٥٣٩.

(٢) الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٢٠٦ - ٢١٠.

(٣) ابن ابيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٢٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٨، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٥) الصفي، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ٢٠٦ - ٢١٠.

انتقل إلى المنطقة الشيخ ابو الحسن الشاذلي احد اقطاب التصوف المعروفين آنذاك، الذي انتقل إلى المنطقة مع تلامذته، وشاركوا في القتال حتى هزم الاعداء، واسر ملك فرنسا في وقته لويس التاسع مع قادته وضباطه، وتم سجنه في دار القاضي.^(١)

لعل ذلك يبين المكانة التي استحصل عليها هذا الشيخ عند العامة ونسبوا النصر إلى كراماته وسعيه مع تلامذته في القتال، متناسياً ان المقاتلين كانوا مع قائد كبير وذو عزيمة وهمة عالية مع تسليحهم الكبير وخطتهم وتجهيزاتهم الحربية العالية آنذاك التي تفوقا بها على الروم.

اما الشيخ الدسوقي، شيخ الخرقة البرهامية،^(٢) الذي عاصر السلطان الظاهر بيبرس، وكان الاخير يُجله ويحترمه، وله معه علاقة جيدة، كما انه عينه شيخاً للإسلام واجرى له راتباً، فعندما لمع نجمه في العلوم والمعارف، وانتشرت طريقته بين الناس، ووصل صيته إلى كل ارجاء البلاد، منذ ان ترك الخلوة وتفرغ لتلاميذه، ولما سمع به السلطان الظاهر بيبرس، وبنبوغه وكثرة اتباعه، والتفاف الكثيرين حوله اصدر القرار بتعيينه شيخاً للإسلام، فقبل الدسوقي ذلك، وقام بمهمته احسن قيام، بيد انه كان يهب راتبه من هذه الوظيفة، ترفعاً، كما قرر السلطان بيبرس بناء زاوية له يلتقي فيها الشيخ مع مريديه هي مكان مسجده الحالي، ولعل من الجدير بالذكر ان الدسوقي ظل

(١) ينظر: القهوجي، محمد رضا بشير، الحضرة الالهية في الطريقة الشاذلية، ص ١٣.

(٢) النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج ١، ص ٣٩٨.

يشغل منصب شيخ الإسلام في الدولة الظاهرية حتى وفاة الظاهر بيبرس، عندها اعتذر عن المنصب، وعاد ليتفرغ لتلاميذه ومريديه.^(١)

اما علاقة السلطان الظاهر بيبرس مع السيد البدوي، فيذكر صاحب شذرات الذهب: ان السلطان المذكور، التقى مع السيد البدوي عندما جاء الاخير إلى مصر، وتلقاه بمعسكره، واکرمه، وعظمه، وكان دخوله إلى مصر سنة اربع وثلاثين [٦٣٤]،^(٢) وقد اختلف المؤرخون في تحديد علاقة السيد البدوي مع السلطان الظاهر، فالدكتور عبد الحليم محمود ينفي العلاقة بينهما وان السلطان لم يستقبله بعسكره ويقول: إن الرواية كاذبة لان بيبرس جاء إلى الحكم بعد مجيئ السيد البدوي إلى طنطا بفترة طويلة،^(٣) في حين يذكر اخر انه التقى به، وكان يقده وأنه قبل يديه، ونحن نرجح ما ذكره الشعراني: من ان الملك الظاهر كان يعتقد فيه اعتقاداً عظيماً، وكان ينزل لزيارته،^(٤) ويذكر السير وليم موير: انه على الرغم من صفات بيبرس في قوته، وسطوته وعدله، الا انه كان لا يتأخر عندما يثار حقه عند الغدر والخيانة والاستهانة بالأرواح، فقد كان سريع التصديق بالوشايات، وعلى الرغم من ذلك كان يُقدس السيد البدوي ويزوره متبركاً به.^(٥)

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٦٠٤.

(٢) ابن العماد، ج٧، ص ٦٠٤.

(٣) السيد أحمد البدوي، طه، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ص ٣٨.

(٤) لوائح الانوار، ص ٢٣٦.

(٥) تاريخ دولة المماليك في مصر، ص ٤٧.

على الرغم من المكانة التي استحصل عليها المتصوفة لدى سلاطين المماليك من تقديرهم وتقديرهم واعتقادهم بهم لانهم ذوو كرامات ومعجزات، الا انهم كانوا لا يتوانون عن الانتقام، والتخلص منهم، إذا ما وجدوا عليهم أي زلة أو تقصير يحدون به عن دروب التصوف، تُنقِض من أمر الرعية، كما حصل سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٢م) حين غضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، على الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندي الصوفي، الذي كان قد قدم من دمشق في نفس السنة المذكورة، وفي هيئة الفقراء، واشتهر بالدين والعلم وفي ذلك اليوم قال: "انا رايع أجاهد في سبيل الله واموت شهيداً، ورأى ان رجلاً مسلماً تَبَعَ بعض الكُتَّاب النصارى، وقَبَّل يده، وكان النصراني لا يأبه به، فثار الصوفي وقتل النصراني، فوصل الخبر إلى السلطان الذي ثار، وأمر بضرب عنقه على باب القلعة، (١) كذلك ما حصل سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٢م)، حيث عقد مجلس بدار العدل حضره السلطان والفقهاء والاعيان، واحضر عثمان الدوكالي، احد غلاة المتصوفة، الذي كان يقول امور عظيمة، و يدعي الالهوية، واشياء أخرى وانتقص من الانبياء، وكان القضاة والفقهاء يقولون انه يقول اشد من اقوال الحلاج والتي تعد من الكفر، واقامت عليه البينة بادعاءاته وتمت محاكمته . (٢)

لعل ذلك يُبين ان علاقة السلاطين المماليك لم تكن مع المتصوفة على وتيرة واحدة على الرغم من المميزات التي كانوا يحصلون عليها من السلاطين، من التقريب منهم أو اغداق الهبات عليهم أو تخصيص الرواتب

(١) المقرئزي، السلوك، ج٣، ص ٦٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ٤٢٢.

أو غيرها من المميزات، فمن مظاهر الحفاوة والتكريم الكبير التي حاز عليها الصوفية انه كان السلطان بنفسه يتوجه لافتتاح الخانقوات التي يعيش فيها هؤلاء المتصوفة، ويقف على حاجاتهم ومتطلباتهم المعيشية، ويخلع عليهم من الأموال والالقباب الكثير، ففي حوادث سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٥م) ذهب السلطان لافتتاح خانقاه سرياقوس^(١) الواقعة خارج ناحية سرياقوس، وخرج مشايخ الصوفية معهم، وعَمَلَ سماًطاً كبيراً، على عادات السلاطين في مثل هذه المناسبات، وكان السلطان قد عيّن الشيخ الاقصرائي^(٢) شيخاً لهذه الخانقاه، وعنده مئة صوفي، خَلَعَ عليهم السلطان الخُلَع، وعلى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين عبد العزيز، وعلى القاضي المالكي، تقي الدين الاخنائي، وعلى الشيخ علاء الدين القونوي شيخ خانقاه سعيد السعداء، كما رسم للشيخ مجد الدين الاقصرائي ببغلة، وان يُلقب بشيخ الشيوخ كما خَلَعَ على ارباب الوظائف، وفرّق من الأموال الكثير على الأمراء وأهل الدولة.^(٣)

(١) خانقاه سرياقوس: سرياقوس بلدة بالصعيد غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بُعد اقيمت فيها الخانقاه المشهورة خانقاه سرياقوس التي سميت باسم المدينة، وكان شيخ هذه الخانقاه، هو شيخاً على جميع شيوخ الخوانق الأخرى. للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٥٥.

(٢) الاقصرائي: هو الشيخ مجد الدين ابو حامد موسى بن أحمد بن محمود. كان شيخ خانقاه كريم الدين الكبير بالقرافة ولما افتتح السلطان خانقاه سرياقوس جعله شيخها ورتب عنده مئة صوفي. للمزيد ينظر: المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨١.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٥٥؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٨١.

لعل ذلك يبين العلاقة الطيبة بين السلطان والصوفية و مشايخهم والمكانة التي حصلها هؤلاء لديه .

ويتحدث المناوي عن مكانة الشيخ الصوفي ابراهيم الجعبري وعلاقته مع السلطان الظاهر بيبرس وشدة اعتقاده به، فيقول ان الشيخ كانت له مكاتبات مع السلطان الظاهر بيبرس فحين كان يكتب للسلطان، يكتب من ابراهيم الجعبري إلى الكلب الزوبري، فلم يكن السلطان يغضب لذلك، ويقول: هو كان اسمي في بلادي، فمن اعلم به الشيخ، فلما اراد القضاة الحكم على الشيخ ابراهيم الجعبري ومعاقبته لتجاوزه على السلطان، وافتوا بتعزيره، قام الشيخ الجعبري بحبس بولهم ثلاثة ايام حتى اشرفوا على الهلاك، إلى ان جاءوا إلى الشيخ وطلبوا العفو منه، فعفا عنهم جميعاً. ^(١)

ويبدو مما تقدم ايمان السلطان بهذا الشيخ، والاعتقاد به وحصوله على مكانة متميزة عند السلطان، والا ما سمح له بهذا التجاوز عليه ووصفه بالكلب، كما ان السلطان استحصل له العذر بقوله: هو كان اسمي في بلادي.

مكانة المتصوفة في عصر السلطان المنصور قلاوون:

حظي الاعتقاد بالمتصوفة والصالحين مكانة كبيرة لدى هذا السلطان، وسيادة ذلك الاعتقاد في هذا العصر، ومن هذه المظاهر ما حصل لابن السلطان المنصور قلاوون المدعو صالح، الذي كان قد خرج مع ابيه إلى ظاهر القاهرة يريد الشام سنة (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م)، لكنه مرض في الطريق،

(١) المناوي، الكواكب الدرية، ج٢، ص١٦.

فعاد السلطان المنصور إلى معسكره، ودعا الأطباء ليقوموا بعلاجه، بيد أن العلاج لم يفده إلى أن مات، وقيل أن أخيه الأشرف خليل قد سمه، حتى لا يوليه السلطان المنصور العرش بدلاً عنه لأن صالحاً كان مقرباً لديه، أن ما يهمننا هو حضور القضاة للصلاة عليه مع الناس، وكان السلطان شديد الحزن عليه بعد وفاته، وكان في مده مرضه يُكثر الصدقات ويدعو الفقراء ليدعو له بالشفاء، وكان من شدة اعتقاده بهؤلاء أن بعثوا إلى أحد الشيوخ يدعو للحضور للدعاء له، إلا أن الأخير رفض الحضور، فما كان من أحد اتباع السلطان أن حمل إليه مبلغاً كبيراً من المال، ليعمل بها طعاماً للفقراء، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالى، لكن الشيخ رفض أخذها وقال: للذي حمل المال، "سلم على السلطان، وقل له متى رأيت فقيراً يطلب أحداً من الله، فاذا فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد..."، وطلع شيخ آخر إلى السلطان، كان السلطان قد دعاه ليدعو لولده فقال له الشيخ: "... أنت رجلٌ بخيل ما يهون عليك شيء، ولو أخرجت للفقراء عن شيء له صورة لعملوا وقتاً، وتوسلوا إلى الله، أن يهبهم ولدك لكان يتعافى"، فأعطاه السلطان نفس المبلغ السابق الذي أعاده الشيخ الأول، وقام الشيخ بعمل سماط كبير، ثم عاد إلى السلطان، وقال: "طيب الله خاطرك أيها السلطان، أن الفقراء كلهم سألوا الله أن يعطيهم ولدك، وقد وهبهم لهم فلم يكن غير وقت قليل، حتى مات ولد السلطان، وفي صبيحة اليوم التالي شاهد السلطان الشيخ وقال له: "يا شيخ... انت قلت أن الفقراء طلبوا ولدي من الله وهبهم لهم"، فقال الشيخ

على الفور: نعم الفقراء طلبوه، ووهبهم اياه ان لا يدخل جهنم، ويدخله الجنة، فسكت السلطان. (١)

ومما تقدم نلاحظ الاعتقاد الواضح والكبير للسلطان المنصور قلاوون بمشايخ الصوفية والصالحين، كما نلاحظ على هذا العصر اعتقاد السلاطين والعامّة بالمتصوفة وتمجيدهم من قبل السلاطين والإغداق عليهم بالأموال الجزيلة، وبناء الزوايا لهم والخانقوات، وتخصيص الرواتب والهبات عليهم لاعتقادهم بكراماتهم، وهو ما حصل للسلطان ان طلب من الشيخ ان يهبون له ولده من الله، مقابل الأموال التي منحت لهؤلاء، وعلى ما يبدو ان هذه كعلاقة نظر اليها كأنها علاقة تبادل منفعة بين الطرفين، كما نلاحظ على هذا العصر ان درجة الاعتقاد بهؤلاء الأولياء والصالحين تصل إلى درجة التآليه، وهي الاعتقاد بالشيخ حياً أو ميتاً وهي الملامح التي كانت سائدة في ذلك العصر، فعندما يُدفن الشيخ الولي، صاحب الزاوية، أو المعتقد به، يُعمل له قبر يُزار في مكان معروف، ويتوسل به إلى الله الغني والفقير، مثلما فعل اهل مصر للشيخ ابو العباس المرسي، وابي عطاء السكندري، الذي كان يعتقد به العامّة، ويزار قبره الان في مصر، ويعتبرونه صاحب كرامات ظاهرة، ومآثر عالية، ومسجده بالاسكندرية، ومقامه مشهور بين اهل مصر بأسرها يعرفه الصغير والكبير، ويتوسل به إلى الله الأمير والفقير. (٢)

ولسنا نبالغ لو قلنا ان بعض السلاطين كانوا يسمحون بمكاتبة المشايخ لهم، لكي ينالوا هؤلاء الاحترام والتقدير من النواب والعوام نتيجة

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) الكوهن، طبقات الشافعية الكبرى، ص ٦٣.

لعلمهم بتقدير هذا السلطان لهم، وان لهم بعض المكاتبات والصلة معه، حتى يحترمونها ويراعونهم لاجل هذه المكاتبات، بل ان هذا السلطان بالذات كان يرد على البعض منهم في رد المطالعة او المكاتبة " بالمملوك قلاوون الصالحي "، مثلما كان يرد على الشيخ قطب^(١) الدين اليونيني البعلبكي، والذي لم يكن السلطان يرد على مطالعات او مكاتباته أحد من المشايخ غيره ليمنحه هذه المكانة والتقدير بفضل هذه الصلة. (٢)

مكانة المتصوفة في عصر السلطان الاشرف خليل بن قلاوون:

عاصر هذا الشيخ السلطان الشيخ الدسوقي، صاحب الطريقة الدسوقية المشهورة آنذاك، وكانت علاقاتهما جيدة حسنة بين الطرفين، وبينهما مراسلات، للنصح والمشورة، تحولت إلى صدام بين الطرفين، ابتداءً بمكاتبات كان يُرسلها القطب الدسوقي إلى السلطان كلما وَجَدَ منه تهاوناً في كبح جماح رجاله الذين يسيئون التصرفات، ويؤذون العامة، ويعبثون بحقوق الرعية، مما اثار حنق هؤلاء الجند الحاشية عليه خوفاً من ان ينتبه السلطان إلى تصرفاتهم وظلمهم وجورهم، وكالمعتاد أنبرى فريق من المنافقين ليوغر صدر السلطان، على القطب الدسوقي، وتكلم معه باسم الاخلاص للدولة

(١) ابو الفتح موسى بن الشيخ تقي الدين احمد بن عبدالله بن عيسى بن احمد سمع من والده، ومن الشيخ الاربلي ومن ناصر الدين الحموي وابن عبد الدائم كان رجلاً كبير القدر في دولة السلطان قلاوون له مكانة فيها اختصر تاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وعنده مكارم كثيرة وداره مضيف لكل من قصده (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٧م). للمزيد ينظر: الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، ص ٢٨٥-٢٨٦؛ الصفدي، اعيان العصر، ج ٣، ص ٢٩٤.

(٢) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج ٢، ص ١٥٨.

والمحبة للسلطان، واتهم الشيخ الدسوقي بالاستهتار والاستهانة بالسلطان وحذرهُ من حدوث فتنة متوقعة بسبب ذلك، وكان ذلك هو الوتر الحساس الذي يلعب عليه هؤلاء المنافقين، وكان سبب هذا الصدام ان السلطان الاشرف خليل فرض المزيد من الضرائب غير المبررة على رعايا الدولة، فبعث له الشيخ الدسوقي رسالة ينصحه منها، ويزجرهُ، ويطلب فيها منه الرأفة بالناس، واقامة العدل، ولما وصلت الرسالة إلى السلطان الاشرف خليل، استغل المبغضون واصحاب الاستفادة من ذلك هذا الصدام بين الطرفين، وعملت الوشائيات عملها لدى السلطان، وأغروه بقتله قبل حدوث فتنة، واخذوا بالإيحاء للسلطان بضرورة التخلص منه والفتك به، ولما أنسوا من السلطان الاستحسان بذلك، بادروا بإقناعه بضرورة التخلص منه بسرعة ليأمنوا شرة، ولكي لا يستمر في غييه باسم المصلحة العامة، وكانت اولى المحاولات للتخلص منه هو ارسال العسل المسموم له كهدية، الا انه حينما استلمها عرف مقصدهم، جمع الفقراء وقال لهم: كلوه باذن الله، فأكلهُ الفقراء دون ان يؤثر في أحد منهم.^(١)

لعلنا لا نبالغ لو قلنا ان من شدة اعتقاد السلطان خليل بن قلاوون بالفقراء والأولياء الصالحين، انه ليلة الذهاب لفتح عكا، عمل خيمة عظيمة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة، ومهم عظيم انفق فيه أموال جمة، ونزل بنفسه لزيارة ضريح والده السلطان الشهيد قلاوون، وفَرَّق في الفقراء والقراء وعلى

(١) خلف الله، احمد عز الدين، السيد ابراهيم الدسوقي، قادة الفكر الصوفي، ص ٨٠ - ٨١.

جميع أهل المدارس والزوايا والخوانق أموالاً تقدر بـ خمس وأربعين ألفاً، والف قميص، ثم توجه طالباً الغزو إلى عكا، ووقع الحصار بها.^(١)
لعل ذلك التصرف هو من شدة اعتقاده بالأولياء والصالحين والصوفية وأهل الزوايا والخانقوات وأنهم أصحاب كرامة ولهم الفضل في النصر الذي سيحققه.

مكانة المتصوفة في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون:

عاصر الشاذلي السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان ان حصلت له واقعة معه فقام بالاعتقاد به وتصديقه، وظل يعظمه إلى ان مات.^(٢)

اما البوصيري^(٣)، فقد كثر الاعتقاد به من قبل العامة حتى بعد وفاته، وله مقام يزار، ومسجد تقام فيه شعائر، وتتساقط على ضريحه انوار واسرار تبدوا للزائرين، وكان إذا مشى في الازقة تندفع الناس اليه، يقبلون يديه الكبار قبل الصغار، وكانت تشم رائحة طيبة من جسده، وكان مقرباً من

(١) ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج، ص؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص ٤٤.

(٣) البوصيري: هو الإمام ابو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الصنهاجي الشاذلي مولده بدلاً من سنة (٦٠٨هـ / ١٢٠٩م)، كان ابواه من المغرب فنشأ هناك وحفظ القرآن وبعض التون وسافر إلى الازهر الشريف وحضر على مشايخ العصر حتى كملت معالمه، فأخذ الاجازات وصارت له هبة عظيمة بين السلاطين والناس. للمزيد ينظر: ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٠٥؛ الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٣٩.

السلاطين، ولهُ عندهم حظوة تامة ومكانة مرموقة، ومقبولاً بينهم، وكان يمدحهم بالشعر الرقيق، ويهجو اعداءهم توفي سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٥م).^(١)

اما محمد^(٢) وفا فهو عميد السادة الوفائية في الاسكندرية سمي وفا لاعتقاد الناس فيه، لان نهر النيل توقف عن الزيادة وكانوا يعتمدون عليه، وعزموا على الرحيل، فجاء إلى النهر، وقال: اطلع يا ابن الله تعالى، وكان سبع عشر ذراعاً^(٣)، واوفى فسماهُ الناس وفا، وكان الشيخ محمد وفا قد ولد بالإسكندرية ونشأ بها وسلك طريق التصوف، ثم توجه إلى اخميم، وتزوج هناك، وانشأ زاويته الكبيرة فيها، وكانت الناس تفتد عليه افواجا، ثم سار إلى مصر، واقام بها إلى ان مات ودفن بالقرافة بين قبري ابو السعود، وتاج الدين بن عطاء.^(٤)

(١) الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص ٨٠ - ٨١.

(٢) هو محمد بن علي بن وفا أحد افراد السادة الوفائية التي عرفت بالتصوف في الاسكندرية مات سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٦م). للمزيد ينظر: الشعراني، طبقات الشعراني، ج ٢، ص ٢٠؛ الصفي، الوافي بالوفيات، ج، ص؛ الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٧.

(٣) الذراع: كلمة من الثلاثي ذرع، وهي تؤنث وتذكر وهي وحدة قياس للطول وقدارها بسط اليد ومدها واصله الساعد وهو ما بين طرف المرفق إلى طرف الاصبع الاوسط، وقد اختلف علماء المذاهب في مقداره فهو عند الحنفية = ٣٧٥، ٤٦ سم، وعند المالكية = ٥٣ سم، وعند الحنابلة والشافعية = ٣٨٤، ٦١ سم لعل ذلك الاختلاف يرجع إلى اختلاف اطوال الذراع التي يقاس عليها عند الناس. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٣، ص ١٤٩٥؛ علي جمعة، المكييل والموازين، ص ٥٠.

(٤) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص ١٠١.

ومما تقدم نستخلص:

ان المتصوفة كانوا ينعمون بمعاملة خاصة عند سلاطين المماليك وزوجاتهم واسرهم، وكانت العلاقات بينهم متنوعة، خاصة مع المعتدلين مع السلطة والمؤازرين لها، والمشجعين على سياساتها المختلفة.

كانت العلاقات بين السلاطين والمتصوفة علاقات نفعية، وذلك لان المماليك بحاجة إلى المتصوفة لمكانتهم عند العامة ولحاجتهم إلى التأييد من قبلهم لاضفاء طابع المشروعية على حكمهم والرضا عنهم.

كما ان المتصوفة كانوا بحاجة إلى دعم السلاطين مادياً لامدادهم بما يحتاجون اليه في حياتهم كونهم لا يعملون ويحتاجون إلى الدعم من الحكام بحكم طبيعة هذه الحياة التي يحيونها وصعوباتها، فهم بعيدون عن تعاليم الإسلام التي تعد العمل ركن من العبادة، لذلك كان السلاطين يقدمون اليهم الدعم من خلال الاهتمام بالمناسبات الدينية الخاصة بإقراء القرآن، وتوزيع الصدقات والملبوسات، والطعام لهم، ومع الايام ازداد نفوذ المتصوفة عند سلاطين المماليك حتى عندما يعلمون فسادهم وتهتكهم، وذلك لاسباب مختلفة اهمها العلاقة النفعية المتبادلة بين الطرفين.

فلا عجب ان تتبع العامة الصوفية، الذين كان بعض الفقهاء والسلاطين يعتقدون فيهم، ويقصدونهم لمشاركتهم اذكارهم أو لقضاء حوائجهم لذا لا خير لو قلنا ان العصر المملوكي هو عصر التصوف، والتصوف فيه بضاعة رائجة سريعة الطلب نافذة البيع اسعارها عالية خاصة لدى سلاطينها أو حكامها المماليك.

المبحث الرابع

مكانة المتصوفة لدى المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام:

ان من الأمراض الاجتماعية التي فشت في عصر سلاطين المماليك كان في مقدمتها مبالغة الكثير من طبقات المجتمع في التوسل بالأولياء والصالحين ومشايخ الصوفية لتحقيق المآرب والغايات، حتى أمعن الناس ذلك العصر في الاعتقاد بهؤلاء، ونُسبت اليهم جملة من الكرامات والخرافات الكثيرة (الخارقة للعادة) كما سموها، ومن هذه الكرامات ما ذكره السخاوي من انقلاب الاعيان فيصبح الفقير غنياً بعد ان يدعو له هؤلاء الأولياء وذوو الكرامات، ويقول للصح النحاسي صر ذهباً فيصير، وكذلك تنسب اليهم معجزة المشي على الماء، والكشف عن احوال الموتى، وكذلك سماع كلامهم مع الاحياء، والكلام عن المستقبل وغيرها من الكرامات. (١)

ويذكر الشعراني بعض الكرامات للأولياء ممن يعتقد بهم الناس، منها شيخ يجلب نبات الحلفاء من الصحراء فيدعو فتصر قلقلساً، وامرأة تشتهي جوز الهند مما لا يجدونه بمصر فتذهب إلى الشيخ وتطلب ذلك فتنبت شجرة فجأة في خلوته، فتأخذ المرأة منها ما تشتهي وتختفي الشجرة فوراً، (٢) ومن الكرامات الأخرى التي تحدثوا بها عن الشيخ ابراهيم الدسوقي: ان تمساح خطف صبيّاً، فأنت امه مذعورة اليه، فأرسل نقيبهِ إلى شاطئ البحر فنادى: يامعشر التماسيح من ابتلع صبيّاً، فليطلع به، فطلع التمساح ومشى معه إلى

(١) السخاوي، تحفة الاحباب، ص ٣٣٣.

(٢) الشعراني، كرامات الأولياء، ص ٩٩.

الشيخ، فأمره ان يلفظه- يخرج من فمه -، فلفظه حياً، ثم قال للتمساح:
مت بإذن الله فمات . (١)

ومن كرامات ابو العباس المرسي التي شهد عليها الناس انه دعاه
رجل إلى وليمة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، وجاءه اربعة كل لوحده،
يطلبون منه حضور وليمة في نفس ذلك الوقت، فأجاب الجميع، وذهب إلى
صلاة الجمعة وجلس مع الفقراء، ولم يذهب لاي احد منهم، بعد العصر
حضر الخمسة كلهم ليشكروه على حضوره عنده، (٢)

لذا فقد كان عامة الشعب المصري قد امنوا بالصوفية ايماناً راسخاً وقصدوهم
لقضاء حوائجهم، وشاركوهم في اذكارهم ووصفهم انهم " ملوك الآخرة الذين
يدخلون الجنة قبل الاغنياء ". (٣)

ان انتشار الفقر والفاقة واليأس من الحياة جعلت الكثيرين يقبلون على
التصوف فراراً من تلك الحياة وقد ضمنت المؤسسات الصوفية الكثير من
الدخلاء الذين لم يُقبلوا على حياة التصوف رغبة في الانقطاع عن الدنيا
والتفرغ للعبادة، وانما فراراً من قسوة تلك الحياة ورغبة في الهناء دون عناء
أو تعب، (٤) واخذ الصوفية يحيون حياة مترفة بالنسبة لبقية الناس، إذ مما
لاشك فيه ان الدنيا واحوالها شغلت اذهانهم وسلبت تفكيرهم فلم تخلو قلوبهم

(١) المناوي، الكواكب الدرية، ج٢، ص١٥.

(٢) المناوي، الكواكب الدرية، ج٢، ص٢٧.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ١ ص ٣٠٢-٣-٣.

(٤) زكي مبارك، التصوف، ج٢، ص٣٥؛ عبد اللطيف ابراهيم علي، دراسات تاريخية وأثرية، ج ١، ص

منها،^(١) فانصرفوا عن الذكر والعبادة إلى البحث عن الهناء والترف والمال في ظل الاوقات الصعبة التي كانت تمر بها مصر وبلاد الشام في ظل سلاطين المماليك، فنظروا إلى الأوقاف المنتشرة باماكن كثيرة، وما تمتعت به الخوانق من مميزات، حتى ان بضع من هؤلاء المتصوفة ارتبطوا أكثر من خانقاه طمعاً في المميزات التي يحصل عليها الصوفي عند انتماءه إلى احدى هذه المؤسسات،^(٢) ولعل ذلك مما لا يجوز مطلقاً الانتماء إلى أكثر من خانقاه عند التصوف الصحيح، ولقد منع بعض المتصوفة من تلك التصرفات لكن جهود المنع تلك ذهبت ادراج الرياح، وتطور أمر هؤلاء المتصوفة حتى وصفهم المقرئزي بأنهم: " لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى ".^(٣)

ويُنشد السخاوي في ذلك ان
الصوفية احدثو في ديننا لعبةً
من اقتدى بهم قد ضل مثلهم
أهل المراقص لا تأخذ بمذهبهم
وخالفوا الحق دين المصطفى العرب
سحقاً لمذهبهم ولو كان من ذهب
فقد تهادوا على التمويه والكذب.^(٤)

(١) توفيق الطويل، التصوف في مصر، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) محمد محمد امين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٠٤ - ٢٢٣.

(٣) الخطط المقرئزية، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٤) التبر المسبوك، ص ٢٢٠.

ان من الملاحظ على هذا العصر هو ان العامة نتيجة اعتقادهم بالصوفية، ظهر في هذا العصر الانحلال والفساد وكثرة الشطحات الصوفية، فمثلاً شكا الناس إلى الشيخ الجعبري الذي كان الناس شديدي الاعتقاد به شكوا اليه من نصراني، فأحضره وهو يبزي قلاماً، فقال له الجعبري: ان عدت تشوش عليهم، اقط هذا القلم فقالوا له قطه، ولم يكونوا يفهموا مصطلحه، فقطه فسقطت رأس النصراني على الارض فوراً.^(١)

لعل ذلك من اوجه المبالغة في الاعتقاد بكرامات هذا الشيخ . ومن الملامح الأخرى التي ضمن الاعتقاد بالأولياء الصوفية وكانت من شطحات الصوفية، ما ذكره الشيخ ابو العباس عن ابيه الشيخ كمال الدين علي بن محمد بن عبد الظاهر، قال :زرت جبانة فنا وجلست عند قبر الشيخ ابراهيم القنائي، صاحب الطريقة القنائية فيقول: "واذا يد تخرج لي من قبره وصافحتني"، وقال لي : يا بني لا تعص الله في طرفة عين فأني في عليين، وكان اهل بلاده متفقون على تجربة الدعاء عند قبره يوم الاربعاء، يمشي الانسان حافياً مكشوف الرأس وقت الظهر ويدعو بدعاء خاص باهل الطريقة القنائية .^(٢)

فضلاً عن ظهور ملامح تأليه الولي، وهي الاعتقاد به حياً أو ميتاً ففي سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٧م) ظهر يوسف القميني الذي اعتقد فيه العامة انه ولي، وحجتهم الكشف والكلام على الخواطر، وهذا شيء يقع من الكاهن والراهب والمجنون الذي له قرين من الجن، والذي كثروا في هذا العصر،

(١) المناوي، طبقات المناوي، ج٢، ص١٧.

(٢) الادفوي، الطالع السعيد، ص ١٥٧.

وكان يوسف هذا يتنجس ببوله ويمشي حافياً، ويأوي إلى حمام نور الدين ولا يُصلي،^(١) كذلك ابراهيم المولّه المتوفى سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٧م) الذي كان يقال له القميني ايضاً، وذلك لاقامته بالقمامين المنطقة الواقعة خارج الباب الشرقي في دمشق، والذي كان الناس يعتقدون به، ويقولون انه من اصحاب المكاشفات، بيد انه لم يكن يصلي، ومع ان ابن تيمية استتابه على ترك الصلاة ومخالطة القاذورات وجمع النساء والرجال حوله في الاماكن النجسة، لا انه لم يرتدع، كذلك الشيخ حسن الكردي المولّه المتوفى سنة (٧٢٤هـ/١٤٢٥م)، الذي كان يخالط النجاسات والقاذورات ومشي حافياً ويتكلم بشيء من الهذيان التي تشبه المغيبات، وكان لبعض الناس فيه اعتقاد كما هو معروف من اهل القمى والضلالات .^(٢)

كما عرف بقنا الشيخ ابراهيم بن علي بن عبد الغفار بن ابي الدنيا الأندلسي الذي اشتهر بالكرامات والمكاشفات، وذكروا ان الشيخ عبد الرحيم القنائي كان يذكره ويقول: يأتي من بعدي رجل من المغرب يكون له شأن، فقَدَمَ الشيخ ابراهيم فزار الجبانة^(٣)، ثم اتى مكاناً ووقف وغرز فيه عكازاً، وقال: ها هنا سمعت الاذان والاقامة، ورجع إلى الحجاز فوجد أهل البلد بنو رباطاً له فأقام به وتزوج.

(١) للمزيد عن القميني واحواله. ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص ٣٩٠.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ٢٥٠، ص ٢٥٨.

(٣) الجبانة: المقابر وهي عند اهل مصر القرافة. ينظر: ابن جبير، الرحلة، ص ١٩.

اما الشيخ ابراهيم فقد توفي في قنا سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وقبره يُزار هناك، وكان ولده قد حصل له وسواس وكان يقول يحصل لابني شيء ولا يجد من يداويه منه ويموت به وكان كذلك، وإمه زوجة الشيخ ايضاً مشهورة بالصلاح وكانت تُزار، ودفنت بالقرب من زوجها، ويقال انه جَرَب من وقف بين قبريهما ودعا وسأل حاجته تقضي بإذن الله.^(١) وهناك كرامات أخرى يعتقد بها العامة عن الشيخ القنائي .

يبدو تماماً مما تقدم الاعتقاد السائد في الأولياء ووصفهم انهم اصحاب مكاشفات وكرامات وقد تصل بعض الحالات في الاعتقاد بهم إلى تأليه العائلة كلها كما حصل مع الشيخ ابراهيم المذكور وزوجته والاعتقاد بهما حتى بعد وفاتهما، كذلك الشيخ ابراهيم الجعبري، الذي كان يرشد الناس، ويسمعون له، ويحصل في مجلسه امور غريبة ومكاشفات وكرامات، وبنى له الناس رباطاً، ولما مات دفنوه في فناء الرباط الذي عرف باسمه وكان الناس يزورون قبره، ودفنت زوجته إلى جانبه، ولشدة اعتقادهم به كانوا يقولون :ان من وقف بين القبرين ودعا استجيب له.^(٢) من الظاهر انهم من شدة اعتقادهم بهؤلاء الصوفية يشبهون الوقوف بين القبرين كموضع لاستجابة الدعاء، كما الموقف بين قبر الرسول ومنبره وهو احسن مواطن استجابة الدعاء.

فضلاً عن ظهور البدع والانحلال الاخلاقي والشطحات الصوفية ظهرت فرق ضالة تدعو إلى الانكار في الدين والدعوة إلى الضلالات

(١) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٢٨.

(٢) المناوي، طبقات المناوي، ج ٢، ص ١٧.

والانحراف، ومن هذه الفرق ظهرت الفرقة الباجريكية^(١)، والحريرية^(٢)، والقلندرية^(٣).

احتل الإمام الشاذلي مكانة كبيرة بين العامة فإذا ركب تمشي الاكابر والفقراء حوله وتُنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكوسات^(٤) بين يديه، ويأمر النقيب ان يُنادي إمامه: من ارادَ القطب فعليه بالشاذلي رضي الله عنه، وكان يجلس للحديث بين الناس، ويبهرهم بكلامه النافع وحسن الحديث، وكان الناس يعتقدون به لصلاحه فيقول: ابو العباس المرسي: والله

(١) نسبت هذه الفرقة إلى الصوفي الباجريقي محمد بن جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الموصلي كان والده رجلا صالحا من علماء الشافعية وكانت وفاته سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٥م). للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج٤، ص٥٠٦-٥٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٤٨؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٧٦.

(٢) تنسب هذه الفرقة إلى شهاب الدين احمد بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري المعروف بالاعقف صاحب الطائفة الحريرية في دمشق وخدمهم، ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن اسرائيل وكانت لهم زاوية عرفت باسمهم. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٢٣٤؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥٤.

(٣) تنسب هذه الفرقة إلى قلندر يوسف اصله من الأندلس هاجر إلى المشرق وظهرت طريقتة القلندرية في دمشق لأول مرة سنة (٦١٠هـ/١٢١١م) واتباع هذه الطريقة يحلقون شعورهم وشواربهم ولحاهم ولا يأخذون بشعائر الإسلام ولا بمقومات الاخلاق ويأكلون الحشيشة وقد تعرضوا للتعزير والمنع مرات عديدة من لدن السلطة المملوكية. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٦١٥؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٦٤-١٦٥.

(٤) الكوسات: مفرداها كوسة وهي مصطلح عرف في العصر المملوكي يطلق على الطبل احد انواع الطبول المستعملة في النوبة وأحد محتويات الطبلخانة. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٠٠ مادة كوس؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٩؛ حلاق، المعجم الجامع، ص١٩٢.

ما ذكرته في شدة الا انفرجت وفي امر صعب الا هان، وقال ابن دقيق العيد انه ظهرت منه كرامات اوجبت الاعتقاد فيه. (١)

لا يفوتنا ان نذكر ان من الشيوخ المعتمد بهم من قبل العامة هو الشاطبي، الذي اشتهر بالعبادة والتأله، (٢) ولعل مما يعزز قولنا ان: الشيخ القباري كان يكلم الناس من طاقة منزله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٣م) عندما يأتون لزيارته، وهم راضون منه بذلك، ومن غريب ما حكي عنه انه باع دابة له إلى رجل فجاءه الرجل بعد ايام، وقال له: الشيخ القباري وسأله عن صنعته، فقال له: رقاص عند الوالي، فقال القباري: إن دابتنا لا تأكل الحرام، فدخل الشيخ إلى منزله، واعطاه دراهمه، ومعها دراهم كثيرة اختلطت بها فلا تميز، فاشترى الناس من الرقاص كل درهم من دراهم الشيخ القباري بثلاثة دراهم لاجل البركة، واخذ الشيخ دابته ولما توفي الشيخ القباري، ترك من الاثاث ما يساوي خمسين درهماً على حد قول ابن كثير: الا انها بيعت بمبلغ عشرين ألفاً. (٣)

لعل ذلك يبين مدى احترام وتقديس العامة للصوفية، للاعتقاد بهم وأخذ البركة من أموالهم ومقتنياتهم.

ومما يعزز مكانة هؤلاء وجعلهم يعتزون بانفهمس كثيراً وجعلهم يصمدون في وجه الأمراء والسلاطين ما رواه المقرئ عن الشيخ القباري في حوادث سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م)، حين اراد الظاهر بيبرس زيارته حين زار

(١) ينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص ٣٩-٤٢.

(٢) السيوطي، حُسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٢١.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٥٧.

السلطان الاسكندرية انه ترفع عن ملاقاته السلطان، ولم يسمح له بالطلوع إلى منزله، ولن يكلمه الا وهو في البستان والشيخ على عليته،^(١) ويضيف ابن كثير انه كان يكلم الأمراء والسلاطين الذين كانوا يحضرون إلى داره ولا يقبل منهم الطلوع اليه.^(٢)

لاجرم من قولنا ان الكرامات التي يظهرها هؤلاء الصوفية هي التي بسببها استحصلوا المكانة العالية التي حصلوا عليها عند العامة كالذين كانوا يظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الناس فيذكر ابن كثير: ان الشيخ احمد الملقب بالعصيدة كان مشهوراً عند الناس بالخير والصلاح، ويكثر خدمة المرضى بالمارستان، وله ايثار وقناعة وتزهد، كما ان له احوال مشهورة،^(٣) كذلك الشيخ القطناني، علي بن عبدالله المتوفى سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٨م)^(٤)، المنسوب إلى قطنا احدى قرى دمشق،^(٥) الذي اشتهر امره بين الفلاحين، وكان يتبعه شباب على طريقة الرفاعي وعظم امره وسار ذكره، وكان يقيم لهم الساعات، الا ان له اصحاب يظهرون اشارات باطلة، واحوال مفتعلة وهذا مما كان يُنقم عليه بسببه، وانه كان يقرهم على احوالهم.^(٦)

(١) السلوك، ج ١، ص ٤٩٩.

(٢) البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٥٧.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤٤٣.

(٤) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ١٤٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٧٧.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٧.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤٩٠.

استحصل بعض المتصوفة مكانة كبيرة عند العامة في مصر وبلاد الشام بسبب تقربهم من العامة وتقديم الدعم والخدمات لهم، أو التودد لهم والتعامل معهم باللطف والحسنى، فقد عرف عن الشيخ شهاب الدين الرومي إمام الحنفية بدمشق، انه كان له حسن تلقي من العامة واعانة للضعيف^(١)، كما عرف عن الشيخ الجُبني نسبة إلى اكله الجبن المتوفى سنة (٧١٧هـ/١٣١٨م)^(٢)، الذي كان الناس ينتفعون به، ويجلسون اليه عند صندوق كان له بالجامع الاموي بدمشق، كما كانوا يصححون عليه، ويقابلون معه على حد قول ابن كثير، كذلك الشيخ العز حسن بن زفر الاربلي المتوفى (٧٢٥هـ/١٣٢٦م)، الذي كان مقيماً بدويرة حميد، ويخدم في المارستان الصغير، ويحبب الناس لحسن مجلسه.^(٣)

كذلك الشيخ نجم الدين ابن صصري المتوفى سنة (٧١٦هـ/١٣١٧م)^(٤)، الذي باشر مشيخة الشيوخ بدمشق عند الصوفية، للمكانة العالية التي استحصل عليها عند الصوفية انهم هم من اختاروه لمشيخة الشيوخ وسألوه ان يتولى عليهم.^(٥)

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٥٧.

(٢) الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، ص٩٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٨٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ١٧٠، ص٢٧٢.

(٤) ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥؛ ابن تغري بردي، الدليل

الشافعي، ج١، ص٧٥-٧٦.

(٥) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٥٥.

صفوة القول ان الصوفية في هذا العصر في مصر وبلاد الشام استحصلوا مكانة كبيرة في نفوس الشعب على اختلاف طبقاته، ونالوا الحظوة لدى الأمراء والسلاطين، الذين تقربوا اليهم وقربوهم اليهم لكسب ودهم، وفي نفس الوقت لكسب ود الشعب الملتف حولهم، ولأجل ذلك كانت العلاقة بين الصوفية والشعب علاقة جيدة حسنة .

الفصل الثالث

أوجه الخلاف بين الفقهاء والمتصوفة ومواقف فقهاء المذاهب من المتصوفة في عصر سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام

- المبحث الأول: مواقف فقهاء الحنفية من المتصوفة
- المبحث الثاني: مواقف فقهاء المالكية من المتصوفة
- المبحث الثالث: مواقف فقهاء الحنابلة من المتصوفة
- المبحث الرابع: مواقف فقهاء الشافعية من المتصوفة
- المبحث الخامس: مواقف المتصوفة من الفقهاء

المبحث الأول

مواقف فقهاء الحنفية من المتصوفة:

كان لسلاطين المماليك، دورٌ فاعل في دعم وتوظيف المذاهب الدينية سياسياً، وبما يخدم سياستهم ويوطد أركان حكمهم، فسياسة العمل بمقتضى المذاهب الأربعة التي طبقها السلطان الظاهر بيبرس،^(١) ليكسب ود أتباع هذه المذاهب، والتي كانت سياسة ناجحة، استطاع من خلالها صهر المذاهب الدينية في مصر المملوكية في بوتقة واحدة، كما أدى إلى تقوية وجودها في مصر وبلاد الشام،^(٢) ففي العصر الايوبي جرى توظيف المذهب الشافعي لمواجهة الفكر الشيعي الاسماعيلي^(٣)، فكر الدولة الفاطمية ومذهبها، مما سمح بازدياد نفوذ هذا المذهب على حساب المذاهب الأخرى

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٤٦٠؛ العلمي، مجبر الدين (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)،

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنيس، عمان، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٧٢.

(٢) الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٤م،

ص ٢٥٢.

(٣) ثاني اكبر طائفة شيعية بعد الامامية الاثني عشرية، وهو مذهب باطني سري يصعب على اهله معرفة حقيقته لأن أتباعه اتبعوا التقية، وقد انفصلت هذه الطائفة عن الشيعة اثر خلاف على الامامة بعد وفاة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قالت الاولى بإمامة ابنه الاكبر موسى الكاظم (عليه السلام)، والثانية بإمامة ابنه اسماعيل بن جعفر الذي توفي في حياة ابيه وانتقلت الامامة الى ابنه محمد وسميت الاسماعيلية او السبعية لأن محمد هو السابع من ذرية الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وانقسمت عنها فرق عديدة. للمزيد ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٩١-١٩٣؛ المقرئ، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ١٠٠

في الدولة،^(١) إلا أن المذهب الشافعي كان مذهب الدولة المملوكية الرسمي، الذي تراجع نهاية عصر دولة المماليك، عندما بدأ النفوذ العثماني بالظهور سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٦ م)،^(٢) بيد أن المماليك أدركوا أن فقهاء وشيوخ المذاهب هم حماة الشريعة، والمعتمدين في تأويل المذاهب، وتمثيلها في الدولة،^(٣) لذلك حرصوا على استمالتهم وتعيينهم في الوظائف الهامة في الدولة، ليحققوا سياستهم في الحكم، بيد أن الشافعية كانوا أكثر المذاهب نفوذاً وعدداً في مصر وبلاد الشام، الذين لم يُرَقَّ لهم تعيين فقهاء المذاهب الأخرى في المناصب التي تتنافسهم لذلك كثرت الاقاول، حول شرعية فعل الظاهر ببيرس حين قام بتعيين قضاة أربعة للمذاهب الأربعة في مصر وبلاد الشام، ويذكر ابن إياس: أن الملك الظاهر ببيرس رأى رؤية بعد استحداثه للمذاهب الأربعة: بأن الإمام الشافعي قال له في المنام: بهذلت مذهبي في مصر، وفرقت كلمة المسلمين، والله لأعزلنك انت واولادك إلى يوم القيامة،^(٤) ويذكر أيضاً: أنه ما جلس على كرسي عرش مصر سلطان، وكان متقلداً بغير

(١) ينظر: المقريزي، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، ص ٢٩؛ السيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر

تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧ م، ص ١٣٩-١٥٦.

(٢) ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٤٥٧ م) مفاكهة الخلان في حوادث

الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م، ص ٣٤٨.

(٣) لايبندوس، إير مارفن، مدن الشام في العصر المملوكي، تعريب: سهيل زكار، دار الاحسان

للطباعة، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٢٧٦.

(٤) بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٨.

مذهب الشافعي، الا عَزَل سريعاً أو قتل، ولعل ذلك ما حصل للسلطان قطز، الذي كان حنفياً، ولم يمكث الا قليلاً وقُتِل. (١)

بيد اننا لا نرجح هذا الكلام، كون السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، كان يميل إلى المذهب الحنفي، لكنه استمر في حكمه مدة طويلة رغم تجاهله للمذهب الشافعي وتفضيله للمذهب الحنفي، (٢) كما عرف أيضاً عن ارباب السيوف من الأمراء المماليك، أنهم كانوا على المذهب الحنفي، الا أنهم حافظوا على التقيد بالمذهب الشافعي لحضوره وسطوته في الدولة المملوكية، فعلى الرغم من أن السلطان المنصور قلاوون كان يميل إلى الحنفية، بيد أنه كان يتقرب للشافعية، ولعل ما يدل على صحة قولنا مثلاً دعوته إلى صلاة الغائب على الملك السعيد بن الملك الظاهر بيبرس وعلى المذهب الشافعي، (٣) ويبدو أن ذلك بسبب ان المذهب الشافعي كان مذهب الدولة الرسمي، أو لعل الأكثرية كانوا على ذلك المذهب، ولعل من المفيد أن نذكر أن المذهب الحنفي كان ثاني المذاهب من حيث الأولوية بعد المذهب الشافعي في التعيين في مناصب الدولة الإدارية والدينية، (٤) حيث كان قاضي العسكر، ونظارة بيت المال، وغيرها من الوظائف الهامة يختص بها

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٥٨-٥٩، ص ٦٧.

(٣) المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ١٥٧.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٢٢٨.

المذهب الشافعي ولا يُعين عليها الا من فقهاء هذا المذهب،^(١) ولا يفوتنا أن نذكر ان المذهب الحنفي أكثر المذاهب الأربعة، وأكثرهم انتشاراً في مشرق الارض ومغربها،^(٢) وكان قد انتشر في مصر منذ أن قام صلاح الدين بتغيير مذهب الدولة التي كانت على المذهب الشيعي، فانشأ بمصر مدرسة للشافعية، وأخرى للمالكية، فتظاهر الناس بمذهبي مالك والشافعي في بلاد الشام، ومرجع ذلك ان السلطان العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي كان حنفياً وتعصب للحنفية ببلاد الشام، ومنه انتقلت الحنفية إلى مصر، مما أدى إلى تقوية هذا المذهب في القاهرة زمن الايوبيين، وما قيام صلاح الدين ببناء المدرسة السيوفية بالقاهرة، الا لتقوية المذهب الحنفي، الذي انتشر وكثر فقهاؤه بمصر والشام كما قدمنا، إلى أن اختفى مذهب الشيعة من مصر كلها.^(٣)

ان من الملفت للنظر ان بعض سلاطين المماليك يشذ في اختصاصه بتفضيل المذهبين الحنفي والحنبلي على الشافعي والمالكي، كالسلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث جعل أصحاب المذهبين الحنفي والحنبلي

(١) الطرسوسي، نجم الدين ابراهيم بن علي (ت ٧٥٨هـ/١٣٥٨م)، تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك، تح: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص ٩١-٩٢؛ ابن كنان، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/١٦٧٥م)، حقائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تح: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٤٣، ص ١٦٠.

(٢) ينظر: المقرئ، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، ص ٤٩؛ الافغاني، شمس الدين السلفي، جهود علماء الحنفية في ابطال عقائد القبرورية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) المقرئ، مذاهب أهل مصر وعقائدهم، ص ٤٩.

هما المفضلين، وجعلهم عنده في دار العدل^(١)، دون سواهما من المذاهب،^(٢) كذلك بعض امرائه المماليك، ومنهم الأتابك^(٣) يلغا^(٤) العمري، الذي كان من المتعصبين للحنفية على المذهب الشافعي، ومن الداعمين والناصرين لهم رغم قوة المذهب الشافعي،^(٥) كما عرف عن السلطان

^(١) هي الدار التي أنشأها السلطان الشهيد نور الدين محمود زنكي وجعل مهمتها إزاحة المظالم عن الناس، وتقع هذه الدار مقابل اسطبل السلطان من جهة الباب الغربي لقلعة دمشق ثم اضيفت في العهد المملوكي الى دار السعادة واصبحت من ضمنها كما عرفت بدار العدل البرانية ودار العدل الشريفة. للمزيد ينظر: ابن طولون، أعلام الوري، ص ٧٥؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٢٨١؛

^(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٦٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١١.

^(٣) لقب تركي من القاب ارباب الوظائف يتألف من مقطعين ((اطا او اتا)) ومعناه الاب الكبير او الشيخ المحترم و((بك)) تعني الوالد الامير ويلقب به امير الجيوش، كالنائب والكافل، وهو يرجع إلى الاتابكيات التي كانت من بقايا عادات الترك التي احيها السلاجقة، للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٦، ص ٥؛ الباشا، الالقاب الإسلامية، ص ١٢٢؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والالقباب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٧؛ الشهابي، معجم القاب السلاطين في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٦.

^(٤) هو الامير أحمد بن بليغا الخاصكي، أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون الصالحي كان ذو شأن كبير، وهو من اشترى السلطان برقوق الجركسي الذي تسلط وأصبح فيما بعد رأس السلطة المملوكية في دولة المماليك البرجية التي خلفت دولة المماليك البحرية. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٣.

^(٥) ابن الياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٢٢.

حسن^(١) بن قلاوون، أنَّه كان يناصر الشافعية على الاحناف مما اثارهم ودفعهم إلى تأليف الكتب للطعن في المذهب الشافعي، فيذكر المقرئزي وغيره من مؤرخي العصر المملوكي: ان الأمراء الحنفية سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)^(٢)، طلبوا من القاضي الحنفي سراج^(٣) الدين الغزنوي الهندي (ت ٧٧٣هـ / ١٣٣٤م)، الرد على الكتاب الذي كتبه فخر^(٤) الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٧م)، وطعن فيه بالحنفية، وقد رد عليه الغزنوي الحنفي بشكل مماثل بكتاب سماه " الغرة المنيفة في تحقيق مسائل ابي

(١) هو بدر الدين ابو المعالي حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون الصالحي الالفي، وهو تاسع سلاطين المماليك الترك بالديار المصرية، والسابع من اولاد قلاوون، تسلطن لمدته تسعة اعوام ضيق فيها على الامراء فتامروا عليه وخلعوه عن العرش ونصبوا اخيه بدلاً عنه توفي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٣م). للمزيد ينظر: ابن العراقي، الذيل على العبر، ج ١، ص ٤٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج ١، ص ١١٣.

(٢) المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٧؛ الطرسوسي، تحفة الترك، ص ٩١-٩٢.

(٣) هو عمر بن اسحق بن احمد الغزنوي القاهري الهندي تفقه على الوجيه الرازي في مدينة دلهي وغيره من علماء الهند وحج وقدم القاهرة وقويت شوكته وتولى القضاء استقلالاً وصنف التصانيف الكثيرة. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٥٥؛ ابن الغزي، ابو المعالي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧هـ / ١٧٨٩م)، ديوان الاسلام، تح: سيد حسين كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٢٠-٢١.

(٤) هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الطبرستاني المولد التيمي البكري النسب الشافعي الاشعري العقيدة الملقب فخر الدين وابن خطيب الري وسلطان المتكلمين صاحب التصنيف المشهورة عالم موسوعي امتدت بحوثه من العلوم الانسانية واللغوية الى العلوم البحتة كالفيزياء والطب واقبل عليه الناس وكان يحسن الفارسية مع العربية. للمزيد ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٣٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ١٢٥.

حنيفة " ^(١)، كذلك انتقد القاضي الحنفي البخاري ^(٢) كتاب الفصوص لابن عربي انتقاداً شديداً واصفاً إياه بالإلحاد والزندقة، فقال عنه: " ... ها أنا ألقى عليك فذلّة تلك الزندقة المترجمة بعلم التصوف عند الملاحدة والمتزندقة، والزندقة المسماة بالوحدة المطلقة التي هي نحلة اكفر الكافرين، وهي ما اشتمل عليه كتاب الفصوص المُكذّب لجميع ما تُبَيّن بمحكمات النصوص الهادم لبُنيان الدين المرصوص" ^(٣)، أما رشيد ^(٤) الدين الحنفي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، مدرس المدرسة الشبلية، فقد انتقد ابن عربي، وقال: أنَّه كان يستحل الكذب، وهذا احسن احواله . ^(٥)

^(١) هذا الكتاب من افضل المؤلفات في الفقه الحنفي ولا يستغني عنه الباحثون في هذا المذهب تضمن بعض المسائل الدينية وarkan الاسلام من صوم وصلاة وحج وزكاة كما تناول فيه امور الحياة واحكام البيع والشراء والرهن والوكالة والاجارة والشفعة والهبة والوديعة ومما يحتاجه الانسان في تعاملاته اليومية استنبطها المؤلف من فقه الامام ابي حنيفة. للمزيد ينظر: الغزوي، الغرة المنيفة في تحقيق مسائل ابي حنيفة، مكتبة الثقافة الاسلامية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٨، ص٢٩، ص٦٦، ص١٠٩.

^(٢) ابو الحسن علي بن موسى بن ابراهيم الرومي ولد في بلاد العجم ورحل الى بلاد الشام واقام بها وتولى مشيخة الصوفية في مدرسته التي انشأها وباشّر التدريس فيها وكان بارعا في الاصول وعلوم شتى (ت ٨٤١هـ / ١٣٨٢م). للمزيد ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٣٥٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٤١.

^(٣) دغش، ابن عربي وعقيدته، ص٥.

^(٤) هو سعيد بن علي بن سعيد احد ائمة المذهب كان ديناً ورعاً اماماً عالماً فاضلاً كثير الديانة.

للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٥٦.

^(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٢٤٤.

لعل ذلك يبين ان الصراع الثقافي هو احد اوجه الصراع بين الفقهاء والمتصوفة او الرد على الصوفية من قبل الفقهاء من خلال تأليف الكتب لمجابهة افكارهم ودحرها .

ان هذا الميل والتعصب للأحناف، جوبه من قبل بعض السلاطين الذين نهوا عن الغلو مثلما فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون، برغم أنه كان حنفي المذهب، الا أنه نهى عن الغلو في مذهب ابي حنيفة، و دعى إلى التسامح والمساواة بين المذاهب، وعدم تفضيل مذهب على آخر،^(١) الا ان هذا السلطان عندما كان يشعر ان نفوذ أي مذهب من المذاهب، قد زاد عن حده، أو طغى أحد قضاة يقوم بعزل القاضي، أو تأنيبه، كما يسعى إلى التخفيف من نواب قضاة ذلك المذهب في البلاد، وتحديد صلاحيات ذلك القاضي، أو تجريده منها، كما حصل عند عزل السلطات الناصر محمد بن قلاوون القضاة الثلاثة وابقى على القاضي المالكي.^(٢)

كان الحنفية يبالغون كثيراً بتعظيم إمامهم ابي حنيفة ويبالغون بمدحه، ومنهم ما كانوا يلتزمون بوصفه بالإمام الأعظم، وقد كررها عبد القادر القرشي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٥م) في طبقات الحنفية بقوله: "... الإمام الأعظم، والهمام الاقدم، وتاج الائمة، وسراج الامة ابو حنيفة النعمان..."^(٣). ترتب عن هذه المبالغات أن عمت الناس الخاصة منهم والعامة، و انتشر بينهم تقليد الائمة والتعصب لهم، وتجاوزوا الحد في ذلك التعظيم،

(١) ينظر: المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) الصفي، أعيان العصر، ج ١، ص ٨١.

(٣) ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج ١، ص ٤٥١، ص ٥٢٤، ص ٥٢٦، ص ٥٥٦.

والامتنال لآرائهم، والتي قد يجعل منها البعض منهم دستوراً لحياته إلى حد لا يُوصف، بل يصلها بعضهم إلى مستوى كلام الله عز وجل وسُنَّة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.^(١)

ولعل ما يعزز ما ذكرناه قول: ابو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) أن المقلدين المتعصبين في زمانه بلغ بهم الامر إلى أن اصبحت أقوال الائمة عندهم بمنزلة الكتاب والسُنَّة، فصَدَق عليهم قوله تعالى: " واتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم " ^(٢)، ولغلبه التعصب عليهم كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم، وانتهى بهم التعصب لحد ان احدهم إذا أوردَ عليه دليلاً من القرآن والسُنَّة اجتهد في دفعه بكل السُّبل إلى التأويلات البعيدة لنصرة مذهبه، مما انتهى الامر بهؤلاء إلى اهمال علوم الكتاب والسُنَّة وتفضيل ما هم عليه، بسبب تقليدهم الاعمى وتعصبهم.^(٣)

من الظاهر ان هذا التعصب والصراع الذي كان يجري بين اصحاب المذاهب المختلفة، فكيف بالصراع الذي يكون بين الفقهاء والمتصوفة الذين يعدهم الفقهاء اقل منهم شأنًا ودينًا، لأنهم لا يلتزمون لا بكتاب الله ولا بسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، لذلك لاجرم من قولنا باختلاف مواقف الحنفية من التصوف والمتصوفة بين مؤيد ومعارض ومنكر ومجانب، وكانوا من اشد الناس انكاراً على الصوفية في انحرافاتهم، ومنهجهم يتفق مع

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، القول المفيد، تح: عبد الرحمن عبد

الخالق، دار القلم، الكويت، ١٣٩٩م، ص ٧٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) مختصر كتاب المؤمل للرد على الأمر الأول، دار الشهاب، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص ٢١٧ - ٢١٨.

الإمام مالك في منع الناس في الغلو في الدين، لدرجة أن الإمام أحمد بن حنبل قال: " إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَبْغِضُ مَالِكاً وَابُو حَنِيفَةَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ..."^(١). أما موقف الحنفية من دعاة وحدة الوجود، فاننا لا نبالغ لو قلنا ان الفقيه القاضي سراج الدين الحنفي الوارد ذكره اعلاه، كان يقف موقفاً ايجابياً من الصوفية ودعاة وحدة الوجود، أتباع ابن عربي، حتى قيل أنه عزز^(٢) ابن ابي حجلة^(٣) حينما تكلم بالسوء عن ابن الفارض وانكر عليه موقفه منه، وكان المذكور شافعي المذهب ولشدة تعصبه ضد المتصوفة وانكاره على ابن الفارض، كتب كتاباً فيه مدائح نبوية عارض فيه القصائد التي كتبها ابن الفارض، حط فيه عليه وعلى نحلته ورماه ومن يقول بقوله بالأمور العظيمة، ووصفهم بالاولصاف الشنيعة، وقد اسماه ((غيث العارض في معارضة ابن

(١) الحلبي، الزهص والوقص لمستحلي الرقص، ص ٩٤.

(٢) التعزير: لغة من عزز يعزز اي أدب ورد وردع، وفي الاصطلاح هي احدى العقوبات التي كانت معروفة ذلك العصر والتي ليس فيها حد مقدر في الشرع وهو على انواع كالتوبيخ والتشهير والعزل عن المنصب وهو على قدر الجريمة وباجتهاد القاضي ورأيه وقد تصل الى الضرب او الرجم ولا تصل الى القتل. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٦٢؛ ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م، ج٤، ص٣.

(٣) هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى التلمساني اديب شاعر ولد في تلمسان واليها نسب تولى مشيخة الصوفية في تكية منجك بالقاهرة وكان يعارض ابن الفارض في قوله بوحدة الوجود توفي سنة (٧٧٦هـ/١٣٧٧م). للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٥٧١ - ٥٧٢ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٤١٥ - ٤١٦.

الفارض))^(١)، حتى أنه طلب ان يوضع الكتاب الذي كتبه على نعشه وان يدفن معه في قبره حين يموت، وكان ذلك ما سبب له الكثير من المشاكل التي وقعت له، وامتحانه على يد القاضي السراج الهندي الحنفي،^(٢) لعل ذلك الكتاب كان احد المواقف التي اتخذها فقهاء الحنفية في الرد على الصوفية ومن ضمن الصراع الفكري بين الفقهاء والمتصوفة، على ان لا يفوتنا ان نذكر ان هذه العقيدة يعتقد فيها اصحابها من الصوفية : ان الله تعالى يظهر ويتجلى في صور المخلوقات المختلفة، فهو عندهم الظاهر في جميع المظاهر، لا بمعنى أنه يتحد، او يحل في مخلوق بل يرون : " ان الله ما يتجلى الا عن نفسه، ولكن تسمى تلك اللطيفة الالهية عبداً باعتبار أنها عوض عن العبد، والا فلا عبد ولا رب، اذ بانتفاء اسم المربوب ينتفي اسم الرب فما ثم الا الله وحده "^(٣)، ويعلل ابن عربي سبب ظهوره في صور الكائنات : ان الله كان وجوداً مطلقاً، ليس له اسم ولا صفة، ثم اراد ان يرى

(١) احتوى الكتاب على قصائد نبوية في مدح الرسول رد فيها على قصائد ابن الفارض وعاب عليه وانكر عليه كتابه أنه لم يمدح الرسول فيه (ص) على ثم خاتمة الكتاب التي تضمنت مجموعة من الفتاوى والنقول عن جمع من الائمة الأعلام حول موقفهم من ملاحدة التصوف اصحاب وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والتلمساني وجعل تحت كل نقل من نقولاته عنوان نصيحة وعرف بديوان ابن ابي حجلة، وقامت عدة دور للطباعة والنشر بطباعته ونشره. للمزيد ينظر: ابن ابي حجلة، غيث العارض في معارضة ابن الفارض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٢) المقرئ، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تح وتعليق: محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٣٩١.

(٣) الجليلي، عبد الكريم بن ابراهيم (ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٦م)، الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص٦٢.

نفسه في مرآة هذا الوجود وتظهر اسماءه وصفاته في صور الكائنات المعدومة للعين الثابتة في علمه تعالى، ^(١) وقد انكر ابن ابي حجلة موقفهم من ذلك كما عاب على مذهبهم، قائلاً: "... وعلى الجملة فهؤلاء مذهبهم ظاهر الفساد، فان الاتحاد محال عقلاً وشرعاً، فالخالق غير المخلوق، والرازق غير المرزوق، والعابد غير المعبود، ^(٢) ولعل من المفيد ان نذكر ان الواضع الحقيقي لمفهوم وحدة الوجود ودعائمه ومؤسس لمدرسته، والمفصل لمعانيه ومراميه، والمصور له بصورته النهائية تلك هو ابن عربي. ^(٣)

أما موقف الحنفية من السماع، والرقص ونقر الدفوف في المساجد، فقد تشدد الحنفية في ذلك ولم يعدوه من المكروهات والمحرمات فقط، بل عدوه كفراً واضحاً، وكان امامهم ابي حنيفة قد تشدد في ذلك من قبل، فقد كان يكره الغناء المصاحب لنقر الدفوف ويكره سماعه، ويجعله من الذنوب العظيمة، ويعل: ذلك الكره بأنه مذهب أئمة اهل الكوفة لا اختلاف بينهم في ذلك، ويذكر أنه لم يعلم عن اهل البصرة خلافاً في كراهية ذلك، ولعلنا لا نبالغ في القول: ان الحنفية وصل بهم الحال إلى جعل الحُصر المفروشة في تلك المساجد التي يقيمون فيها، ويؤدون عليها حركاتهم الصوفية الراقصة، قالوا: أن لا يُصلى عليها حتى تُغسل وتُغسل الارض التي يرقصون عليها ولا

(١) فصوص الحكم، ص ١١.

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٥٠٤م)، القول المنبني عن ترجمة ابن عربي، تح ودراسة: خالد بن العربي مدرك، دار كتاب، الرياض، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ١١٢؛ دغش ابن عربي وعقيدته، ص ٧٢.

(٣) ابن عربي، فصوص الحكم، ص ٢٦.

يُصلى عليها حتى يُحفر ترابها ويُرمى لجعل الأرض طاهرة كي يصلى عليها.^(١)

ويشير النسفي في كتابه شرح الكنز إلى تحريم الرقص، فيقول: عن حديث للرسول (ص): " كل لعب بني آدم حرام الا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله، وتأديبه فرسه، ومناضلته لقوسه " ^(٢)، وهذا نص صريح في تحريم الرقص الذي يسميه المتصوفة السماع، ويشدد على أن الحنفية ترى أن السماع فيه انواع الفسق، وانواع العذاب في الآخرة،^(٣) ويذكر ابن القيم: ان سماع الاصوات المطربة من اقوى موجبات السكر، من جهة أنّها في نفسها توجب لذة قوية، ينغمر منها العقل، وأنّها تحرك النفس نحو محبوبها كائنًا ما كان من جهة أخرى،^(٤) لعل ذلك ما ذهب اليه الزيلعي: أنّها من انواع الفسق لاجتماع المكروهات فيه من الشراب المسكر الذي يذهب بالعقل مع سماع الآلات الطرب، والاهم من هذا يمنع عن الصلاة، ويورد الحلبي ما ذكره النسفي في احد مؤلفاته أنّه اجاب: عندما سُئل عن سموا أنفسهم صوفية،

(١) ينظر: ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ٩٧-١٠١.

(٢) حديث صحيح عن عبد الله بن زيد بن عقبة بن عامر عن النبي صلي الله عليه وسلم. ينظر: الطبراني، ابي القاسم سليمان بن احمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٨٢م)، المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ١٧، ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي الحنفي (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٤م)، شرح كنز الدقائق للنسفي، تح: احمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٧، ص ٧٠.

(٤) ينظر: ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد عزيز شمس، مطبعة المجمع الفقهي الاسلامي، جدة، ص ٢٣٢.

واختصوا بلبس معين واشتغلوا بالرقص واللهو، وأدعوا لأنفسهم المنزلة فقال: أن هؤلاء افترؤا على الله كذباً.^(١) يبدو مما تقدم انحراف هؤلاء المتصوفة عن اصل التصوف، ويُشير ابن ابي العز^(٢) الحنفي إلى بدع الصوفية قائلاً: ان من بدعهم أنَّهم افضل من الانبياء، ويُرجع ذلك إلى ان الكثير من هؤلاء يظن نفسه يصل باجتهاده في العبادة يصل إلى ما وصلت اليه الانبياء من غير اتباع لطريقتهم، ومنهم من يظن أنَّه صار افضل من الانبياء، ويرى ان عقائد ابن عربي كلها كفر، وان في كلامه من الزيف والزغل ما لا يخفى على كل ناقد حاذق بصير، وأنَّه وامثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدرك الاسفل من النار،^(٣) لعل من المفيد أن نذكر ان الحنفية كانوا من ابرز دعاة القبورية، وهي عقيدة الاستغاثة بموتى القبور، والتي هي من أكثر الموضوعات الخلافية بين دعاة التوحيد، ودعاة الشرك، بل هي الركيزة الاساسية في الخلاف، وان هذه العقيدة هي بدعة،^(٤) ويرى عبد الغني المقدسي احد الفقهاء المشهورين : أن الرُّشد والهوى والفوز لا يكون الا

(١) الحلبي، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (ت ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م)، كتاب الزهص والوقص لمستحلي

الرقص، تح: حسن السماحي، دار البشائر للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، ص ٣٦.

(٢) هو صدر الدين علي بن محمد بن محمد الدمشقي الحنفي سمع من فاطمة بنت سليمان واشتغل

وناب في الحكم مات سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٧م). للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص

١١٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٥٥٧.

(٣) ابن ابي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ٤٩٢.

(٤) ابن تيمية، نقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ / ١٣٤٩م)،

الاستغاثة في الرد على البكري، تح ودراسة: عبد الله دجين السهيلي، دار الوطن للطباعة، الرياض،

١٩٩٧م، ج ١، ص ١٣ - ١٤.

بمتابعة الكتاب والسنة دون الرجوع إلى ما أحدثه المحدثون بعقولهم وآرائهم الفاسدة فالتقديم هو لنصوص الشرع دون غيرها، لا لذوق ووجد المتصوفة، والاصول الثلاثة هي (الكتاب والسنة والاجماع) وهي المصادر الاساسية التي اعتمد عليها اهل العلم، في هذا القرن - موضوع البحث- في تلقي جميع المسائل المتعلقة بالدين والاستدلال بها على كل صغيرة وكبيرة، لا ترهات وخزعבלات وخرافات الصوفية من اذواق وكشف ومواجيد مزعومة.^(١)

خلاصة القول: ان فقهاء الحنفية وقفوا مواقف متباينة من التصوف والمتصوفة فمنهم من انكر عليهم تصرفاتهم واحوالهم وشطحاتهم ومنهم من انصفهم او اتفق معهم، ومنهم من بادر الى الرد على افكارهم وأقوالهم وعارضهم بالكتب والمؤلفات.

(١) الجوير، محمد بن أحمد بن علي، جهود علماء السلف في الرد على الصوفية، مكتبة الرشيد، ناشرون، الرياض، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٧؛ الافغاني، جهود علماء الحنفية في ابطال عقائد القبور، ج ١، ص ٤٢٢.

المبحث الثاني

مواقف فقهاء المالكية من المتصوفة:

وقف فقهاء المالكية مواقف متباينة من التصوف بين مؤيد ومخالف، وكانوا من اشد الناس إنكاراً على أصحاب الطرق الصوفية، ممن يتشبثون بأذيال المذهب، ولزوم نهجه، وهم يخالفون سلوكهم وطريقتهم فقد انكر المالكية السماع الصوفي الذي أحدثه المتصوفة انكاراً شديداً، ورفضوا سماع القصائد والرقص والغناء على وقع الدفوف، الذي يحدثه المتصوفة بدعوى أنها مثيرات للوجد وباعثه له،^(١) وقد رفض ذلك الإمام مالك (ت ١٧٩هـ/ ٨٠١م)^(٢)، الذي كان متمسكاً بأداب الإسلام متبعاً للسنة المطهرة في فقهه وعقيدته وسلوكه، فلا غرو من قولنا أنه من الاوائل الذين رفضوا، وانكروا على المتصوفة بدعهم، وقد يكون تصدى لها كونها كانت حديثة القرب من عصره، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا : أنه جاء في المدونة التي كتبها قوله: " ... واكره الإجارة"^(٣) على تعليم الشعر والنوح، أو على كتابة ذلك، أو

(١) ينظر: القاضي عياض، ابو الفضل بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٦٦م)، التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تح: محمد الوثيق وعبد النعيم محيتي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١١م، ج ٣، ص ١٤٨٧.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٣٠٧؛ الذهبي، الاشارة الى وفيات الاعيان، ص ٨٥.

(٣) الاجارة عند المالكية : هي بيع منافع معلومة بعوض معلوم وهو ما امكن نقله عبر سفينة. للمزيد ينظر: القرافي، شهاب الدين احمد بن ادريس (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، الذخيرة، تح: محمد حجي وسعيد اعراب ومحمد بو خبزة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٦، ص ١٨؛ الرصاع، ابو عبد الله محمد الانصاري (ت ٨٩٤هـ/ ٤٨٩م)، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الامام ابن

إجارة كتب فيها ذلك أو بيعها ...^(١)، ويصف القاضي عياض هذا النوح عند المتصوفة في أناشيدهم عن طريق النوح والبكاء والمسمى بالتغني،^(٢) ورواه بعضهم وجعله نوحاً،^(٣) وسئل الإمام مالك عن هذا التغني، وعما رخص من أهل المدينة من الغناء الذي يصدق به الصوفية مع نقر الدفوف قال: إنما يفعله الفساق عندنا ونهى عن الاستماع له.^(٤)

وعندما سئل الإمام مالك عن لبس الصوفية الخشن من الثياب وهل يستطيع المتصوف لبس الأبيض من الثياب، اجاب: لا خير في الشهرة، ولا أحب اللباس الأبيض لما فيه منها، ويقصد بهذا التواضع، ويقول: قد يجد بثمنه غليظ الثياب من القطن ما يقوم مقامه،^(٥) وخير ما يدل على رفض الإمام مالك للصوفية وإدعائاتهم هو ما ذكره القاضي عياض عن غيره، قال كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين^(٦): " يا ابا عبد

عرفة الوافية المعروف بشرح حدود ابن عرفة، تح: محمد ابو الاجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥١٦.

(١) الإمام مالك، المدونة الكبرى، ص ١٧٧.

(٢) ترتيب المدارك، ج ١، ص ٥٤.

(٣) القاضي عياض، التنبيهات المستنبطة، ج ٣، ص ١٤٨٧.

(٤) ينظر: ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٩٧-١٠١.

(٥) ينظر: الحسيني، خلدون مكّي، وقفات هامة وتنبيهات مهمة على كتاب معالم السلوك للجفري، ط ٢، دار البيان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ٩٥.

(٦) مدينة كبيرة من ديار ربيعة بين حلب والموصل ذات اسواق عامرة وسور وهي مقصد للتجارات وبها بساتين ومزارع ومن الغلات الكثير. للمزيد ينظر: الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٦١-٦٦٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٣٦٨.

الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، فقال مالك: أمجانين؟ قال: لا، هم قوم مشايخ.

قال مالك: ما سمعنا أحداً من اهل الإسلام يفعل هذا...^(١)

ويبدو من النص والحديث الذي دار بين الإمام مالك والرجل عن المتصوفة، انكاره لأفعالهم، ووصفه لهم بقلّة العقل، وكذلك بوصفهم بالجنون، أو ارجاعهم إلى افعال الصبيان، ويذكر أن هذه الافعال لم تُشاهد أو تسمع عند اهل الإسلام.

وقال مروان بن محمد الدمشقي، وهو من أصحاب الإمام مالك: ثلاثة لا يؤتمنون في دين، الصوفي، والقصّاص، ومبتدع يرد على اهل الاهواء،^(٢) مما يعني ان التصوف لم يكن على وتيرة واحدة فمنه ما هو مقبول وملتزم، ومنه ما فيه خروج عن المألوف، ويذكر ابن عاشر أن الإمام مالك قد امتدح بعض الصوفية، لعل ذلك إلى انتساب بعض المتصوفة لمذهبه في الفقه، ولتعرضهم لمسائل الاعتقاد في شرحهم للفقه المالكي،^(٣) كما رؤي عن الإمام مالك أنه قال: من تفقه ولم يتصوف، فقد تَقَسَّقَ، ومن تَصَوَّفَ، ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.^(٤)

(١) ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٥٣.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٣) ابن عاشر، عبد الواحد أحمد بن علي (ت ١٠٤٠هـ / ١٦٦٢م)، المرشد المعين على الضروري من

علوم الدين، تح: صلاح مجذوب، ط ٣، د.مط، الرياض، ٢٠١٢م، ص ٢.

(٤) زروق، قواعد التصوف، ص ١٥.

من الظاهر أن مذهب الإمام مالك في التصوف أنَّه مذهب مقرون ومرتبطة بالفقه، ويبدو أنَّه للوقاية من انحرافات التصوف، وأنَّه يجب أن يركز على الكتاب والسنة، فقد كان الإمام مالك من أشد الناس في قمع البدع والانحرافات وتأديب أصحابها، وكان منهجه منع الناس من الغلو في الدين،^(١) إلا أن بعض المالكية تشددوا في الأخذ بتعاليمه وجعلوها مقدسة ومن ضمن تشددهم جعلهم زيارة قبر الإمام مالك إمام دار الهجرة في المدينة من ضمن مناسك الحج الخاصة بهم.^(٢)

وإذا انتقلنا إلى عصر سلاطين المماليك، نراه عصر تفوح من رائحة التصوف من كل جوانبه، فقد آمن المالكية بذلك لكنهم نبذوا، دعاة وحدة الوجود، أتباع ابن عربي، فالصوفي الاتحادي عثمان الدكاكي الدمشقي (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٦م)، ادَّعى عليه أنَّه ادعى الألوهية، وانتقص من الأنبياء، وخالط الصوفية، دعاة وحدة الوجود، فأخذ إلى مجلس قاضي القضاة في حضور الأمراء، والشهود والقضاة، وأقيمت عليه الحجة وحكم عليه القاضي المالكي بضرب عنقه، فقتل في السنة المذكورة، ونودي عليه: هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية.^(٣)

(١) الحلبي، الزهص والوقص لمستحلي الرقص، ص ٩٤.

(٢) ابن فرحون، ارشاد السالك إلى أفعال المناسك، ص ٥٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٩٠.

كما اعترض المالكية على ابن تيمية وقوله في مسألة صفات الله، ولما رفعوا امره إلى القاضي المالكي ابن مخلوف^(١)، حكم عليه بالسجن وبالكفر،^(٢) ولعل ذلك يبين رأي المالكية في قول ابن تيمية في صفات الله، وحكمهم عليه بأنه كافر، وقد ارتبط فقهاء المالكية مع المتصوفة بعلاقات متباينة، مثلما كان موقفهم مختلف بين مؤيد ومعارض فقد ارتبط السيد البدوي مع الشيخ حسن الاخواني المالكي بعلاقة هيبية واحترام، وكان الشيخ يسكن طنطا، وذوو كرامات، وعندما جاء السيد البدوي إليها خرج منها الاخواني، هيبة منه وذَهَبَ إلى إخوانا وأقام بها إلى أن مات، كما ارتبط السيد البدوي بعلاقة طيبة مع الشيخ سالم المغربي الذي كان يسكن طنطا أيضاً إلا أن الأخير لم يُغادرها، وارتبط مع السيد البدوي بعلاقة سلمية ظلت حتى مات المغربي ودفن بها.^(٣)

تشدد المالكية في الإنكار على الصوفية الاتحادية، فقد كانت مصر واليمن مراكز فعالة وناشطة في معارضة تصوف ابن عربي، إلا أن بلاد الشام كانت المسرح الأم، التي انطلق منها الصدام الصوفي - السلفي،

(١) هو زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري سمع من ابن عبد السلام والمنذري وغيره من المشايخ وتولى القضاء بعد ابن شاس كان كثير الإحسان إلى الفقهاء والشهود ومن يقصده غزير المروءة والاحتمال حكم بالديار المصرية نيفا وثلاثين عاما قيل عنه أنه كان له درجة في القضاء وبث الأحكام (ت ٧١٨هـ/١٣١٩م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٨٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) ابن أبيك، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٤٢.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠٤.

ومنها ظهر اعنف الخصوم، وممن شاركوا في الصدام ضد ابن عربي في بلاد الشام، هو قطب الدين القسطلاني (ت ٦٨٦هـ/١٢٨٨م) ^(١)، الذي ألف كتاباً في الرد على ابن عربي، ^(٢) سماه (نصيحة صريحة من قريحة صحيحة)، ذكر فيه جميع القائلين بالوحدة المطلقة في الموجودات، ابتداءً بالحلاج، وختمه بابن سبعين، ^(٣) حذر فيه من هذه الطائفة، وبَيَّن فيه احوالهم الفاسدة، ومنع فيه دعواهم وما يذهبون اليه من الشطح ^(٤)، قال القسطلاني فيه : ان دعواهم ومقالاتهم راجت على اصحاب العقول الضعيفة، وسفهاء الاحلام . ^(٥)

لعل من المفيد ان نذكر ان ابن سبعين احد اشهر الائمة القائلين بوحدة الوجود ومن اشهر دعائها، بل واشدهم غلواً، الا ان اثره على

^(١) هو ابو بكر محمد بن احمد بن علي المصري المكي سمع من الشيوخ بها ومن الشهاب السهروردي وتفقّه وافتنى ورحل الى بغداد ومصر والشام والجزيرة وسمع بها وكان واحد ممن جمعوا العلم والعمل والهيبة والورع وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص ٣٦١-٣٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص ٦٠٨-٦٠٩.

^(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص ٦٠٥.

^(٣) ينظر: الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٣٤م)، العقد الثمين، ج٢، ص ١٨٦.

^(٤) فسرّه الصوفية بأنّه عبارة مستغرقة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غلياًته وغلبته، وقد لجأ المتصوفة الى هذا الوصف لتبرير الكفر والزندقة الذي فاضت به كتبهم وقالوا ان تلك الحالة من السكر التي تحدث لهم يتجلى لهم فيها من الحقائق المكتومة بما عاينوه من علوم وزعموه أنّها اسكرتهم واطارت صوابهم وجعلتهم يتكلمون بمثل هذه العبارات. للمزيد ينظر: البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، ص ٧٨؛ الطوسي، اللّمع في التصوف، ص ٤٥٣.

^(٥) ينظر: السخاوي، القول المنبي، ص ١٤.

المتصوفة من بعده لم يكن كبيراً مثل ابن عربي، وذلك يرجع الى عدة اسباب اهمها الانغلاق في كتاباته، كونه يعتمد على اسلوب الغموض والالغاز حتى فاق غيره من الصوفية،^(١) يبدو ان ذلك مادعى التفتازاني الى القول: ان ابن سبعين فاق المعقول في غموضه في التعبير عن مذهبه باصطناع الالغاز، والقارئ لمصنفاته لا يكاد يفهم مايعنيه على وجه التحقيق .^(٢)

وكذلك ممن كان من اعنف خصوم ابن عربي وطائفته في الرد عليه هو عماد الدين الواسطي الشافعي (ت ٧١١هـ / ١٣١٢م)^(٣)، والذي سدرجه ضمن فقهاء الشافعية، والحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٩م)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، وعلى الرغم من أن بلاد الشام كانت مفتوحة على مصر في العهد المملوكي، الا أنها قائدة حملة القائلين بوحدة الوجود في التصوف، اي أنها تبنت رأي ابن عربي واحتضنته، كما افتي ابن جماعة الكناني الشافعي المتوفى (٧٣٣هـ / ١٣٣٤م)، والذي ولي قضاء مصر ثم الشام، بأن أقوال ابن عربي في كتابه (فصوص الحكم)^(٤) هي

(١) ينظر: القصير، عقيدة الصوفية، ص ١٦٥.

(٢) ينظر: ابو الوفا الغنيمي، ابن سبعين وفلسفته الصوفية - كانت اطروحة الدكتوراه للمؤلف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٩١.

(٣) هو ابن شيخ الحزامية احمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود فقيه شافعي صاحب مؤلفات في التصوف كان من السادة السالكين له مشاركة في العلوم وعبارة عذبة ونظم جيد. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٢٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٢٥٠؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ١، ص ٣٥.

(٤) من اعظم مؤلفات ابن عربي في العقيدة الصوفية الممزوجة بالفلسفة الالهية وأكثر مؤلفاته قدراً وعمقاً وابعدها اثراً، قرر فيه مبدأ وحدة الوجود بصورته النهائية، ووضع فيه المصطلحات الصوفية

بدعة وضلال، كذلك فعل الزواوي^(١) المالكي (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٤م) الذي تولى رئاسة الفتوى في المذهب المالكي في مصر والشام،^(٢) والذي قال: ان ما تضمنه هذا الكتاب من الهذيان والكفر والبهتان، كله تلبيس وضلال، ومن صدق بذلك واعتقد صحته كان كافراً، صادراً عن سبيل الله تعالى ويجب ان يستتاب، فأما يتوب او يقتل. (٣)

حذر ابو علي السكوني (ت ٧١٧هـ / ١٣١٨م)^(٤)، من ابن عربي واتباعه، فقال: ليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي في فصوصه

التي استمدتها من كل مصادر التصوف كما انتفع من مصادر الباطنية والاسماعيلية والقرامطة واخوان الصفا وفلاسفة المسلمين، وصيغ مصطلحاته الصوفية بصيغته الخاصة واعطى لها معنى جديد يتفق مع مذهبه في وحدة الوجود وقد قامت عدة دور للطباعة والنشر بطباعته. للمزيد ينظر: ابن عربي، فصوص الحكم، تعليق: ابو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٨، ص ٢٥.

(١) هو القاضي شرف الدين عيسى بن منصور بن يحيى ولد بزواوة وتلقه ببجاية ثم رحل الى الاسكندرية والقاهرة وسمع الدمياطي وكان يقول أنه يحفظ مختصر ابن الحاجب وموطأ مالك ودرس بالجامع الاموي في دمشق وناب عن القاضي جمال الدين المالكي سنين عديدة ثم عاد الى القاهرة وناب عن القاضي ابن مخلوف والقاضي تقي الدين الاخنائي وولي التدريس بزواوية المالكية بمصر الى وفاته. للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج ٣، ص ٧٢٧-٧٢٨؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٥٩.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢١١.

(٣) دغش، ابن عربي وعقيدته، ص ٥.

(٤) هو عمر بن محمد بن خليل الاشبيلي صاحب المؤلفات العديدة في العلوم المختلفة والتصوف اشهر مؤلفاته لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام وغيرها. للمزيد ينظر: التتكي، احمد بابا، نيل =

وفتوحاته المكية وغيرهما، وليُحترز أيضاً من مواضيع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وامثاله، مما يُشِيرُون بظاهره الى القول بالحلول والاتحاد، لأنَّهُ باطلٌ بالبراهين القاطعة، وكل كلام واطلاق يوهم الباطل فهو باطل بالإجماع، فأحرى وأولى بطلانُهُ، اذا كان صريحاً في الباطل، فان قالوا: لم نقصد بكلامنا ورموزنا واشاراتنا الى الحلول والاتحاد، وانما قصدنا امراً اخرّاً، قلنا لهم :الله اعلم بما في الضمائر، وما يخفى في السرائر، وانما اعتراضنا على الالفاظ، التي تظهر فيها الاشارات الى الالحاد، والى الحلول والاتحاد.^(١)

ويرى ابن مرزوق المالكي (ت ٧٨١ هـ / ١٣٨٢ م)، ان ابن عربي قد وقع له في الفتوحات المكية ما يقتضي تمذهبه بهذا المذهب -يقصد وحدة الوجود-، وقال صنف بعض اصحابنا المتأخرين بعض الكتب في الرد عليه، ووقع بين اشياخنا بمصر الاتفاق على طرح كتبه وتحريم النظر فيها لاشتمالها على هذا المذهب، ^(٢) وكان اهل دمشق ينكرون عليه اشد الانكار، حتى امتهنوا قبره بعد وفاته، وقيل من كثرة انكارهم عليه اتخذوا قبره مزبلة حتى اختفى تحت الاتربة. ^(٣)

=الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠م، ص ٣٠١؛

الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٦٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٣٠٩.

(١) البقاعي، تنبيه الغبي، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) السخاوي، القول المنبي، ص ٧٨؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص ٢٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ج ٨، ص ٣٤٩؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص ٢٥٢.

اما موقف المالكية من الفرق الضالة التي نشأت ومن ضمنها الفرقة الباجريكية، ففي سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٢م) عمل مجلس للحكم على عثمان الدوكالي الذي اساء الادب على القاضي، كما تضمن الحكم بتكفيره من المالكية أيضاً، وحكم عليه القاضي باراقة دمه، وإن تاب، فأخذ إلى سوق الخيل بدمشق وضربت عنقه ونودي عليه: هذا جزء من يكون على مذهب الاتحادية وكان من الشهود الشيخ جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٣م)^(١)، والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٩م)، وكان ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٥م) شاهد عيان على ما حدث والذين شهدوا بزندقته، وكان الحكم عليه من قبل القضاة الثلاثة المالكي، والحنفي، والحنبلي، وهم من نفذوا الحكم في مجلس السلطان، كما حضروا قتله.^(٢) لعل ذلك يبين موقف المالكية من الصوفية الاتحادية والفرق الضالة من الصوفية، كذلك ما حصل لزعيم الباجريكية محمد الذي حصل له حال، وكشف وصحبه جماعة، فهون لهم الشرائع، واراهم بوارق شيطانية، وكانت لهم قوة نفسانية مؤثرة

(١) امام المحدثين ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن علي القضاعي الكلبي الحلبي المولد، طلب الحديث وثقته للشافعي مدة، ترك مصنفاً خالداً من عدد كبير من الاجزاء هو تهذيب الكمال في اسماء الرجال وغيره من المصنفات. للمزيد ينظر: كتابه، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، مج ١، ص ٩-٣٦؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، مج ١، ص ٢٩٩؛ الدلجي، احمد بن علي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٢٤م)، الفلاكة والمفلكون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٨٥.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٤٢٣.

فقصدهُ الشيخ صدر^(١) الدين بن الوكيل، وتبعهُ جماعة في تعظيمه لشيخ هذه الفرقة وكذلك قصدهُ الشيخ مجد^(٢) الدين التونسي النحوي، فما كان من الباجربقي الا أن دعاه للعودة اليه في يوم آخر، ولما عاد التونسي سأله عن احواله فأجاب: أنَّه وصل في سلوكه إلى السماء الرابعة، فقال له التونسي، هذا مقام موسى بن عمران، وانت بلغتُهُ في ايام، فَرَجَعَ الشيخ مجد الدين التونسي، وحكى للقاضي المالكي ما حَصَلَ وما جرى مع الباجربقي، فطلب القاضي احضار الباجربقي وحكم بإقامة دمه، بحضور جماعة من العلماء، بعد أن كتب محضراً بذلك سنة (٧٠٤هـ / ١٣٠٥م)،^(٣) بيد أنَّه بعد عدة ايام من نفس التاريخ المذكور، نقضَ القاضي الحنبلي هذا الحكم، وَحَكَمَ بحَقْنِ دمه بسبب عداوته مع اليهود، وهم مجد الدين التونسي سابق الذكر،

(١) هو العلامة ذو الفنون ابو عبد الله محمد بن خطيب دمشق زين الدين عمر بن مكي بن المرحل الشافعي ولد بدمياط ونشأ بدمشق واخذ عن شيوخها درس بعدة مدارس بمصر والشام ودمشق درّس في المدرسة الشامية والعذراوية ودار الحديث الاشرفية كان يناصر العداء لابن تيمية ومذهبه توفي سنة (٧١٦هـ / ١٣١٧م). للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢٦٤-٢٦٨؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٤٥٩.

(٢) هو ابو بكر محمد بن قاسم المرسي الاصل ولد بتونس واشتغل ببلاده وتعانى القراءات ورحل الى القاهرة واقام بها وولي مشيخة الاقراء في تربة ام الصالح والتربة الاشرفية ودّرس بالناصرية وحصلت له محنة مع نائب الشام فأهانهُ وضربه وصحب الباجربقي مدة ولما ظهر له انحلاله تبرأ منه توفي سنة (٧١٨هـ / ١٣١٩م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٠؛ الياضي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٦٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٦١-٤٦٢.

(٣) ابن فرحون، ارشاد السالك إلى افعال المناسك، ص٥٥.

وجلال^(١) الدين البخاري خطيب الزنجيلية^(٢)، وشهاب الدين الرومي وقطب^(٣) الدين بن شيخ السلامة^(٤) احدى ترب قوسيون^(٥)، وغيرهم من اليهود، فاخفى الباجرقي من دمشق وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الازهر

(١) هو محمد بن سعد الدين محمد بن محمود البخاري الحنفي ولد سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨١ م) ومات عن نيف وثلاثين عاما سنة (٧١١ هـ / ١٣١٢ م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٥٠٣، وذييل تاريخ الاسلام، ج ٥٣، ص ١٣١.

(٢) الزنجيلية: تقع هذه المدرسة بدمشق خارج باب توما باتجاه دار الطعمة وبها تربة وجامع وهي من احسن مدارس دمشق، وتنسب إلى الامير ابو بكر فخر الدين عثمان بن علي بن الزنجيلي المتوفى (٦٢٦ هـ / ١٢٢٧ م). النعيمي، الدارس، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣) هو موسى بن احمد بن الحسين ناظر الجيوش كانت له ثروة واحوال وله فضل وكرم واحسان وهو من اهل الخير وكان مقصداً في المهمات وهو والد العلامة عز الدين حمزة مدرس المدرسة الحنبلية توفي سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣٨ م). للمزيد ينظر: ابن رافع، الوفيات، ج ٢، ص ٣٨٩؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٤٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ١٧٩.

(٤) هي احدى الترب التي كثر في دمشق وتقع الى الغرب من سفح قاسيون باتجاه دار الحديث الناصرية بمنطقة الفواخير انشأها ناظر الجيوش قطب الدين موسى ودفن بها. ينظر: النعيمي، الدارس، ج ٢، ص ١٩٤؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ج ١، ص ٣١٩؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٧٥.

(٥) هو احدى الجبال المعظمة المشرفة في بلاد الشام فيه آثار الانبياء، وفيه مغارات وكهوف ومعابد الصالحين وفيه مغارة الدم يقال ان قابيل قتل فيها اخيه وبها ايضاً مغارة تعرف بمغارة الجوع . ينظر: ابن الوردي (الحفيد)، سراج الدين عمر بن المظفر (ت ٨٦١ هـ / ١٤٦٢ م)، عجائب الجبال والبحار والجزائر والأنهار، تح: انور محمود زنتاتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ١١٣؛ البدي، نزهة الانام، ص ٢٠١؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٣٨.

متخفياً، بيد أنه ظل يتردد اليه جماعة الى هناك يحدثهم بعقيدته الفاسدة،^(١) ويذكر الصفدي: ان الشيخ شمس الدين بن الأكفاني^(٢)، حكى له حكايات عجيبة وأمور غريبة عن الباجريقي، ليس للعمل فيها مجال، كما حكى له القاضي شهاب الدين^(٣) بن فضل الله: أن امين الدين سليمان^(٤) رئيس

(١) ينظر: الذهبي، ذيل تاريخ الاسلام، ج٥٣، ص ٢٦٥-٢٦٦؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ٥٠٧.

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري وسمي ابن الأكفاني نسبة الى الاكفان ولد ونشأ في سنجار وسكن القاهرة وزاول مهنة الطب وبرع فيه واخذ الفقه عن علاء الدين البخاري وصار يفتي ويدرس بالجامع الماريني بالقاهرة ترك العديد من المصنفات مات بالطاعون الاسود الذي اصاب دمشق سنة (١٣٤٩هـ/١٣٤٩م). للمزيد ينظر: كتابه، ارشاد القاصد في اسنى المقاصد في العلوم، تح: عبد المنعم محمد النمر، مراجعة: احمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٣٣-٣٨؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ٧٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٩٩.

(٣) ابو العباس احمد بن يحيى بن مجلي العمري الشافعي الاديب البارع ولد في دمشق وسمع بالقاهرة على جماعة واخذ الادب عن والده والاصول على الشمس الاصفاني والنحو عن اثير الدين ابوحيان وابن الزملكاني وباشر كتابة السر بمصر نيابة عن والده فاصدم بالسلطان بكلام غليظ فعزله وصادره وسجنه وشفع له اخيه ثم تولى كتابة السر دمشق لم يبق فيها ترك من المصنفات الكثير اشهرها مسالك الابصار في والتعريف بالمصطلح الشريف وغيرها كما له مدائح نبوية توفي شهيدا بالطاعون سنة (١٣٤٩هـ/١٣٤٩م). للمزيد ينظر: ابن رافع، الوفيات، ج١، ص ٢٣٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٣٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص ٥١٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٧٣.

(٤) هو سليمان بن داود بن سليمان رئيس الاطباء بدمشق كان مقدما في مداواة درس بالدخورية مدة وعاش سبعين عاما مات سنة (١٣٣٣هـ/١٣٣٣م). للمزيد ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص ١٢٥؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص ٩٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٥١.

الاطباء حكى له يوماً، أنّه زار الباجري في بستانه، فجاء الفلاح الذي يعمل في البستان فقال له: الباجري، اقع، فقع ورمقه بنظرة، وقال للفلاح: تحدث مع الرئيس امين الدين عن الطب، فأخذ يتحدث الفلاح، ورأسه نازل على صدره، في امور الطب وجزئياته، وانواع العلاج وخواص الادوية، إلى ان اذهل عقله، ثم بعد ذلك رفع الفلاح رأسه عن صدره، ما يدري ما حدث، وسئل عما قاله: فأجاب: والله ما ادري ما قلت ولكنه شيء جرى على لساني.^(١)

وكان صدر الدين بن الوكيل حين يتردد إلى بستان الباجري يجلس مبهوراً من أعماله ومما يراه، وقال في حقه:

عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَشَكْلُ فَرْدٍ وَنَوْعُ غَرِيبٍ

وبسبب ذلك شهد عليه الشهود، عند القاضي المالكي فحكم عليه الزاوي باراقة دمه فكان في اختفائه وسفره ما كان، ولكنه بعد أن نقض القاضي الحنبلي حكم القاضي المالكي، وعصمه من خطئه رجع الباجري إلى دمشق، واقام بالقابون^(٢)، إلى أن مات.^(٣)

(١) أعيان العصر، ج٤، ص ٥٠٨.

(٢) إحدى مناطق دمشق القديمة تقع بين الغوطة والصالحية في طريق القاصد الى بغداد في طريق البساتين ومعنى اسمها مكان تجمع المياه حيث يمر منها نهري يزيد وثورا وهما فرعين من نهر بردى كانت تضم هذه المنطقة المساجد والمدارس. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٩٠؛

النعمي، الدارس، ج٢، ص ٣٣٢.

(٣) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ٥٠٩.

لعلنا نرى شدة تعقب القاضي المالكي من رئيس هذه الفرقة الضالة حتى دون التمييز في قول الشهود أو كونهم يكونون له العداوة والبغضاء فيما بينهم.

انتقد ابن الحاج (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٩م) تصرفات الصوفية في السماع وما يحتويه من أشياء محرمة أو مكروهات، وقد جمعوا فيه بين الدف والموسيقى والتصفيق، والاشد من ذلك فعلهم لهذا السماع في المساجد، وقد كان الاقدمون يكرهون رفع الصوت فيه ذكراً كان أو غيره، وقد نهى الرسول (ص) عن رفع الصوت بالقراءة في المساجد، كما نهى الرسول (ص) عن البيع والشراء في المساجد وأنها من الضلالة، ويذكر ابن الحاج أنه في سنة (٦٦١هـ / ١٢٦٦م) عمل بعض الناس فتوى، ومشى بها على أصحاب المذاهب الأربعة، قال فيها: " ما تقول السادة الفقهاء ائمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته واعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا إلى بلد قصدوا المسجد، وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف، وتارة بالدفوف...، فهل يجوز ذلك في المساجد شرعاً افتونا مأجورين يرحمكم الله..."، يواصل ابن الحاج ما حصل بعد تلك الفتوى أن المالكية اجابت: أنه يجب على ولاية الامر زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا، أما الشوافع فقد أجابوا أن السماع مكروه ويشبه الباطل ومن قال به تُردّ شهادته، أما الحنابلة فقد اجابوا: أن فاعل ذلك لا يصلي خلفه ولا تُقبل شهادته ولا يُقبل حكمه وإن كان حاكماً، وإن عُقد النكاح على يده فهو فاسد.^(١)

(١) ابن الحاج، المدخل، ج ٣، ص ٩٩.

لعل ذلك ما جعل ابن عجيبة يقول: أن الرقص وقع فيه اضطراب كبير بين الصوفية وعلماء الشريعة ذلك لأن الأصل في الرقص هو الاباحية، إذ لم يرد نص عن المشرع بتحريمه ولا اباحته، بل ظواهر النصوص تقتضي الاباحية، في حين لم يرد في كتاب الله ولا سنة الرسول (ص) ما يقتضي التحريم، وإنما حرمة الأئمة لما قارنوه من تعاطي جميع النساء والشباب آلة اللهو، أما الرقص الحرام، فهو رقص العوام وبمحضر النساء والرجال فهو حرام بما يؤدي إليه الفساد، وما يهيج الطباع الدة والنفوس الشيطانية، وأما القسم المباح فهو ما يفعله الصالحون من غير وجد، ولا تواجد وإنما يفعلونه راحة لنفوسهم، وتنشيطاً لقلوبهم بشرط أن يكون خالياً من حضور النساء والشبان معاً فهو مباح ولا تحريم فيه، وما قيل أن هذا مذهب السامرية حين عبدوا العجل، فهو لفعلهم كونهم قصدوا تعظيم العجل أو الفرح به، وهذا كُفْرٌ، ولو كان رقصهم خالياً من ذلك ما جُرِمَ عليهم،^(١) ويرى اهل التصوف ان السماع هو غذاء الارواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق سائر الاعمال، ويُدرَك بِرِقَّة الطبع لرقته، وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله.^(٢)

(١) ابن عجيبة، ابن العباس أحمد بن محمد (ت ١١٢٤هـ/ ١٧٤٦م)، الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية ضبط وتصحيح: د. عاصم ابراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص ٩٧ - ٩٩.

(٢) الطوسي، اللمع في التصوف، ص ٣٤٢؛ القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٥٤٩.

ويورد القرطبي^(١) المتوفى سنة (٦٧١هـ / ١٢٧٣م)، في تفسيره، ما ذكره الطرطوشي^(٢) المتوفى سنة (٥٢٠هـ / ١١٤٢م) حين سئل الاخير عن مذهب الصوفية ورأيه فيهم، حيث كان مالكيًا متعصبًا متخذًا موقفًا حادًا من المتصوفة، قال: ان مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام الا سُنَّة الله ورسوله وإما الرقص والتواجد، لم يكن معروفًا زمن الرسول (ص) الصحابة وينصح السلاطين بقوله: ينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوا الصوفية من الحضور في المساجد، ولا يجوز ان يحضر معهم في المساجد، ولا

(١) هو ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الخزرجي عاش في الاندلس في عصر الموحدين الى ان سقطت دولتهم على يد الفرنجة انتقل بعدها الى مصر واستقر بها حتى وافته المنية كان من العباد الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزهاد له العديد من المؤلفات اهمها كتاب الجامع لأحكام القرآن وغيرها من المؤلفات. للمزيد ينظر: ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص١٩٧؛ الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ / ١٥٤٣م)، طبقات المفسرين، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٧٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ٢١٠.

(٢) ابو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان الفهري الاندلسي المالكي نشأ بالاندلس ببلدة طرطوشة واليها نسب احد ابرز ائمة الفلسفة تفقه على ابو بكر الشاشي وابو الوليد الباجي وله الكثير من المؤلفات اهمها كتاب سراج الملوك. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٤٩٠؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص ٢٤٤؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج١، ص ١٨٣.

يجوز أن يحضر معهم إلى المساجد كل من يؤمن بالله ورسوله، وإن لا يعينهم على باطلهم ويقول: إن هذا الكلام على مذاهب الائمة الأربعة.^(١)

ويذكر الطرطوشي ضمن انتقاداته للمتصوفة واعمالهم وكتبهم فيقول عن كتاب الاحياء للغزالي أنه: شحنة بالكذب، فلا اعلم كتاباً على وجه البسيطة أكثر كذباً منه، ثم شبهه بمذاهب الفلاسفة ومعاني ورسائل اخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق،^(٢) وعندما سئل الطرطوشي عن رأيه في السماع عند الصوفية حين يقوم بعضهم يرقص، ويتواجد حتى يخر مغشياً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه، وهل يجوز الحضور معهم أم لا، فأجاب: بأن مذهب هؤلاء بطالة، وجهالة، وضلالة، وما الإسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والرقص والتواجد اول من احدثه أصحاب السامري حين اتخذوا لهم عجلًا جسداً له خوار، وقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعُباد العجل، وذكر الطرطوشي ان الكتاب والسنة هو مذهب الائمة الأربعة مالك والحنفي والحنبلي والشافعي وغيرهم من ائمة المسلمين.^(٣)

(١) القرطبي، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي ت (٦٧١هـ/١٢٧٩م)،

التذكرة بأحوال الموتى وامور الآخرة، تح: الصادق محمد بن ابراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر

والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ، مج ١، ص ٢٩؛ الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية،

القاهرة، ١٩٣٥م، ج ١١، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٣٤.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ص ١٠٠.

لسنا نبالغ في القول :ان الطرطوشي وقف موقفاً معادياً لكتاب الاحياء للغزالي الذي تحدث فيه عن المتصوفة واحوالهم، ووصفه بالكذب المدمج بمذاهب الفلاسفة التي تتخللها المعجزات والحيل، ويتبين مما تقدم جهود فقهاء المالكية في الانكار على أصحاب الطرق الصوفية وافعالهم، فلا جرم من قولنا: ان الطرطوشي قد ناصر السُّنة وقمع البدع وألف الكتب الهامة في الرد على هؤلاء، ولعل اشهر مؤلفاته في هذا المجال هو كتاب الحوادث والبدع، كما أن له فتاوي في الرد على الامور المنحرفة ومن تلك الفتاوي التي ذكرها حين سئل عن مذهب الصوفية. (١)

شنع القرطبي على الصوفية اشد تشنيع كونهم لم يفهموا الزهد على المعنى الصحيح، فقد جاء في تفسيره بما يدل: أَنَّهُ لم ينقل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ امتنع من طعام لأجل طيبه، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب، ويكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا، (٢) يبدو ان ذكر القرطبي لهذا الحديث بسبب إمتناع الصوفية عن أكل ما لذ من الطعام بسبب كرههم الاكل الطيبات، ولعل من المفيد ان نذكر ان القرطبي ألف كتاباً للرد على الصوفية في الزهد والقناعة ورد السؤال بالكسب والصناعة.

جَهَدَ القرطبي في الرد على الصوفية وانحرافاتهم الباطلة وبدعهم، ومن هذه الردود رده على المتصوفة بشرب الدواء لقوله تعالى: {فِيهِ شِفَاءٌ

(١) القرطبي، التذكرة، ج ١، ص ٢٩.

(٢) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ١٠، ص ٩٠.

لِلنَّاسِ} ^(١)، و هذا الرد على المتصوفة خلافاً لمن يكره شرب الدواء، وكذلك رده على الصوفية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم الا إذا رَضِيَ المتصوف بجميع ما نَزَلَ به من البلاء ولا يجوز مداواته، ^(٢) كما رَدَّ على الصوفية الذين لا يتزودون في الاسفار، الذين يخوضون غمار الصحراء والقفار زعماء منهم أن التوكل على الله الواحد القهار هو الزاد، فيرد القرطبي بقوله تعالى: {أَتَيْنَا غَدَاءَنَا} ^(٣). هي خير دليل على اتخاذ الزاد في الاسفار، وتفنيد قول المتصوفة الخاطي للتقشف والزهد. ^(٤)

ويقف ابو حيان ^(٥) الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٥ م) موقفاً محذراً من ملاحظة الصوفية في عصره، فذكر في كتابه المسمى التفسير الكبير،

(١) سورة النحل، الآية: ٦٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٩٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٢.

(٤) ينظر: القرطبي، التذكرة، ص ٥٠.

(٥) هو العلامة اثير الدين محمد بن يوسف بن علي النفزي من قبيلة نفزة المغربية احدى قبائل البربر، وسمي الغرناطي الأندلسي الجياني ثم المصري الظاهري الشافعي، سمع ببلده من جماعة وبالإسكندرية والقاهرة وكتب بخطه الحديث واللغة والقراءات والأدب وحفظ منهاج النووي و خطه بخطه، واختصره، ومدح الإمام الشافعي بقصيدة رائعة، وحدث عن محدثي الأندلس والقاهرة وغيرهما. للمزيد عنه ينظر : الوادي آشي، محمد بن جابر التونسي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، برنامج الوادي آشي، تح : محمد الحبيب الهيلة، د. مط، تونس، ١٩٨١ م، ص ٨٠؛ ص ٢٨ ؛ ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن ابي بكر الشافعي (ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م) الرد الوافر، جمع وترتيب: فرج الله زكي الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٤٩ هـ، ص ٣٣ السخاوي، وحيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج ١، ص ٨؛ الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس

المعروف بالبحر المحيط في تفسيره لقوله تعالى : {لقد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} ^(١)، استنبط فقال : ان من بعض اعتقاد النصارى من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى الى الصوفية، ^(٢) حيث وَجَدَ حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومَن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج، وابن عربي، المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباعهم مثل ابن سبعين وتلميذه التستري ^(٣)، وقد اتفق ابي حيان مع القسطلاني في التصدي لاتباع وحدة الوجود وراي ابن عربي، وينقل السخاوي ما ذكره ابي حيان في (النُّضَار) ^(٤): ان القسطلاني جمع كتاباً ضمنه ذكر تلك الطائفة الملعونة

الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ج١، ص ١٥٥.

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) البحر المحيط، ج٣، ص ٤٤٨.

(٣) ابو محمد سهل بن عبدالله بن يونس احد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري ولد في تستر وصحب خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون المصري في الحج ومن أقواله :انما سمي الزنديق زنديقا لأنه وزن الكلام بمخبول عقله وترك الاثر والاقتداء بالسنة وتأول القرآن بالهوى مات سنة (٢٨٣هـ / ٩٠٦م). للمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٣٣-١٧١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٣٣١.

(٤) هو اسم كتاب الفه الإمام النحوي الشيخ أثير الدين المغربي السابق الذكر الى ابنته التي كان يحبها و كانت امرأة فاضلة، اعتنى بها والدها، سمعت من الشيوخ وكانت تقرا وتكتب جيداً وتنظم الشعر، حجت إلى بيت الله الحرام ولم تبلغ من العمر ثمان وعشرين عاماً وتوفيت في حياة والدها سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) ودفنت في دار مقابل سكن والدها بمحلة البرقية داخل القاهرة، حزن عليها والدها حزناً شديداً وعمل لها والدها كتاباً سماه (النضار في المسلاة عن نضار). للمزيد ينظر: ابن

القائلة بالوحدة المطلقة في الموجودات، الذي ابتدأه بذكر الحلاج، وذكر ابي حيان ان فيه شيئاً من شعره، واخبار قتله، ثم قال : ولما انتشرت مقالته تابعه عليها من اعتقد فيها بالكمال، ودُرس تلك العقيدة مع بقية مستترة بمعتقدها، لا تتظاهر بها الا مع خواص من المعتقدين بها الواثقين منها بكتمان ما تلقيه اليها، وتأخذ العهد الوثيق على من دخل في دائرتها، واستجاب لدعوتها كما تفعل الاسماعيلية في كتمان مقصدها، واخذ العهد على المستجيب لداعيها . (١)

ويتابع ابي حيان الحديث عن هذه الطائفة اتباع وحدة الوجود، فيقول: وممن رأيناه يرمي بهذا المذهب الملعون بدمشق، وعبد الواحد (٢) بن المؤخر المقيم بصعيد (٣) مصر، وشيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة

الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج٢، ص ٤٢٠ ؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص ٥٢١ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص ٣٩٥ ؛ عزون، جمال، النصار في المسلاة عن نضار لابي حيان الاندلسي الجياني، مقالة منشورة على موقع الالوكة الثقافية، ص ٣.

(١) القول المنبي، ص ٢١.

(٢) لم اعثر له على ترجمة مخصصة فيما اطلعت عليه من المصادر سوى مايرد عنه في سياق الحديث ما بين السطور. ينظر : ابو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج٣، ص ٤٤٨.

(٣) هي الارض المرتفعة او المرتفع من الارض، وقيل الارض الطيبة، وهي بلاد عامرة، واسعة فيها مدن عظيمة، ولها أعمال واسعة وضياع جليلة. للمزيد ينظر: المقدسي، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت ٣٧٥هـ/١٠٥٨م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٦٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٠٨؛ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج١، ص ٥٣٢.

الايكي^(١) العجمي، وابو يعقوب^(٢) بن مبشر تلميذ التستري المقيم بحارة زويلة في القاهرة، وعبد العزيز^(٣) المنوفي، وتلميذه عبد الغفار^(٤) القوصي، قال ابو حيان: وقد أوردت هذه الجملة من اسماء هؤلاء المتصوفة نُصْحاً لدين الله، وشفقة على ضعفاء المسلمين، كي يحذروهم ويصفهم بأنهم من شر الفلاسفة الذين يكذبون على الله ورسوله، ويقولون بقدوم العالم وينكرون

(١) هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن محمد الفارسي فقيه شافعي صوفي درس في الغزالية وهو صاحب كتاب معراج الاصول في شرح منهاج الاصول المتوفى سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٩م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٩٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١١٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٧٦٧.

(٢) ينظر: ابي حيان، تفسير البحر المحيط، ج٣، ص٤٦٥؛ ابن ابي حجلة، صرائح النصائح وتمييز الصالح من الطالح، ص١٥.

(٣) هو عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور بن ابي الرجاء سلامة بن ابي اليمين بركات بن داود الاسكندري المولد اصله من المنوفية احدى اقاليم الديار المصرية احد شيوخ عصره عالما مشاركا في الفنون له قصيدة نونية سماها اليعسوبة وهو شيخ عبد الغفار القوصي توفي سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٤م). للمزيد ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٤٨؛ ابن حجر، لسان الميزان في نقد الرجال، تح: سلمان عبد الفتاح ابو غدة، دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٣١٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص٧٩٤.

(٤) هو الشاعر عبد الغفار بن احمد بن عبد المجيد بن نوح من شعراء التصوف بمصر صاحب الشيخ ابا العباس المثلث والشيخ عبد العزيز المنوفي وسمع من الحافظ الدمياطي بالقاهرة وحدث عنه بقوص وسمع بمكة من الطبري وصنف كتابا سماه الوحيد في سلوك اهل التوحيد وتنسب له احوال وكرامات توفي سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٩م). للمزيد ينظر: الادفوي، الطالع السعيد، ص١٧١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٢٤.

يوم البعث والحساب، ويذكر أنّه قد ألع بعض الجهلة ممن ينتمون للتصوف، بهؤلاء وقاموا بتعظيمهم وادعوا أنّهم صفوة الله وأوليائه^(١).

من المفيد ان نذكر ان عبد العزيز المنوفي كان من اتباع ابن عربي^(٢)، أما عبد الغفار القوسي فقد كان يمتدح عمر بن الفارض ويذكر ان اهل عصره كانوا يقولون كل سماع لا يحضره ابن الفارض ليس فيه بسط^(٣)، وذلك لأنّه يحرك الجماعة، ويذكر القوسي ان جماعة من الاكابر عملوا جمعا للفقراء، فأنشد القول الى ان سئم، ولم يحصل لهم لاي احد منهم وجد، فارسلوا الى عمر بن الفارض كي يحضر، ولما حضر الاخير، قال للمنشد: انشد ما بدا لك، فأنشد يقول :

ليس بالحجاز وديعة خلفتها اودعتها يوم الفراق دموعي

فقام عمر بن الفارض و دار فتواجد كل من كان هناك .^(٤)

(١) ابو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج٣، ص ٤٤٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٤٨.

(٣) البسط هو حال من احوال الصوفية وهو مقام القلب بمثابة الرجاء وهو اشارة الى قبول اللطف والرحمة والانس وان يبسط الله العبد اليه ظاهرا ويقابله الانقباض وهو الخوف وان يقبضه اليه باطنا. للمزيد ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص٦٣؛ الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ص٣٤.

(٤) الشعراني، الانوار القدسية، ج٢، ص١٣٠؛ الكتاني، ابو المواهب جعفر بن ادريس (ت١٣٢٣هـ/١٩٤٦م)، مواهب الارب المبرئة من الجرب في السماع والالت الطرب، تح: هشام بن محمد بن حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج١، ص٢١٤.

لعلنا بذلك نرى التناقض الواضح في كلام ابن عربي بين موافقته للحلول والاتحاد من جهة وقوله بوحدة الوجود وهما عقيدتان متناقضتان عند الصوفية، وخير دليل على ذلك ما ذكره عن نفسه:

عَقَدَ الْخَلَائِقُ فِي إِلَهِهِ عَقَائِدًا وَأَنَا اعْتَقَدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَقَدُوا. (١)

لعلنا بذلك لا يسعنا من القول سوى ان اهل البدع والضلالات دائما هم في تناقض واضطراب في أقوالهم وافعالهم.

ومن الانتقادات التي وجهت إلى كتب المتصوفة ما نقله الذهبي حين سئل عن كتب ابن عربي ورأيه فيها، اجاب : " كَأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى مَا فِي شَعْرِهِ مِنَ الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ، وَذَكَرَ الْخَمْرَ وَالْكَأْسَ... " (٢)، وعندما سئل احد الفقهاء المالكية عن كتاب الاحياء للغزالي، فيقول: قد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في كتاب الاحياء، وذكرتم اراء الناس فيه قد اختلفت، فطائفة انتصرت وتعصبت لإشهاره، وطائفة حذرت منه ونفرت، وطائفة لكتبه أحرقت، ويرى هذا الفقيه أن ابا حامد اعرف بالفقه من اصوله، وينتقد تصنيفه في علم الكلام وأنه غير متبحر فيه، ويُرجع سبب عدم استبحاره فيه أنه قرأ علوم الفلسفة، قبل استبحاره في فن الاصول، فأكسبته الفلسفة جرأة على المعاني وسهلت الهجوم على الحقائق، ويقول ذلك الفقيه عن الغزالي:

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٣١١؛ دغش، محمد بن شبيب العجمي، ابن عربي وعقيدته وموقف علماء المسلمين منه، مكتبة اهل الاثر، الكويت، ٢٠١١م، ص١٥.

(٢) تاريخ الاسلام وفيات (٦٣١-٦٤٠)، ج٤٦، ص٣٧٥.

أنَّهُ كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا^(١)، وهي احدى وخمسون رسالة، خاض مؤلفها في عِلْم الشرع والنقل والحكمة، فمَرَّج بين هذه العلوم، وقد كان رجل يُعرف بابن سينا^(٢) قد ملأت الدنيا تصانيفه، وادت قوته في الفلسفة إلى أن حاول رَد اصول العقائد إلى علم الفلسفة، حتى تم له ما لم يتم لغيره، ويرى الفقيه المتحدث أن ابا حامد الغزالي، قد تأثر بكتابات ابن سينا فقال: ووجدتُ ابا حامد يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من علوم الفلسفة، ويتابع ذلك الفقيه حديثه عن مذاهب الصوفية، التي يراها الغزالي

(١) هي مجموعة من الرسائل كتبها جماعة مجهولة من الفلاسفة المسلمين ظهرت في العراق في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ويرجح المؤرخون أنَّهم ينحدرون من الفكر الاسماعيلي وارادوا ان يوفقوا بين العقائد الاسلامية والحقائق الفلسفية وكان لها تأثير على اشخاص مثل ابن عربي وغيره حاولوا تطبيق نظرتها الفلسفية وقد احتوت هذه الرسائل علوم شتى في الرياضيات والهندسة والفلك والعلوم الطبيعية وهدفت الى تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق، وقد قامت عدة دور للنشر بطباعة هذه الرسائل على شكل كتاب. للمزيد ينظر: كتاب اخوان الصفا وخلان الوفا، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٨م.

(٢) ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ولد ببلخ وانتقل الى بخارى، وعاش في ظل الدولة السامانية، واشتغل بالعلوم والهندسة والجبر وتبحر في الطب وكتب الاوائل المصنفة فيه واتصل بالامير نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان عندما مرض وعالجه حتى شفي فقربه منه وأنتفع من مكتبته التي كان لايمثلها مكتبة وترك العديد من المصنفات في الطب والفلسفة والتصوف منها كتاب الشفاء وغيره توفي سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٦م). للمزيد ينظر: كتابه، الاشارات والتنبيهات، شرح: نصير الدين الطوسي، تح: سليمان دنيا، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ق ١، ص ٨٥-٨٧؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد عوض وعادل احمد عبد الموجود وعبد الفتاح ابو سنه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٥م، مج ٢، ص ٢٩٤؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص ١٤.

فيقول: ولا ادري على من عَوَلَ فيها، ولكني رأيت فيما بعد ان بعض أصحابه علق على بعض كتبه، وذكر كتب ابن سينا وما فيها، وعول عليها في كتاباته، كما عول على كتب ابي حيان التوحيدي^(١) المتوفى سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م)، في مذهب التصوف.^(٢)

أما ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٩م)^(٣)، فأَنَّهُ يحط من رأي الصوفية في أصل لباسهم، وينتقدهم ويكذبهم، فيقول: "ان للصوفية لما ارادوا أن يجعلوا للباسهم اصلاً رفعوا لباس الخرقة اصلاً إلى علي بن ابي طالب (ع)،

(١) هو الاديب الفيلسوف علي بن محمد بن العباس التوحيدي ودرس على مشايخ كثيرة في بغداد والري ونيسابور وشيراز وبرع في جميع علوم النحو واللغة والشعر والفقه وعلم الكلام على رأي المعتزلة وسلك مسلك الجاحظ في تصانيفه عاش في بغداد وعاصر بني بويه وكانت له علاقات مع الوزير ابن سعدان والوزير المهلبى والصاحب بن عباد. للمزيد ينظر: كتابه، الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٧م، ص ٦-٢٣؛ ياقوت، معجم الادباء، ج ١، ص ٢٠؛ ابراهيم، زكريا، ابوحيان التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء، المؤسسة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص ١٢-١٦.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٤١.

(٣) هو العلامة ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي المالكي صاحب التاريخ الكبير المعروف باسمه تاريخ ابن خلدون ولد بمدينة تونس ونشأ بها وطلب العلم، وسمع المشايخ و برع وتقدم في العلوم والفنون ومهَّرَ في الكتابة والادب، وولي كتابة السر بمدينة فاس، ورحل الى غرناطة وكان رفيقه وزير بني الاحمر الى ان مات الاخير وكان لموته اكبر الاثر في حياته رحل بعدها الى القاهرة وتولى قضاء المالكية ثم عزل ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية ثم اعيد الى القضاء وعزل وكان موته بعدها بثمانية ايام. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٤٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٦٢؛ الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٣٣٠.

الذي لم يكن يختص من بين الصحابة بنحلة، ولا طريقة في لباس أحد ولا حال...^(١).

نستشف مما سبق ان مواقف فقهاء المالكية كانت باتجاه واحد من التصوف والمتصوفة، مخالف لهم ما بين التلشد والانكار والطعن والرد عليهم فكراً من خلال الكتب والمؤلفات.

(١) المقدمة، ص ٣٨٦.

المبحث الثالث

مواقف فقهاء الحنابلة من المتصوفة:

كان مذهب الحنابلة الاقل انتشاراً في مصر والشام خصوصاً اواخر الدولة الأيوبية،^(١) كون الاخيرة تعتنق المذهب الشافعي وجعلته المذهب الرسمي للدولة، وكان اغلب الحنابلة مهاجرون إمام الزحف المغولي من حران^(٢) وبغداد،^(٣) بيد ان انتشار هذا المذهب كان على يد ابن تيمية الذي اشتهر امره بدمشق وانتصاره لمذهب السلف ومبالغته في الرد على الاشاعرة^(٤)، وعلى الصوفية حيث افترق بين الناس فريقان، فريق يعول على أقواله، واخر يُدعّيه، ويُضلّله، وكان له أتباع قليلون بمصر وبلاد الشام،^(٥) وكان ابن تيمية اهم من تصدى لابن عربي في بلاد الشام، بل في التاريخ

(١) المقرئزي، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ٤٩.

(٢) مدينة في جزيرة اقور بينها وبين الرها والرقّة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) ينظر: ابو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٢٣؛ شهاب، علي منصور، الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري، نشر جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠١م، ص ٤٩.

(٤) هم اصحاب العقيدة الاشعرية، والذين ينسبون إلى ابي الحسن الاشعري الذي سلك طريقاً بين النفي الذي هو الاعتزال أو مذهب المعتزلة، ومذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا، فمال اليه جماعة وانتشر مذهبه في العراق، ومنه انتقل إلى بلاد الشام. للمزيد ينظر: المقرئزي، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ١٠٦؛ موسى، جلال محمد، نشأة الاشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٦.

(٥) المقرئزي، مذاهب اهل مصر وعقائدهم، ص ١٠٨.

الإسلامي،^(١) كما كان علماء الحنابلة من أكثر علماء أهل السنة في عصر سلاطين المماليك انتقاداً للتصوف وأهله، ومن الظاهر أنهم توارثوا عن إمامهم موقفهم المتشدد من الصوفية، عندما دَمَّ طريقتهم وحَذَرَ من صحبتهم، لما رأى في سلوكهم من انحرافات كثيرة عن الشرع.^(٢)

عرف ابن تيمية بشيخ الاسلام في وقته، وكان يتميز بسعة معرفته بالمذاهب، وأقوال أصحابها ومما زاده علماً واتقاناً لمذاهبهم كثرة مخالطته للناس عموماً، مما أدى إلى رؤيته لتأثير البدع وانتشارها وكذلك كثرة مناظراته لأهل تلك البدع.^(٣) وتقديم النصح لهم، كما في الكتاب الذي قدمه ابن تيمية إلى أتباع الشيخ عدي بن مسافر وتنبئهم إلى ما وقعوا فيه من غلو يُخاطبهم فيه: "... وأنتم اصلحكم الله - قَدْ مَنَّ الله عليكم بالانتساب إلى الإسلام، الذي هو دين الله، وعافاكم مما ابتلى به من خرج منه من اهل الشرك... وفي اهل الزهادة والعبادة منكم احوال زكية، وطريقة مرضية...، وفيكم من اولياء الله المتقين، ومن قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم، مثل الملقب بشيخ الإسلام: ابي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكاري^(٤)،

(١) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٩م)، مجموع الفتاوى، مطبعة وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، الرياض، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ١٢١ - ١٣٣.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١١٩٩م)، تلييس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٨٩.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٣، ص ١٣٨.

(٤) كان شيخاً زاهداً فاضلاً رحل من بلدته الهكارية بالموصل الى بغداد ومصر ومكة وسمع من المشايخ واعتنى بالرواية والاثار مات سنة (٤٨٦هـ/١٠٠٨م). للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٦٧؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج ٤، ص ١٩٥.

وبعدُ الشيخ عدي بن مسافر الاموي، ومن سلك سبيلهم في الفضل والدين... وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السُنّة والجماعة... "، وانتم تعلمون أن السُنّة التي يجب أتباعها هي سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم من الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون...." وبذلك يكون ابن تيمية قد قدم النصّ لهذه الفرقة التي وجد عندها غلوّاً في التصوف.^(١)

اما اتباع الطريقة القادرية فقد وصفهم ابن تيمية بأنّهم جُهل القادرية، وقال عنهم: أنّهم قد يُفضلون شيخهم على النبي (ص)، أو غيره من الانبياء، وربما ادعوا في شيخهم هذا نوعاً من الالوهية.^(٢) لعل ذلك ما جعل الشيخ ابن تيمية شيخ الحنابلة في دمشق ينكر على افعال الجَهلة من أصحاب هذه الطريقة.

اما رأي ابن تيمية في رؤوس الفرقة الاحمدية، والرفاعية البطائحية الذين اجرى مناظرات معهم قال : أنّهم على الباطل، وردّ على شبهاتهم وكشّف الحيل التي يُلبسون بها على الناس، فكّتب عنهم، " كتبتُ ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الامارة والميدان، بحضرة الخلق في امر البطائحية، تاسع جمادي الأولى سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٦م) صفة حال هؤلاء البطائحيون وطريقهم، وطريقة شيخهم الرفاعي وما وافقوا الإسلام، وما خالفوه، وهو أنّهم رغم انتسابهم للمسلمين وطريقة الفقر والسلوك التي

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٣، ص ٣٧٦ - ٤٣٠.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

يتبعوها، يوجد في بعضهم التعبد والتأله، والوجد^(١) والمحبة، والزهد والفقر، والتواضع ولين الجانب، وغيرها من امور الصوفية، ويوجد في بعضهم من الشرك وغيره من انواع الكفر، ومن الغلو والبُدع في الإسلام، والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول (ص) والاستخفاف بشريعة الإسلام، والكذب والتدليس^(٢) واطهار المخارق الباطلة، واكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله، ويتابع ابن تيمية حديثه عن هذه الفرقة فيقول: تقدمت لي معهم وقائع متعددة، بينت فيها لمن خاطبته منهم بعض ما فيه من حق أو باطل، وأحوالهم التي يسمونها الاشارات، وبينت صورة ما يُظهرونه من المخارق مثل ملامسة النار، والحيات، وإظهار الدم وغيرها فعرفتهم أن عامة ذلك هي حيل معروفة وأسباب مصنوعة.^(٣)

(١) الوجد في اللغة مثل كرم ووعد والمصدر وجد وجداً واوجده اي ادركه وفي اصطلاح الصوفية غضب وحزن. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٤٤٥-٤٤٦؛ الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص٣١٧؛ صادق، صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٤م، ص٦٢٢.

(٢) التدليس لغة: هو كتمان عيب في شيء ما حتى لا يعلمه المستفيد من هذا الشيء، وهي من باب ضرب وعند علماء الحديث هو ان لا يسمي الراوي من حدثه والكلمة اشتقت من الدلس وهو اختلاط الظلام بالنور وتعني ايضا الاحتيال والخديعة. للمزيد ينظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص١٩٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١٠٠٢ مادة دلس؛ المحمدي، عبد القادر مصطفى، الوجيز النفيس في معرفة التدليس، بحث منشور في مجلة مركز البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠٠٥م، ص٣.

(٣) ابن تيمية، موقف ابن تيمية من التصوف، جمع وتح: محمد عبد الرحمن العريفي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ٢٧٩.

لعل ذلك يُبين أن منهج الحنابلة وشيخهم ابن تيمية هو منهج معادٍ لغلاة المتصوفة والخارج عن الكتاب والسنة، كونه كشف حيلهم وكيفية صناعتها وسيطرتهم بذلك على عقول البسطاء من العامة آنذاك الذين جعلوا منها خوارق واعاجيب، فقد نقد ابن تيمية التصوف واهله في منهاجهم الصوفي، فهم في نظره قد غلبوا الارادة القلبية، وذموا الهوى، وأهملوا النظر العقلي، ولم يميز الكثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة للكتاب والسنة، وبين البدع المخالفة لهما، فالمتصوفة عظموا النظر، واعرضوا عن الارادة القلبية، لكنه مثل الصوفية في عدم الاعتصام بما جاء به الرسول (ص)، كما اعترف ابن تيمية بأن في طريق المتصوفة اموراً يحمدها الشرع، قد لا يعرفها المنتقدين من المتكلمين،^(١) ولعل من المفيد أن نذكر أن انتقاد ابن تيمية لمنهج المتصوفة، مستمد من نظريته عن عصر العلم النبوي، وتشبيهه لهذا العصر بالشمس الساطعة، التي أخذت تختبأ كلما ابتعدت عن عصر الصحابة والتابعين، وان مؤلفات الشيوخ القريبين من ذلك العهد ادنى إلى الصحة من المتأخرين، لذلك فهو ينتقد منهج كلاً من الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، والسلمي (ت ٤١٢هـ/ ١٠٣٤م)، والقشيري (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٨٧م) بسبب إعراضهم عن طريق الصحابة والتابعين، الذين اثار الكتاب والسنة إلى مدحهم والثناء عليهم،^(٢) ولأنهم خالفوا أيضاً الذين كتبوا عن التصوف المتقدمين عليهم، والذين هم اقرب إلى السنة، وابرز الامثلة عنده

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط٢، مطبعة جامعة الملك محمد بن

سعود، الرياض، ١٩٩١م، ج٤، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى كتاب السلوك، ج١٠، ص ٣٦٨.

المكي (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٨م)، الذي يعد كلامه أكثر سُداداً واجود تحقيقاً، وابتعد عن البدعة،^(١) ويذكر أنه كلما اقترب الناس من عصر الرسالة كانت بُدعهم أخف، وكانت في الأقوال فقط، ولم يكن التابعين، وتابعي التابعين منهم، يتعبدون بالرقص والسماع، فالبدع الكثيرة التي حصلت من المتأخرين من العبّاد والزهاد، والفقراء، والصوفية لم يكن عامتها زمن التابعين وتابعيهم، بخلاف أقوال أهل البدع القولية التي ظهرت بعد عصر الصحابة، فإن البدع القولية اهلها عقل، أما بدع هؤلاء فأهلها اجهل وهم ابتعد عن عصر الصحابة، ولهذا وُجد في هؤلاء من يدعي الألوهية والحلول والاتحاد ومن يدعي أنه افضل من رسول الله (ص)، وأنه مستغني عنه، وان له إلى الله طريق غير طريق الرسول (ص)، وذلك ليس من جنس المسلمين، بل جنس الملحدين المتفلسفين ونحوهم، وقد عرفهم الناس أنهم ليسوا مسلمين، بل يدّعون أنهم اولياء الله،^(٢) ومن هذه الطوائف طائفة وصفهم ابن تيمية أنهم طائفة مبتدعة، وعاب وانكر عليها بعد ان قام بالرد عليهم، من خلال مقابلتهم وجهاً لوجهها ومناظرتهم، هذه الطائفة ميزت نفسها بوضع الاغلال في اعناقهم، وقال : كان احد الصوفية يدخل مع شيخ له من شيوخ البر مطوقين بأغلال الحديد في اعناقهم، الى الجامع، وكنت احادثه مرات عديدة بالحسنى، الى ان ذكر الناس شعارهم المبتدع هذا، الذين لم يظهره المسلمون من قبل، واخذوا يتخذونه عبادة ودين، ويوهمون به الناس أنه سر من اسرارهم، وأنه سيماء اهل الموهبة الالهية السالكين لطريقهم، وقد ردّ عليهم

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى كتاب السلوك، ج ١٠، ص ٥٥١.

(٢) ابن تيمية، موقف ابن تيمية من التصوف، ص ٨١ - ٨٢.

ابن تيمية :ان هذا بدعة لم يشرعها تعالى ولا رسوله الكريم (ص)، ولا فعل هذا احد من مشايخ السلف الذين يُقتدى بهم، ولا يجوز التعبد بذلك، ولا التقرب به الى الله تعالى لأنَّ عبادة الله بما لم يُشرعه ضلالة، وان لباس الحديد على غير وجه التعبد هو مكروه، وقد كرهه العلماء والفقهاء، فقد وصف الله سبحانه وتعالى اهل الكفر والضلالة بأن في اعناقهم اغلالاً،^(١) لقوله تعالى : ((وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا))^(٢).

نستشف مما تقدم: ان ابن تيمية قدم النصح بدءاً لهذه الفرقة الضالة، ولما لم يتعظوا حاورهم بالمناظرة، ولما لم يرجعوا او يرتدعوا عن أقوالهم وافعالهم قام بتكفيرهم من خلال النص القرآني، الذي يستند عليه الفقهاء وعلماء العصر في اصدار فتاوى التكذيب والتكفير لمثل هذه الفرق الضالة، وكما يتضح مما سبق: ان ابن تيمية قسم البدع إلى نوعين الاول: أقوال وسماها بُدع قولية، والثاني: افعال، وسماها بُدع فعلية، فالأولى اختص بها الاقربون من عصر الرسالة، والثانية اختص بها الناس الذين ابتعدوا عن عصر الصحابة، أو المتأخرين الذين عرفوا بأفعالهم المنكرة الباطلة.

لعل من الجدير بالذكر هنا ان نستشهد بقول الدكتور مصطفى حلمي، عن الصوفية الذين ابتعدوا عن عصر الصحابة فنراه يقول: ان المتأمل لكتاب الرعاية لحقوق الله للمحاسبي (ت ٢٤٣هـ / ٨٦٥ م)، يرى أنَّه عَرَضَ الموضوع بمنهج علمي يتسم بإظهار ما للصوفية وما عليهم، ويمدح المزايا، ويعارض ما يراه مخالفاً للشرع بمنهج واقعي، وهذا بخلاف ما

(١) ابن تيمية، مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية، ص ١٤.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

يلاحظه أي باحث عند النظر مثلاً في كتابين آخرين عدهما الباحثون من أهم مصادر التصوف وهما كتاب اللُّمع لأبي نصر السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م)، وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) والذين غلب عليهما طابع التصوف، ولذلك فإن صبغتهما تتسم بالتأييد المطلق ومعالجة التصوف بما ينبغي أن يكون عليه، والذين وضعهما الصوفية في المرتبة الأولى قبل الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين، وكأن الكتابين يجعلان من التصوف علماً معيارياً، ومن المحتمل أن بعض الأمور التي بناها العلماء المهتمين بدراسة علوم الشرق، قد ترجع إلى اعتمادهم على كتب التصوف التقليدية دون التنبيه إلى المضمون الروحي عند شيوخ السلف، الذي بثوه في كتبهم العديدة.^(١)

أشار ابن تيمية إلى أن من أخطاء الصوفية أنه تقع لهم في بواطنهم أشياء، فيظنون أنها من الخارج، ومن ذلك ما يحدث للجماعة عندما يغلب عليهم الذكر والمحبة والمعرفة، وينعكس ذلك على قلوبهم، ويحصل لهم ذوق وإستغراق، ويظنون أن ما يجدونه في باطنهم أمراً يُشاهدونه بأعينهم، ويدعون أنهم يرون الله سبحانه وتعالى بأبصارهم، وهذا عين الضلالة والباطل، وذلك لأن أهل السنة على إتفاق أنه لا أحد يرى الله بعينه في الدنيا، وذلك ما رواه مسلم عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "واعلموا أن أحداً منكم لم يرى ربه حتى يموت"^(٢)، وكان يقول في كثير من أحوال المشايخ أنها شيطانية أو نفسانية، فينظر في متابعة الشيخ الكتاب

(١) ينظر: ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٥٤.

(٢) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٥، ص ٤٩٠.

والسنة، فإن كان كذلك فحالة صحيح، وكشفه^(١) رحماني غالباً، وما هو بالمعصوم.^(٢)

وكان الطوسي يقول ان المكاشفة :هي اليقين^(٣) وقسمها الى ثلاثة اوجه اولها : مكاشفة العيان بالإبصار، ومكاشفة القلوب بحقائق الايمان، ومكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم السلام بالمعجزات ولغيرهم بالكرامات.^(٤)

انتقد ايضاً ابن تيمية طائفة من المتصوفة في بعض سلوكياتهم منها ادعائهم ان أكل الحشيشة المخدرة، تتشط على اداء الصلوات، ومبررين أنها تساعدهم على استتباط العلوم، وتصفية الذهن، حتى أنهم يسمونها معدن الفكر والذكر، ومحركة الغرام الساكن- ويقصدون به الحب الالهي- ويبدو

(١) الكشف في اللغة يدل عن سرو الشيء عن الشيء اي :رفع الشيء عما يواريه ويغطيه اي اظهره، وفي اصطلاح الصوفية الاطلاع على ما وراء الحجاب من الامور الغيبية بحضور الشهود وقد عبر عنها الهروي: بأنها مهادة السر ما بين متباينين وبلوغ ما وراء الحجاب. للمزيد ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص ١٨٢-١٨٣ ؛ الهروي، منازل السائرين، ص ١١٣؛ الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ٣٤٦؛ الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٢٢٥.

(٢) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٧٩.

(٣) اليقين لغة: نقيض الشك، واصله الوقوف على الحقائق بالكشف وصورته تصديق ما جاءت به الرسل واثبتوه بالمعجزات تعييناً لا تقليداً وعلم اليقين ما كان عن طريق الاستدلال و النظر: للمزيد ينظر: السهروردي، عوارف المعارف، ص ٣٦٨؛ الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ٢٧٤.

(٤) اللع في التصوف، ص ١٠٢.

جلياً أنَّها من خُدع النفس ومكر الشيطان بهؤلاء، لأنَّ أكل الحشيشة يُولد البكم والجنون ويخرج آكلها عن حاله، ويصبح لا يعي ما يقول وما يفعل،^(١) وقال أيضاً: أنَّها اخبت من الخمر، وهي نجسة مثله، من جهة أنَّها تفسد العقل والمزاج، وتقضي الى المخاصمة والمقاتلة من جهة أخرى، وفي كلاهما يصدعن ذكر الله عزَّ وجل وعن الصلاة.^(٢)

ويذكر ابن تيمية ان البعض منهم يروي احاديث في السماع عن النبي صلى الله عليه وسلم غير صحيحة، وهي باطلة وموضوعة، باتفاق اهل العلم كقوله أنَّه عليه الصلاة والسلام، تَوَاجَدَ^(٣) حتى سقطت بُردته، أو مُرِقَ ثوبه، واخذ جبريل (ع)، بعضه، وصَعَدَ به إلى السماء.^(٤)

ان من المفيد ان نذكر ان الحشيش تفشى في العصر المملوكي في مصر، وانتشر خطره بين الناس كانتشار الاوبئة، ومما ساعد على انتشاره، اقبال الناس على تعاطيه، كما ان حكام المماليك كانوا يبيحون تعاطيه، والاتجار فيه، كما عملوا على ترويجه، واحتكر بعضهم تجارته، وانشأوا وظيفة خاصة به سمي صاحبها (ضامن الحشيش)، وكان يقوم بالإتجار فيه

(١) ابن تيمية، التفسير الكبير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٥٠.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تح: ابراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٨١-٨٢.

(٣) أي اخذهُ الحزن والبكاء حتى سقط والوجد هو أحد اصطلاحات الصوفية. للمزيد ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ٣١٧؛ الشرقاوي، معجم الفاظ الصوفية، ص ١٨١.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنَّة في نقض كلام الشيعة القدرية، تح: محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦م، ج ٤، ص ١١٦-١١٨.

لصاحب الدولة ويلتزم بتسديد اثمائه، ومن الملفت للنظر أنَّه لم ينتبه اي سلطان من سلاطين المماليك ممن حكموا الديار المصرية الى خطره، الا الظاهر بيبرس سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الذي اكتشف المخاطر والاثار والخسائر والمظاهر التي سادت ونتاجت عن تعاظم الحشيشة وشغلت الناس عن اعمالهم واسرهم، حيث تحول المجتمع الى كسالى مسلوبين الارادة، معتلي الصحة لا خير فيهم، ولا جدوى من صلاحهم، لدرجة انشغالهم عن الجهاد ضد الصليبيين والتتار، وهو الاساس الذي قامت عليه دولتهم كما نوهنا في الفصول السابقة، ثم جاء بعده الامير سودون الشيوخوني^(١) بالقرب من نهاية عصر المماليك الاول في سنة (٧٨٠هـ / ١٣٨١م)، الذي حارب انتشارها وقام بمعاينة متعاطيها، بعد ان اشتهر اكلها مرة ثانية في مصر، وانتشر الى ما يجاورها من البلاد ومنها بلاد الشام، وتغنى بها ادباء الصوفية، والى المتصوفة الكتب العديدة عنها ونظمت القصائد تتغنى بها، واشتهر مدح الطائفة الحيدرية ونسبة الحشيش اليها، وجهرها بتفضيلها على الخمر، والمصيبة الكبرى في ذلك لا ترجع الى تعاظمها او التغني بها او نسبتها الى حيدر او طائفته الحيدرية فحسب، بل تكمن في سعيهم الى اثبات أنَّها غير محرمة، وأنَّها حلال وغير نجسة، وان ائمة الفقهاء الاربعة قد

(١) هو الامير سودون بن عبد الله النائب بالديار المصرية اصله من ممالك الامير يلغا العمري كان

من عظماء دولة الظاهر برقوق ونائبه مات سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٩م). للمزيد ينظر:

المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٣٢٨.

حللوها، على الرغم من أنَّهم لم يثبت عنهم ذلك،^(١) ومن القصائد التي تغنت بتعاطيها وعدم تحريمها قصيدة محمد بن علي بن الاعمى الدمشقي :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر	معبرة خضراء مثل الزبرجد ^(٢)
يُعاطيها ظبي من الثرك اغيد	يميس على غصن من البان املد
وتشدو على اغصانها نسيم تنسمت	فتهنوا الى برد النسيم المروِد
وفيها معانٍ ليس في الخمر مثلها	فلا تسمع فيها مقالٍ مفند
ولا عبث القسيس يوماً بكأسها	ولا قربوا من دُنْها كل مقعد
ولا نص في تحريمها عند مالك	ولا عندي الشافعي واحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها	فخذها بحد المشرفي المهند . ^(٣)

ولما اصبحت الحشيشة بهذا الانتشار الواسع وتلك الاباحة، لربما ذلك ما دعى احد الفقهاء، وهو علم الدين بن صاحب صفي الدين بن شكر المتوفى سنة (٦٨٨هـ/١٣٨٩م) الى القول :

في خمار الحشيش معنى مرامي يا أهيل العقول والافهام
حرموه من غير عقل ونقل وحرام تحريم غير الحرام.^(٤)

(١) الزركشي، بدر الدين ابو عبد الله محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩٥م)، زهر العريش في تحريم

الحشيش، تح: السيد احمد فرج، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٩-٤٠.

(٢) هو نوع من انواع الاحجار الكريمة اخضر اللون شفاف يشبه الياقوت الاخضر، ولكنه ليس بقوته

ولا قيمته، تركيبته الكيميائية من سليكات المغنيسيوم والحديد المزدوجة، ويتحول لونه الى الاصفر عند تسخينه، وقد شبه الشاعر الحشيش بهذا الحجر لعله لتماثل اللون مع الحشيش. للمزيد ينظر:

ابن الوردي (الحفيد)، عجائب الجبال والبحار والجزائر والأنهار، ص ١٢٣.

(٣) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٢، ص ٥١٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٨٠.

ونرى هنا العجب كل العجب من قول هذا الفقيه وتغنيه في الحشيش كونه ووالده صفي الدين من الفقهاء الاعيان، وممن عابوا على شطحات المتصوفة وتصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم، لكن نرى بين طيات هذين البيتين من الشعر ان الفقيه وصل الى حالة عجز فيها عن افهام الناس عن ادخال الحشيش في الحلال والحرام، ووصفهم بوصف تصغير لصغر عقولهم مخاطباً اياهم بأهيل وهي كنهر ومصرغه نهير، والعجز من احوالهم وفهمهم ان الحرام ثابت لا نقاش فيه، وان تحريم اي شيء بدون علم هو الحرام بعينه.

كفر ابن تيمية الصوفيين الاتحاديين كعمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٣م)، ومحي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٣٩م) وابن سبعين (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)، والعفيف التلمساني (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، ويذكر ابي حيان: ان المسمى العفيف التلمساني تزوج من بنت ابن سبعين، ورزق منها بولد سماه محمد مات وهو شاب،^(١) وقال: كان قبل موته يحضر معنا للدرس والقراءة على الشيخ شمس الدين الاصفهاني (ت ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)^(٢)، سأله الاخير من انت اجاب: انا ابن مملوكك العفيف التلمساني، فتبسم

(١) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج٣، ص ٣٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٢٥.

(٢) هو العلامة محمد بن محمود بن محمد بن رجب بن عباد السلماني قدم الى دمشق وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله، وسمع الحديث وشرح كتاب المحصول للرازي واشتهر به، وله معرفة جيدة بالأدب والنحو والمنطق، رحل الى مصر درس بالمشهد الحسني والشافعي ورحل اليه الطلبة. للمزيد ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ١٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ٢٢٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص ٦٢٠.

الشيخ وقال : " انت عريق في الالوهية امك بنت ابن سبعين، وابوك العفيف التلمساني "، وكان يشير بذلك الى ما كان عليه كل منهما في الوحدة .^(١) ويذكر ابن تيمية عن عقيدة التلمساني وطائفته :أنَّهُ كان لا يفرق بين الاخت والزوجة، ويقول ان كلهم واحد، لا فرق عندنا،^(٢) فكانوا في نظره كلهم ملاحدة اتحادية^(٣)، أي ان هؤلاء الصوفية في نظره يتحدثون مع الله، ويرى ابن تيمية ان ابن عربي كافر، ويصفه بأنَّهُ شيخ سوء كذاب لأنَّهُ يقول بقدّم العالم، ويهدم اصول الايمان الثلاثة وهي (الايمان بالله، والايمان بالرسول، والايمان باليوم الآخر) ويعترف ابن تيمية أن ابن عربي هو اقرب القائلين بوحدة الوجود إلى الإسلام، ويعترف لأتباع ابن عربي أنهم صادقين

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١١، ص ٤٤٢.

(٢) ابن تيمية مجموع الفوائد، ج ٢، ص ٢٤٤، ص ٤٧٢؛ الشوكاني، الفتح الرباني من فتاوى الامام الشوكاني، تح: ابو مصعب محمد صبحي بن حسان حلاق، مكتبة الجيل الجديد، اليمن، د.ت، ج ٢، ص ١٠٠٤؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص ٦٦.

(٣) الاتحادية هي احدى عقيدتان نشأتا في بعض الاديان الوثنية والفلسفات القديمة، وعرفت متلازمتان بالحلول والاتحاد وقد اختلفت اراء الصوفية في هذه العقيدة فريق يرى أنَّهُما مترادفات متفقات في المعنى، وهو اتحاد الله سبحانه وتعالى بخلقه، وفريق يرى ان هناك فرق بينهما فالحلول هو نزول الذات الالهية في الذات البشرية ودخولها فيها، والاتحاد هو اختلاط وامتزاج المخلوق بالخالق وقد عرف ابن تيمية الاتحاد بالاختلاط والامتزاج بين الخالق والمخلوق وقال ان هذه حقيقة الاتحاد، ولا يعقل الاتحاد الا هكذا. ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٣٨٦؛ القصير، احمد بن عبد العزيز، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.

مع انفسهم فيما يقولون، وهذا يجعلهم يتخيلون اشياء يظنونها تحدث اليهم في الخارج، أو حالة شيطانية تحدث لهم، وهي ليست ولاية،^(١)

كان ابن تيمية معارضاً لأفكار ابن عربي، في حين ان الاخير لم يتعرض اواخر حياته وطوال استقراره في دمشق إلى اية مضايقات، وربما حصل له العكس، فقد كان الحافظ جلال الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) وهو من اكبر المحدثين الحنابلة في دمشق، ومن اكبر خواص ابن عربي، ومن الملازمين لمجلسه، كما كان المقدسي يرتبط معه بعلاقات جيدة حسنة،^(٢) و يذم ابن تيمية الحريري وابن عربي وطائفته فيقول: حدثني المزي عن غيره عن الشيخ نجم الدين الحموي^(٣)، عن اسماعيل^(٤) الكوراني أنه كان يقول: ان ابن عربي شيطان، والحريري شيطان، وقد نقل نجم الدين الحموي عن ابيه صورة لجنازة ابن عربي لم تسلم من انتقاده، فقال : قدمت

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١١، ص ٤٤٢.

(٢) ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٤٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٢٨٤.

(٣) هو ابو الخير عبد الله بن محمد الصوفي كان له زاوية ومريدون بحماة وفيه تواضع وخدمة للفقراء واخلاق حميدة سحب الكوراني واتفق موته بدمشق سنة (ت ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) ودفن بمقابر الصوفية. للمزيد ينظر: الياقعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٩٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٣١.

(٤) هو اسماعيل بن علي بن محمد الدمشقي كان شيخاً صالحاً متعففاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يقبل صلة الملوك، ويغلظ لهم في الأقوال، ويخشن عليهم في المواعظ (ت ٦٤٤هـ/ ١٢٤٥م). للمزيد ينظر: ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ١٧٩؛ الحسيني، عز الدين احمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، صلة التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٦٧.

دمشق فصادفت موت ابن عربي فرايتها جنازة كأنما ذُرَّ عليها الرماد، وكان نجم الدين هذا شديد الحط على الاتحادية . (١)

اعاب ابن تيمية على الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١٢٧م) تقسيمه لمراتب الذكر، وجعل من إحدى هذه المراتب بُدعة، وفيها يقول الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: " افضل الذكر بعد القرآن، وهي من القرآن قول سبحان الله والحمد لله، ولا اله الا الله والله اكبر"، وافضل الذكر لا اله الا الله،^(٢) كما كان ابن تيمية يحط على ابو الحسن الحرالي^(٣)، ويقول عنه: أنَّه فلسفي التصوف، ومتكلم في عقيدته.^(٤)

تعرض ابن تيمية إلى محن عديدة بسبب معارضته للمتصوفة، وكذلك بسبب اراءه المضادة للمذاهب الأخرى، فيذكر الدكتور محمد الزحيلي: ان الفتن المذهبية، كانت تعمل عملها داخل مصر وبلاد الشام، فقد كان الصراع على اشدّه بين الباطنية، وأهل السُنّة والخلاف متوقد بين الحنابلة، و طوائف المسلمين من الشافعية والحنفية والمالكية، فقد شاع التصوف وانتشر، وكاد أن يسيطر على الساحة، وظهر دعاة الطرق الصوفية، فيهم المتطرف وفيهم

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٠، ص ٣٩٦.

(٣) هو الإمام فخر الدين ابو الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن احمد بن ابراهيم النجيبى الحرالي نسبة إلى حرالة، بلده من اعمال مرسية في المغرب، ولد بمراكش واشتغل بالعلوم، وأخذ العربية عن الشيوخ وعن القرطبي وغيره، وحجَّ ولقيَّ العلماء، وجال في البلاد ودخل مصر، فأقام في بلبس، وصار يقرأ أحد عشر علماً إلى أن مات سنة (٦٣٨هـ / ١٢٣٩م). للمزيد ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج ٤، ص ١٥٧؛ المقري، نفخ الطيب، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٤) المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٢٣.

المعتدل ولكن لم يُسَلِّمْ لهم فكراً، ولم تُسَلِّمْ لهم الدعوة عملياً، وأستعان كثيراً من أصحاب المذاهب والفرق والطرق الصوفية بالحكام، واستطاع كثير منهم أن يُقنع اميراً ما بأفكاره ليعمل تحت امرته، ويستعين به في نشر رأيه، وضرب خصومه، وهذا ما وقع بالفعل في فتنة الحنابلة بدمشق زمن العزيز بن عبد السلام،^(١) بل وكان هو من المشاركين فيها، وانتصر فيها للشافعية على الحنابلة، بل وتعصب لهم، وكانت فتنة كبيرة كتب بها العزيز بن عبد السلام إلى الملك الأشرف الأيوبي سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٦م) يُحرضه على الحنابلة، وكان رد الملك رداً قاطعاً، حيث كان الملك يميل إلى أهل الحديث، وقال له: "يا عز الدين الفتن ساكنة، لعن الله من يُثيرها".^(٢)

أما الفتنة الأخرى التي تدل على استمرار وقدّم الصراعات بين المذاهب فيما بينها وبين أهل التصوف بسبب اختلاف العقيدة فيما بينهم كانت سنة (٧١٦هـ / ١٣١٧م) وطلبوا من حاكم دمشق التدخل لينصر أحد الفريقين، وحضر الفريقين إلى مجلس السلطان بدار السعادة عند النائب تنكز، الذي أصلح بين الطرفين، وانفصل المجلس على وفاق تام دون محاققة، أو الميل لأحد الطرفين أو التشويش على أحد من الفريقين.^(٣)

(١) الزحيلي، العزيز بن عبد السلام، ص ٢٨.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٢٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ١٤٩.

لكن بعد سنتين من التاريخ المذكور تعرض ابن تيمية مرة أخرى للسجن بسبب مسألة الطلاق، وسعي القاضي الحنفي شمس الدين الحريري، الذي قام باغراء السلطان، والدس على ابن تيمية مما سبب في سجنه.^(١) كفر ابن تيمية قول ابن عربي بقدّم العالم، قبل أن يظهر قوله بوحدة الوجود، أن العالم هو الله وصورة له وهذا أعظم من القول بأزلية الكون، ويصف ابن تيمية كتب ابن عربي قصص الحكم ونحوه. أن فيه من الكفر الباطن والظاهر، وكان قبلها، يُحسن الظن بابن عربي وكتابه ويعظمه لما فيه من الفوائد كما في الفتوحات الملكية، وغيره.^(٢)

ولما كان الصراع على أشده بين الحنابلة والحنفية وكانوا يتشدّدون على الحنابلة ويضيقون عليهم، صادف ذلك دخول الحافظ المقدسي إلى الموصل أثناء رحلته العلمية سمع كتاب العقيلي^(٣) في الجرح والتعديل^(٤)،

(١) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٦.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ١٣١، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٣) هو ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الجرح والتعديل وهو من أشهر كتب رواة الحديث الذي رتبته على حروف المعجم وذكر فيه مراتبهم وحفظ فيه كلام أئمة النقد ونبه على الاحاديث التي اخطأ فيها أولئك الرواة توفي سنة (٣٢٢هـ / ٩٤٤م). للمزيد ينظر: الذهبي، الاشارة الى وفيات الأعلام، ص ١٥٨.

(٤) وهو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالألفاظ مخصوصة وهو من فروع التواريخ من جهة، ومن فروع الحديث من جهة أخرى، والكلام في رجاله جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله (ﷺ)، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين من بعدهم، وجوز ذلك تورعاً وصوناً للشرعية لا طعناً في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود، جاز في الرواة. ينظر: الرازي: ابي محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م)، الجرح والتعديل، دار =

فثار عليه الحنفية وحصل صراع بينهما، فخرج من الموصل خائفاً يترقب، بيد أنه لما وصل إلى دمشق اخذ يقرأ الحديث برواق الحنابلة بجامع دمشق، فحصل له قبول من الدماشقة، لكنهم حسدوه، وجهازوا من يشوش عليه، فحوّل وقته درسه إلى بعد العصر، لربما لتلافي الصراع، فذكر يومها عقيدته الحنبلية، فثار عليه القاضي الشافعي، محي الدين بن الزكي^(١)، والخطيب الدولعي ضياء^(٢) الدين، وعُقد مجلس بالقلعة سنة (٦٩٥هـ/١٢٩٦م) للتأكد من عقيدته الحنبلية، تكلموا معه في مسائل فقهية، وطال الكلام في ذلك، إلى أن قال له والي القلعة: أن كل هؤلاء على الضلالة، وانت على الحق، فأجاب: نعم فطرده والي القلعة من دمشق، فخرج منها إلى بعلبك، ثم إلى

=احياء التراث العربي، بيروت، مطبعة حيدر اباد الدكن، الهند، د ٢٠٠٠، ص ٢؛ التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، ص ٤٧٦، ص ٥٥٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، مج ١، ص ٥٨٢.

(١) هو ابو المعالي محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز القرشي الدمشقي الشافعي من بيت القضاء في دمشق كان والده وجده قضاة وامه محدثة وهي ابنة الحافظ بن عساكر الكبرى وتعاقب عدد من افراد اسرته على منصب القضاء عرفوا بآل الزكي توفي سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م). للمزيد عنه ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٢٣؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) ابو القاسم عبد الملك بن يزيد بن ياسين التغلبي والدولعي نسبة الى قرية قرب الموصل تعرف بالدولية ولد بها وتلقه ببغداد على المذهب الشافعي وكانت وفاته بدمشق ودفن بمقابر الباب الصغير سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م). للمزيد ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٠؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٢٣؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٥٨.

الديار المصرية وكان يقرأ الحديث بها، فثار عليه الفقهاء بمصر وكتبوا إلى الوزير بنغيه، فمات قبل وصول الكتاب اليه.^(١)

لعل ذلك يبين التضييق الذي كان يحصل للحنابلة في دمشق من المذاهب الأخرى، كونه ليس مذهب الدولة الرسمي، أو المذهب الأكثر انتشاراً، وفي سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) تعرض ابن تيمية أواخر دولة السلطان لاجين إلى محنة قام فيها عليه جماعة من الفقهاء، وارادوا احضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي، فلم يحضر فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة "بالعقيدة الحموية" فأنتصر له الأمير سيف الدين، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاختفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون، فما كان الأسبوع التالي عمل ابن تيمية الميعاد على عادته بالجامع، وفسر قوله تعالى: "وَأَنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ".^(٢)

ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين بعدها، واجتمع عنده جماعة من الفضلاء، وبحثوا المسألة الحموية وناقشوه في أماكن فيها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ ابن تيمية، وتمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً،^(٣) كذلك ما حصل من تضييق على ابن تيمية سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ومنعه من الفتيا في مسألة الطلاق، فيذكر ابن كثير: أنه اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧٣٤.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧٠٦.

نائب السلطنة بدار السعادة، وقرئ عليهم كتاب السلطان بمنع ابن تيمية من الافتاء في مسألة الطلاق، وانفض المجلس على تأكيد المنع عليه.^(١) كذلك تعرض ابن تيمية شيخ الحنابلة إلى الحبس مع اخيه زين الدين عبد الرحمن^(٢)، وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ / ١٣٠٢م)، الذي ضُرب وشُهرَ به على حمار، بسبب ان ابن القيم تكلم بالقدس في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوي، فأنكر المقادسة مسألة الزيارة وكتبوا إلى القاضي جلال^(٣) الدين القزويني، وغيره من قضاة دمشق، وكان سبب حبس ابن تيمية هو تكلمه في قضية الطلاق بالثلاث، وأنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق ولما عرف قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية شمس الدين الحريري، شَنَّع

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٩٢.

(٢) هو ابو الفرج عبد الرحمن اخو شيخ الحنابلة تقي الدين بن عبد الحليم بن عبد السلام وامه ست النعم بنت عبد الرحمن الحرانية ولد بخران وحضر دروس المشايخ وسمع منهم، وكان يتعانى التجارة قدم الى دمشق مع والده واخيه وكان ملازماً لأخيه وسجن معه ولما مات اخيه صلى عليه كانت وفاته سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٨م). للمزيد ينظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٧٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٢٦٢.

(٣) هو ابو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر اصله من قزوين ومولده بالموصل تفقه على ابيه قاضي القضاة سعد الدين وطلبه السلطان الملك الناصر فقدم إلى دمشق مع أخيه إمام الدين وأعاد بالمدرسة الباذرائية ثم قضاء القضاة بها، وله مصنفات عديدة توفي سنة (٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م). للمزيد ينظر: الاسنوي، تذكره النبيه في تصحيح التنبيه، تح: محمد عقله الابراهيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٣٣٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٩، ص ١٥٨-١٦١؛ طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٣٢٤.

على ابن تيمية تشنيعاً فاحشاً حتى كُتِبَ بحبسهِ، وضرب ابن القيم،^(١) الذي تتلخص محنته بسبب أخذه بمذهب شيخه ابن تيمية وانتصاره له، فروعاً واصولاً، فإنه أُؤذي مراراً ثم سجن بسبب هذا التأييد لمذهب شيخه مراراً، منفرداً لوحده، كما سجن معه، وكانت آخر مرة سُجن فيها سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٧م) بقلعة دمشق، ولم يُفرج عنه الا بعد موت شيخه سنة (٧٢٨هـ / ١٣٣٠م).^(٢)

لعل ذلك يبين الصراع بين فقهاء المذاهب وما جرى لابن تيمية من القاضي الحنفي، بسبب اختلاف الآراء في مسألة الطلاق التي تحدث بها كما كان للصوفية يد خفية في ذلك الصراع، على أن لا يفوتنا أن نذكر ان أصحاب ابن تيمية ومن سار على رأيه لم يسلم أيضاً من المضايقات والتضييق، ففي سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) كانت محنة الفقيه أحمد بن مري البعلي الحنبلي، الذي كان على منهج ابن تيمية في الاصول والفروع، ويتعصب لمسائله، فلما كان الفقيه بالقاهرة يخطب بأحد مساجدها، حطَّ على الصوفية، ونَصَرَ بعض اجتهادات ابن تيمية، تعصب عليه الحاضرين، وارادوا قتله، ورفعوا امره إلى القاضي المالكي، تقي الدين الاخنائي، فعقد له الاخير، مجلساً بين يدي السلطان المملوكي واعوانه في نفس السنة المذكورة، وبعد التداول فيما بينهم اتفقوا على ترك امره إلى القاضي الاخنائي المالكي، الذي حكم عليه بالضرب المبرح حتى ادماه، ثم شَهَّر به واركبه على حمار بالمعكوس، وطاف به في القاهرة، حتى كادت العامة أن تقتله، ثم اعيد إلى

(١) ينظر: المقرئ، السلوك، ج٣، ص ٨٩.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٨٨.

السجن مرةً أخرى، وبعد فترة شُفِع فيه، وأُخْرِجَ ورحل من القاهرة إلى مدينة الخليل ومعه أهله.^(١)

يتضح مما سبق أن القاضي المالكي كان متعصباً تعصباً اعمى ضد الحنابلة والصوفية، مما جعله هذا التعصب يتجاوز الحد في عقابه للفقهاء، إذ أن الكلام الذي ذكره الفقيه لا يستحق مثل هذا العقاب الصارم، إذ أن الكلام الذي ذكره عن انحراف بعض الصوفية هو كلام صحيح أما كلامه في الاخذ برأي ابن تيمية في مسألة عدم جواز شد الرحال إلى قبر النبي (ص) هي مسألة خلاف بين الفقهاء، لأنَّ الحديث النبوي الشريف بقوله: "لا تُشدُّ الرحال الا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى".^(٢)

لعلنا بذلك نستنتج وجود صراعات فكرية بين فقهاء الحنابلة وباقي فقهاء المذاهب وبين الصوفية، في القرنين السابع والثامن الهجريين، فقد انتقد الحنابلة اهل التصوف، وهذه الانتقادات توجهت لهم في مناهجهم، وسلوكياتهم، فالانتقادات التي وجهوها إلى مناهجهم، بسبب أنَّها كانت قائمة على العواطف والارادة القلبية، وعدم التزامها بالشرع، كما أنَّهم لم يعطوا للعقل مكانته، أما الانتقادات التي وجهوها إلى سلوكياتهم فكانت بسبب التصرفات التي يسلكوها في التصوف، فقد انكر فقهاء الحنابلة على المتصوفة كثرة المظاهر السلبية التي كانت منتشرة بينهم، والتي كانت مخالفة

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣٥٨؛ البهيجي، ايناس حسني محمد، تاريخ جماعات الاسلام

السياسي، مركز الكتاب الاكاديمي، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ١٦٩.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، باب لا تُشدُّ الرحال الا إلى ثلاثة مساجد، ج ٢، ص ١٠١٤.

للشرع، الامر الذي دعى إلى انتقادهم والتشهير بهم، ولسنا نبالغ في القول: ان من اوجه الصراعات بين المذاهب فضلاً عن الصراعات الفكرية في العقيدة كان هناك الصراعات الثورية والدموية التي كانت تقوم بسببها الثورات والفتن فيما بين اصحاب المذاهب المختلفة، ومنها ما يؤدي إلى محاولات القتل مثل ما حدث سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)، للقاضي الشافعي المصري القفطي بهاء الدين^(١) بن سيد الكل المتوفى سنة (٧٢١هـ / ١٣٢٢م)، والذي كان يسكن منطقة مشحونة بالخلافات المذهبية ومن مذاهب مغايره لمذهبه، ولما اراد الانتصار لمذهبه تكالبوا عليه وهموا به ليقتلوه، فلم يبلغوا مُرادهم ونجاه الله منهم. (٢)

كانت هناك صراعات فكرية بين فقهاء المذاهب انفسهم حول رأيهم في التصوف، فقد افحش ابن ابي حجلة، شهاب الدين ابو العباس الحنبلي (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٧م) في سب القونوي الشافعي تلميذ ابن عربي فقال عنه: كلب الروم، وتلميذ ابن عربي المذموم، زوجة امه، وخالف بأتباعه الأمة،

(١) هو ابو القاسم هبة الله بن عبدالله الشافعي ولد بقط من صعيد مصر وسمع من المشايخ وتفقه بقوص كان عارفا بالتفسير والحديث وعلوم أخرى اخذ عنه الطلبة وانتفعوا به وقصدوه من كل مكان وصنف كتباً عديدة وكانت اوقاته موزعة بين التدريس والاقراء والتصنيف وتولى الحكم بأسنا لكنه ترك القضاء وتفرغ للعبادة. للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج ٣، ص ٣٦٤؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٧٦٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٩٥٥.

فَجَدَّ النعمة، وَزَعَمَ أَنَّهُ يُبْرئُ الاكمه بالحكمة، وبسبب كلامه على القانوني، عَزَرَهُ القاضي سراج الدين الهندي قاضي قضاة الحنفية.^(١)

صفوة القول: أن الحنابلة كانوا شديدي الانكار على الصوفية احوالهم واعمالهم، ومؤلفاتهم، ومواقفهم لعل ذلك بسبب موقف الإمام أحمد بن حنبل الذي كان لهم بالمرصاد، فعندما تكلم المحاسبي عن الوسوس والخطرات^(٢) التي كانت تأتي الصوفية، انتقدها الإمام أحمد، وقال: ما تكلم فيها أحد من الصحابة، ولا التابعين، كما حذر في مجالسة المحاسبي، وقال لصاحب له: لا ارى لك أن تُجالسهم، وذكر ابو بكر الخلال في كتاب السُّنة لأحمد بن حنبل محذراً من المحاسبي، قوله: احذروا الحارث^(٣) أشد الحذر فهو أصل البلبلة، وشبهه بالأسد الذي يثب على الناس كي يفترسهم، ويذكر ابن الجوزي: عن الإمام أحمد أَنَّهُ كان يقول عن طريقة المحاسبي: ان طريقته ظاهرها الزهد والورع والكلام في محاسبة النفس، وباطنها صفات جَهَم^(٤) بن

(١) المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٩٦.

(٢) جمع خطرة عند الصوفية وليس خاطر او خواطر فكل مفردة لها تفسيرها عندهم الخطرات هي كل ما يمر في القلب من احكام الطريقة، وهي حالة تدعو العبد الى ربه بحيث لا يتمالك دفعها، أما الخاطرة والخواطر فهي ما يرد على القلب من الخطاب وبعضهم اشترط فيه العلم وجعله اقوى من الاول والخواطر عند الصوفية لا يُخطئ ويسمى الباعث والالهام ويقسم الى نفساني وشيطاني. للمزيد ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٢، ص ١٧٩؛ الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٨٧، ص ٩٠.

(٣) يقصد الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٨م) ورد الحديث عنه مسبقاً.

(٤) هو ابو محرز الترمذي من موالي بني راسب احدى قبائل الازد ولد ونشأ في الكوفة صحب الجعد بن درهم وتأثر بعقيدته الفاسدة وبعد موته حمل لواء الجهمية وعقيدتها الكافرة والتي تقول بخلق

صفوان وأصحابه المنحرفين، وهو الظاهر الخادع لهذه الحركات والافكار الباطنية، لذا وقف الإمام أحمد من هؤلاء الذين وصفهم بالأشرار المنحرفين المتخفين بالزهد، والورع، وأمرَ بهجر الحارث المحاسبي، وشدد بالإنكار عليه، فما كان من المحاسبي، الا أن اختفى حتى مات، مما سبق يتضح الصراع بين فقهاء المذاهب حول رأيهم بآبن عربي وأصحابه، فالقنوي كان شافعي ومن خواص ابن عربي في حين اسهب ابن ابي حجلة الحنبلي في سبه وكان القاضي سراج الدين الهندي قاضي الحنفية ضد ابن ابي حجلة وارهاه. (١)

جاء بعد أحمد بن حنبل، ابي زرعة الدمشقي، فقال عن كتب المحاسبي: إياكم وهذه الكتب، فأنها كتب بُدعٍ وضلالة، وعليكم بالأثر، فإنكم تجدون فيها ما يغنيكم عن هذه الكتب. (٢)

لعلنا بذلك نرى جلياً أن موقف الحنابلة موقفاً مضاداً للتصوف فكرياً وعقائدياً، من خلال امتناع الحنابلة عن قراءة كتب التصوف والحث على قراءة كتب الحديث والسنن، ولا نبالغ لو قلنا أن اسباب المحن وعداء العلماء والقضاة لابن تيمية يرجع إلى مواقفهم ووجهاتهم عند الناس في الوقت الذي تشرب الكثير منهم بالبدع الفلسفية وعقائد القبورية والصوفية والتي كانت هي

القرآن ونفي صفات الله الازلية كالإرادة والقدرة والعلم مات سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م). للمزيد ينظر:

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢٣؛ القاسمي، جمال

الدين، تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٤-١٦.

(١) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس، ص ١٦٧؛ عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي، ص ٤٢٥-٤٢٦.

المسببة لمحتنه بسبب الفتوى الحموية^(١) ثم محتنه ومناظرته حول الفتوى الواسطية^(٢)، ان من المفيد ان نذكر أن هاتين المحتنتين لم يكن للصوفية دور بارز فيها، الا ان بعض رجالات التصوف ممن يُعادون الشيخ سعوا لدى السلطات لامتحائه مرة بعد أخرى.^(٣) لعل ذلك يدل على ايديهم الخفية في السعي للتخلص منه، والدس له عند السلاطين .

ان موقف ابن تيمية من المتصوفة، كان يتطرق إلى جوانب عقائدية تمس احوالهم الصوفية، وبدعهم، فقام نصر المنبجي^(٤)، وابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) الذي كان من اشد خصوم ابن تيمية،

(١) تتلخص هذه الفتوى ان ابن تيمية كتب جواباً سئل فيه عن حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين، فقام عليه بعض الاشاعرة يرجحون مذهب المتكلمين وذلك سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) للمزيد ينظر: عبد الرحمن المحمود، موقف ابن تيمية من الاشاعرة، ج ١، ص ١٧٦-١٧٨.

(٢) الفتوى الواسطية حصلت سنة (٧٠٥هـ / ١٣٠٥م) حين ورد مرسوم من السلطان يسأل عن عقيدة ابن تيمية فأحضر الشيخ العقيدة الواسطية والتي كانت قد قرأت قبل سبع سنوات، وجرى النقاش فيها في عدة قضايا وعقدت فيها عدة مجالس إنتهت لصالحه. وينظر: المحمود، موقف ابن تيمية من الاشاعرة، ج، ص ١٧٩-١٨٢.

(٣) ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، ص ٢٨.

(٤) المنبجي: هو ابو الفتح نصر بن سليمان بن عمر صوفي له زاوية بالحسينية، كان ببيرس الجاشنكير يعتقد فيه وكان نصر يغالي في محبة ابن عربي كانت وفاته سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٥٥؛ ابن الجزري، ابو الخير محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٤م)، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: ج برجستر آسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ٢٩٣ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٩٢.

وكذلك البكري^(١) المتوفى (٧٢٤هـ/١٣٢٥م)، بإثارة اتباعهم من الصوفية عليه، فاجتمع خلف كثير منهم اهل الزوايا والرُّبُط والخوانق، واتفقوا أن يشكوه للسلطان، فطلعوا جميعاً إلى القلعة، ولفتوا الانظار اليهم، وانتباه السلطان، واستعانوا بالأمرأ سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)، فأمر السلطان أن يُعقد له مجلس، وادعوا عليه بأشياء، لم يثبت منها عليه شيء وكان يحضر في هذا المجلس القاضي بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٤م)، وكان ابن تيمية يقرأ ادعية الاستغاثة ويتوسل بالنبي (ص) ويستشفع به إلى الله، بيد أن القاضي رأى أن ذلك فيه قلة أدب، كون الشيخ لا يُجيب ولا يقرأ غير الاستغاثة، فجاء امر السلطان بأن يُعمل معه ما تقتضيه الشريعة، وكان ان خيره بين السفر إلى دمشق أو البقاء في السجن، - فأختار السجن الا أنه دخل عليه جماعة من أصحابه، وجعلوه يغير رأيه إلى السفر فاستجاب جبراً لخواطرهم، الا أنه رُدَّ من الطريق، وقيل أن السلطان لا يرضى الا بحبسه وقال القاضي، وفيه مصلحة له، كما أن القاضي ابن جماعة استتاب بعض القضاة أن يحكموا عليه بالحبس الا أنهم لم يوافقوا، فلما رأى ذلك، ذهب هو بنفسه إلى السجن وأرسل إلى حبس القضاة، و ارسل معه من يخدمه، وذلك

(١) هو ابو الحسن نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل تتلمذ على يد ابن الجزري الشافعي وابن الرفعة وغيرهم، وكان له العديد من المؤلفات ولم يجلس للتدريس، كما كان يدعو لعبادة أهل القبور من دون الله تعالى، وكان يدافع عن أقوال الصوفية ويعظمهم، ويُكفر ويدعو إلى كل ضلالة مات سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٥م). للمزيد ينظر: ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، ص ٣٣.

كله بمشورة نصر المنبجي لوجهته عند الملك المظفر بيبرس^(١) الجاشنكير^(٢)، إلا أن الشيخ لم يقف عند حد حبسه، فقد كان الناس يزورونه ويستفتونه في المشاكل المستعصية، ثم عقد له مجلساً بالصالحية، ونزل إلى القاهرة، وكان الناس يحفون به ويجمعون اليه يسمعون، وذلك مما كان يسئ اعداءه الذين ضاقت صدورهم لحفاوة الناس به، وكان ابن تيمية ينال من الجاشنكير، ومن نصر وعقيدته الفاسدة وبعد أن تسلطن الجاشنكير، قرروا ان يسيروا ابن تيمية إلى الاسكندرية بهيئة المنفي ومنعوا أي احد من اصحابه من السير معه واقام ببرج في الاسكندرية يتردد عليه الناس الى ان مات. (٣)

من الظاهر ان للصوفية دور كبير في هذه المحنة التي اصابته ابن تيمية شيخ الحنابلة في وقته، بيد اننا يجب أن لا نقلل من دور علماء الشام وبغداد وغيرهم ممن وافقوا قوله في العقيدة الواسطية، كما كان له دور ايجابي في هذه المحن والثبات على السنة، وتحويل محنة لخدمته مذهبه، ومبدئه الذي كان يدعو له.^(٤)

(١) هو الملك المظفر ابو الفتح ركن الدين بيبرس شركسي الاصل أحد سلاطين المماليك تسلطن زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما ذهب الاخير مكرهاً إلى الكرك وكان الجاشنكير يعظم نصر المنبجي ويقدمه على غيره ويثني على عقيدته بنى الخانقاه المسماة باسمه شمال القاهرة وكانت اجمل خانقاه في القاهرة كلها قتل سنة (٧٠٩هـ/١٣١٠م). للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٨، ص ٩٧.

(٢) الجاشنكير: كلمة معناها متذوق طعام السلطان. ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥٠.

(٣) الذهبي، العبر، ج ٤، ص ٢٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٥.

(٤) ابن تيمية، الاستغاثة، ص ٣٣؛ المحمود، موقف ابن تيمية من الاشاعرة، ج ١، ص ١٢٩٤.

المبحث الرابع

مواقف فقهاء الشافعية من المتصوفة:

اختلف موقف فقهاء الشافعية من المتصوفة بين مؤيد ومعادٍ، فقد أوجب بعضهم منع مظاهر المبالغة في التعظيم، والتقليد لائمة مذهبهم، وأقر المقرئ ما رواه من أن فقهاء الامصار زمن السلطان الملوكي الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) قد افتوا سنة (٦٦٥هـ / ١٢٦٩م) بوجوب اتباع المذاهب الأربعة وتحريم ما عداها، ومنعوا تقليد غير ائمة المذاهب الأربعة،^(١) وذلك ما ذهب اليه الفقيهان الشافعيان ابو عمرو بن الصلاح (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٤م)، ومحي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) وأنهما اوجبا التقليد على الناس، وضيقاً على الفقيه مجال حريته،^(٢) بيد أن ذلك ينقسم إلى الموافقة على بعض الافكار العقائدية، فنجد تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٢م) يدعو إلى الاعتقاد بالصوفية والتسليم لهم، في احوالهم، وحسن الظن بهم، وانتقد الفقهاء الذين يحكمون على ظاهر هؤلاء المتصوفة،^(٣) الا أنه يؤخذ عليهم كثرة عددهم، واتخاذهم من الخوانق طريقاً للدنيا، فارتدوا لباس الزور وأكلوا الحشيش - المخدر - وأنهمكوا في طلب الملذات، حتى قيل فيهم: " اكلة بطله سطة، لا شغل ولا

(١) الخطط والاعتبار، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) العلمي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت ٩٨١هـ / ١٥٨٢م) المفيد في أدب المعيد، تح:

محمد زيغور، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٨٨.

(٣) معيد النعم، ص ٨٨.

مشغلة... "، وقيل كذلك: نعوذ بالله من العقرب والفار، والصوفي إذا عَرَف الدار،^(١) ويقصد به دار الصوفية التي تضمن لهم الطعام والشراب والبقاء بلا عمل وعالة على المجتمع، ولعل ذلك يُبين حالة المتصوفة في طلبهم للراحة والملذات دون عناء وسعى في طلب الرزق إذا عرف هذه الاماكن، بإيواء هؤلاء المتصوفة وتوفير سبل الراحة والعيش الرغيد لهم، وقد رأى عن الصوفي ابا محمد^(٢) بن شكر اليونيني (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٨م)، أَنَّهُ داوم على خشونة العيش، وكثرة الجوع والمجاهدة، فَحَصَلَ لَهُ يَبَسٌ أَخَذَ مَزَاجَهُ يَتَغَيَّرُ، وَأَوْرَثَهُ تَخِيلَاتٌ فَاسِدَةٌ، فَاصْبَحَ تَارَةً يَتَخِيلُ أَنَّ جَمَاعَةً تَرِيدُ اغْتِيَالَهُ، وَتَارَةً أُخْرَى يَتَوَهَّمُ أَنَّهَاطْلُعٌ عَلَى أَمَاكِنَ فِيهَا كُنُوزٌ كَثِيرَةٌ وَأَمْوَالٌ وَتَارَةً يَدْعِي أَنَّهُ يَعْرِفُ أَمَاكِنَ فِيهَا مَدَافِنَ فِيهَا أَمْوَالٌ، فَلَمَّا سَأَلَ مَنْ يَعْرِفُهُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَالْأَوْلِيَاءِ قَالُوا: إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ هَذَا مِنَ الْجُوعِ. (٣).

ما دمنّا نتحدث عن رأي فقهاء الشافعية في التصوف والمتصوفة فيجب علينا أن عرض رأي الإمام الشافعي في التصوف، الذي قال: صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين سمعتهم فيها يقولون: الوقت كالسيف

(١) معيد النعم، ص ١٢٥.

(٢) هو عبد الله بن شكر بن علي صاحب المشايخ وأخذ عنهم وتأدب بهم وكان أوحده عصره في تحري الحلال في مطعمه وملبسه لم يسبقه أحد الى ذلك. للمزيد ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ٢٢٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٣، ص ١٦٤.

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٣، ص ١٣٥.

أما قطعتُهُ، والا قطعك، ونفسك ان لم تشغلها بالحق، والا شغلتك بالباطل.^(١) فقد نظر الشافعي إلى صوفية عصره نظرة تشاؤم وعداء، وقال منتقداً لهم، عندما سافر إلى مصر، تركت بغداد وقد احدثت الزنادقة شيئاً يسمونه السماع، ويعني الغناء والرقص الذي ابتدعه الصوفية، وما زال مسلكهم إلى اليوم،^(٢) وقال الشافعي: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تعرضوا امره على الكتاب والسنة،^(٣) وقال أيضاً: أسس التصوف على الكسل،^(٤) ويشدد الشافعي على العمل بالكتاب والسنة فمن لم يعمل بها لا يعتد به، ولا يُعتقد، حتى شمل المتكلمين بذلك، فقد نقل الحسن بن محمد الزعفراني عنه قوله: حكمني في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويحملوا على الابل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، حتى يقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة.^(٥)

وينقل يونس^(٦) بن عبد الاعلى قول الشافعي بالمتصوفة، فيقول: سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلاً تصوف اول النهار، لم يأت عليه الظهر،

(١) ابن القيم، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٢م)، مدارج السالكين في

منازل ايك نعبد واياك نستعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ١٢٤ - ١٢٩.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص ٤٢٥.

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ج ١، ص ٤٥٣.

(٤) ابو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ١٣٧.

(٥) ابن عبد البر، الانتقاء، ص ١٣٤.

(٦) هو ابو موسى محمد يونس بن عبد الاعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصوفي المصري من أصحاب الشافعي، ومن المكثرين في الرواية عنه ومن الملازمين له، كثير الورع متين الدين قرأ عليه الكثير من التلاميذ وكان علامة وقته في الصحيح من السقيم من الاحاديث توفي سنة

الا وجدته أحمق،^(١) وقال أيضاً ما لزم احد الصوفية أربعين يوماً، فعاد عليه عقله ابداً.^(٢)

وعندما سُئل المزني أحد أصحاب الشافعي عن ما يقوله في رقص الشافعية ونقرهم على الدفوف فقال: هذا لا يجوز في الدين.^(٣)

تباينت اراء فقهاء الشافعية في الحكم على ابن عربي وعقيدته في وحدة الوجود فكفرته طائفة وذهبت إلى أنه زنديق، وقالت أخرى أنه واسطة عقد الأولياء، ورئيس الاصفياء، واتجه آخرون إلى الاعتقاد بولايته، ورأى آخرون تحريم النظر في كتبه، كما اختلفوا فيه بين الكفر والقطبانية، فابن الجوزي، وابن الصلاح شنعا على مؤلفات الغزالي في التصوف وخاصة كتابه الاحياء، وصنف ابن الجوزي مصنفاً سماه (أعلام الأحياء بأغاليط الإحياء)^(٤) جمع فيها اغلاطه ورد فيه عليها.^(٥)

(٢٦٤هـ/ ٨٨٦م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٤٩؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٢، ص ١٧٠.

(١) البيهقي، مناقب الشافعي، ج٢، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص ٣٢٧.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ص ٩٧.

(٤) اشار ابن الجوزي الى الكتاب في أكثر من مؤلف من مؤلفاته. للمزيد ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص ١٢٥-١٢٦؛ الزبيدي، ابي الفيض مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م، ج١، ص ٣٨.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٦، ص ٢١٣.

أما الفخر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ / ١٢٠٧م) أحد فقهاء الشافعية، وصاحب التفسير الكبير، كان يُثني على ابن عربي ويعتبره ولياً عظيماً، وقد أرسل له ابن عربي رسالة غيرت حياته،^(١) إلا أن الفقيه جمال الدين بن مسدي^(٢) كان على العكس من موقف الرازي منه، وقال عنه : أنه ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، ولهذا ما ارتبث في أمره.^(٣)

ويصف الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي الذي عاش الجزء الأخير من حياته في عصر سلاطين المماليك وعمر طويلاً لبعض أعمال المتصوفة بالرديلة، ويقول: " الأراذل من المتصوفة الذين قد اشتهر عنهم أنهم من أهل الصلاح المنقطعين لعبادة ربهم، وقد اتخذ كل منهم زاوية أو مكاناً يظهرون فيه نوعاً من الذكر، وقد يجتمع عندهم من له زي المتصوفة وربما انتمى أحدهم إلى إحدى طرق الصوفية كالأحمدية والقادرية، وقد كذبوا في الانتماء، فإنما هؤلاء لا يستحقون من الزكاة شيئاً، ولا يحل دفع الزكاة إليهم، ومن دفعها إليهم، لم يقع الموقع المطلوب، وهي باقية بذمتهم، ويجب

^(١)المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٤٣٦-٤٣٧.

^(٢) هو الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الغرناطي الأزدي روى عن محمد بن عباد وجماعة وجمع وصنف وخرج لنفسه معجماً، وكان ذا رحلة واسعة ودراية وشاع عنه التشيع فقتل غيلة بمكة سنة (٦٦٣هـ / ١٢٦٤م). للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٠٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٥٤٣.

^(٣) ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٤٧، ص٣٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص١٧٣؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٦، ص٣٧٢.

على كل من يستطيع الانكار عليهم ان يُنكر، واثمهم متعلق بالحكام الذين جعلهم الله تعالى في مناصبهم لإظهار الحق وقمع الباطل".^(١)

أما كمال الدين^(٢) بن الزملكاني (ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م)، وهو من كبار مشايخ الشافعية في الشام، فقد كان يُعظم ابن عربي،^(٣) في حين انكر شيخ الإسلام العز بن بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، اول امرؤه على الصوفية احوالهم، وكان يقول: هل لنا طريق عن الكتاب والسنة، فلما اجتمع بالشاذلي وعرف مذهبه، بين له كراماته، صار يمدح الصوفية ودخل في عدادهم،^(٤) أما رأيه في ابن عربي فقد كان سلطان العلماء يعتقد به، الا أنه عندما سئل عنه لأول مرة قال: شيخ سواء كذاب ثم وصفه بعد ذلك بالولاية، بل بالقطبانية، وتكرر منه ذلك، وعندما سئل العز بن عبد السلام عن جماعة من اهل الخير والصلاح والورع يجتمعون في وقت فينشد لهم منشد، فأجاب العز: "الرقص بُدعة لا يتعاطاها الا ناقص عقل، ولا يصلح الا للنساء"، وقد شدد العز على تحريم الرقص في كتابه، فقال: "... أما الرقص والتصفيق فخفه ورعونة... لا يفعلها إلا راعن، أو متصنع كذاب،... وممن

(١) الحصني، كفاية الاخبار، كتاب الزكاة، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) هو عبد الواحد بن محمد بن عبد الكريم بن خطيب زملكا الانصاري الشافعي صاحب علم البيان، قوي المشاركة في فنون العلوم. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٤.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٣١٦؛ ابو شامة، ذيل الروضتين، ص ١٨٧.

(٤) المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١١٠.

طاشَ لُبُّهُ وذهب قلبه...^(١)، وقد حارب ابن عبد السلام الفرق الضالة واصحابها والمنتمين اليها ومتبعيهم، فيذكر ابن تيميه عن ابن عربي ومعتقده قوله: "... فهو معتقد لحقيّة دين الاسلام، كما هو معتقد لحقيّة عبدة الاصنام، وكذلك سائر طائفة الوجودية المتبعين له، ليس عندهم احد بكافر"^(٢).

أما موقف الشيخ العز بن عبد السلام من الفرق الضالة كالحريرية واتباعها، وما حصل لشيخ الطائفة الحريرية (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٦م)، الذي كان من اتباع الوجودية، ومن اصحاب الفتن والضلال، كانت تظهر منه الزندقة والاستهزاء بأوامر الشرع ونواهيه، وكان مستخفاً بالصلاة، وانتهاك الحرمات، وذكر عنه عشقه للمردان^(٣) والاختلاء بهم في الحمام دون ميازر^(٤)، ويذكر ابن شاکر: ان العز بن عبد السلام وابن الصّلاح وابن الحاجب افتوا بقتله لما اشتهر عنه من الاباحة، وقذف الانبياء، والفُسق وترك الصلاة، وكان هو

(١) ابن عبد السلام، قواعد الاحكام في مصالح الانام، ج ٢، ص ١٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٢، ص ١٠٨؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص ٥٨.

(٣) هو جمع امرد وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته، وطُرَّ شاربه، ولم تبدُ لحيته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٤١٧٢-٤١٧٣.

(٤) وهي جمع ازار او منزر وهو قطعة قماش تلف او تعقد على وسط الانسان لما تحت السرة، وتستخدم في الحمامات العامة لستر العورة، وارتداء المنزر هو احد آداب دخول الحمامات العامة الشرعية التي وردت فيها احاديث نبوية شريفة. للمزيد ينظر: ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٧٦-٧٧؛ المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن علي بن يحيى بن محمد القاهري الشافعي (ت ١٠٣١هـ / ١٦٥٣م)، النزهة الزهية في احكام الحمام الشرعية والطبية، تح: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٣٠.

واصحابه يقضون شهر رمضان ولياليه بهذا الكفر، ويختصون بإحياء ليلة ال(٢٧)، وهي الليلة العظيمة عند المسلمين بالرقص والغناء احياءً لذكرى شيخهم،^(١) ولسنا نبالغ في القول: ان شيخ هذه الطائفة كان يقول لأصحابه: بايعوني على ان نموت يهوداً، ونحشر الى النار، حتى لا يصحبني احد، وقال ايضاً: لو اني ذبحت سبعين نبياً على مذبح واحد، ما اعتقدت اني مخطئ،^(٢) ويذكر ابن شاکر ايضاً: عن شيخ الطائفة الحريية، أنَّه دخل عليه رجل في الحمام، فرآه ومعه صبيان حسان بلا ميازير، فجاء اليه، وقال: ما هذا؟ اجاب: كأن ليس سوى هذا، وأشار الى احدهم، تمدد على وجهه، فتمدد، فتركه الرجل وفر خارجاً من هول ما رأى،^(٣) وذكر عن الحريي أنَّه كان على شئ عظيم من الاستهتار بأمور الدين والشريعة، والتهاون بالصلاة، واطهار شعار الفسق والفجور والعصيان، وفيه من الخلاعة والمجون ما لا يوصف يجمع في مجلسه الغناء والرقص والمردان، وترك الانكار على احد فيما يفعله، ولم يكن عنده حرمة،^(٤) وكان يقول: اذا دخل مريدي بلاد الروم وتنصّر، واكل لحم الخنزير، وشرب الخمر، كان في شغلي.^(٥)

(١) فوات الوفيات، ج٣، ص٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ج٨، ص٣٤٩؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص٥٨.

(٣) فوات الوفيات، ج٣، ص٧.

(٤) ينظر: الحلبي، تسفيه الغبي، ص٣٥١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٢٥.

(٥) ينظر: ابن شاکر، فوات الوفيات، ج٣، ص٧.

وعندما سئل العز بن عبد السلام العفيف التلمساني : ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية، والاخت؟ اجاب التلمساني : لا فرق عندنا، ولما اعتقده البعض حراماً قلنا حرام عليكم، واما عندنا فما ثمَّ حرام،^(١) ولما كانت هذه الطائفة لا تعرف الحرام، فليس عجباً ما قيل عنهم، أنَّه قد يبلغ الامر بأحدهم الى ان يهوى المردان ويزعم ان الرب - تعالى - تجلى في صورة احدهم، ويقولون ان هذه مظاهر الجمال، ويُقبل احدهم الامر، ويقول : انت الله، ويذكر عن بعضهم أنَّه كان يأتي ابنه ويقول : أنَّه الله رب العالمين، وأنَّه خلق السموات والارض، ويقول احدهم لجليسه: انت خلقت هذا، وانت هو وامثال ذلك من الكفر المحض.^(٢)

لا يسعنا سوى القول قبحت تلك الطائفة التي تفتش موطوؤها وتعبده، سبحان الخالق المنزه الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد من كفرهم. ويضيف الشيخ الحصني ان مثل هؤلاء الصوفية لا تقبل شهادتهم، كما لا تقبل شهادة القمام، وهو الذي يجمع القمامة، وكذلك قيم الحمام، ومن يلعب بالحمام ويطيئه في الجو وكذلك المغني وغيرهم، وقد تحدثنا مسبقاً عن مثل أصحاب هؤلاء الفرق الضالة ومنهم يوسف القميني وغيره.^(٣)

يتحدث الواسطي الشافعي(ت٧١١هـ/١٣١٢م) عن شعوره وحكايته عندما ذكر ابن عربي وتلميذه القونوي، والذي وصف حاله وصرَّح أنَّه لم يجد تفسيراً لأقوالهم من شدة كفرهم فقال : " بقيت افتش عن التوحيد الذي

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن القيم، روضة المحبين، ص٢٢٥.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٣٤٩؛ دغش، ابن عربي وعقيدته، ص٦٧.

(٣) الحصني، كفاية الاخبار كتاب الاقضية، ج٢، ص٢٢٥.

يشيرون اليه، فوجدت حاصل تحصيلهم أنَّهم يجعلون الحق تعالى هو الوجود المطلق الساري في جميع الاكوان، وأَنَّه حقيقة الاعيان من الجماد والحيوان"، ويتابع الواسطي قوله : ويزعمون ان من وصل الى ذلك شهد الكل في الكل، فهم قوم يقولون الله، والله عندهم هو الوجود الساري الذي هو ضد عدم الذي سرى في كل شيء فوجدت على ما يزعمونه ان الهمم الذي هو الوجود سارٍ في الكلاب والخنازير، والفئران، والخنافس، تعالى الله البائن بذاته وصفاته عن جميع مخلوقاته، ان يكون بهذه المثابة، فأنَّهم لا يقولون وجوداً قديماً ، او وجوداً حادثاً، بل الوجود عندهم واحد، سارٍ في كل شيء، والعبد عندهم لاوجود له، انما الوجود الذي هو الحق، والحق هو الوجود فيه، والعبد كالمُظَّهر له، يظهر الوجود بواسطته، ولولاه لا يظهر الوجود"، ويتابع الواسطي الحديث عن حقيقة معتقدهم فيقول: ان الباري عزَّ وجل ليس منفصلاً عن الخلق فوق العرش، بل عندهم الحق ظهر في السموات والارض، وفي كل شيء ظهر بذاته، ^(١)ويقول: لما رأيتهم بهذه المثابة نفر قلبي منهم نفوراً، ولم اكن اقدر تفصيل معتقدهم، ولكني اسمع شيئاً اكرهه ولا احبه بفطرتي، فأني وجدتهم مُنحِلين في باب الحلال والحرام، والحدود واقامتها، وربما قيل لي عن رجل منهم لا يصلي، او يصلي اياماً، واذا قصدوا ملكاً، او صاحب ولاية يخاطبونه ويتضرعون اليه، كما يتضرعون

(١) الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف، ص ٤٠ ؛ دغش، عقيدة الصوفية، ص ٤١-٤٢.

الى الله تعالى، فأَنَّه عندهم مظهر الوجود، وانما يخاطبون الوجود فيه، وكان من شيوخهم من يقول للشجاعي^(١)، انت اسم الله الاعظم .^(٢)

ويصف الواسطي ايضاً ما يسمونه الحب الالهي عند الصوفية فيقول : ان الامرء هو في رتبة عالية من المظاهر الجمالية الالهية،^(٣) فيذكر ابن نوح ان احد الفقهاء يقصد احد الصوفية - قال لأمرء : انا اطلبك في السموات وانت معي في الارض،^(٤) ويذكر ان السماع عندهم اشهى شيء فهو يحرك بواعثهم، ويثير فيهم معارف الوجود المطلق، أما عند حديثهم عن مراتب الانبياء، فهم يتكلمون عنهم كأنهما على مرتبة منهم، وهم فوق الشريعة، ويرون ان الشريعة عندهم، هي " سياج طامٌ لصالح العالم "^(٥).

انتقد الواسطي كتاب الفصوص لابن عربي وعاب عليه عندما قرأه فقال: وجدت في ذلك الكتاب الدلالات على هذا المذهب الخبيث - يقصد مذهب وحدة الوجود- في تفصيله بعبارات متنوعة لم يسعه تفسيرها، ولعله لم يبالغ في القول : أَنَّهُ اختلط عليه الامر، واتعبه دهرًا طويلاً.^(٦) من الظاهر ان

(١) هو احد الامراء المماليك تولى منصب نائب السلطنة قتل بعد مقتل السلطان الاشرف خليل في سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٤م). للمزيد ينظر: ابن ايبك، كنز الدرر، ج٨، ص٣٥٣؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٣٧٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص٨٠.

(٢) الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف، ص٤١.

(٣) الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف، ص٤٢.

(٤) الوحيد في سلوك اهل التوحيد، صورة مخطوطة منشورة على شبكة الالوكة الثقافية، الورقة ٢٥٧-٢٦٠.

(٥) الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف، ص٤٢.

(٦) الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف، ص٤٣.

الواسطي لم يستطع توضيح او وصف ماهية حقيقة الصوفية لشدة كفرهم، واشتمزاز نفسه منهم ومن عقيدتهم الفاسدة وتصرفاتهم وأقوالهم وفعالهم التي اتعبته، كما اتعبت الباحثة من شدة ما قرأت من الكفر عن مذاهب بعض المتصوفة المنحرفين التي خرجت عن تعاليم الاسلام .

كان القاضي شقير (ت ٧١٥هـ / ١٣١٦م) ^(١)، ممن وقع في شباك احدى الفرق الضالة، قال عنه الذهبي : سحب الفقراء الحريية، وأثمهم بالاتحاد، ولما اراه ابن تيمية ما في الفصوص من البلايا والكفر، تبرأ منها، وقال : ماكنت اعرف. ^(٢)

مدح قاضي القضاة زين الدين عبد الله الشافعي المتوفى (٧٢٤هـ / ١٣٢٥م) التصوف والصوفية وكان يعترف بكراماتهم، فعندما سئل عن كرامات الاولياء من خرق العوائد كالمشي في الهواء، وما اشبه ذلك اهي حق؟ اجاب بخطه: ان كرامات الصالحين حق أو من به من صميم قلبي، وأعتقد به اعتقاداً جازماً بتوفيق الله وهدايته، وهذا هو مذهب اهل السنة وعليه جماهير الامة المكرمة سلفاً، ومصنفات الائمة الاعلام الموثوق بنقلهم، والمرجوع الى قولهم، مشحونة بذلك دلائل من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وان من له صحبة مع القوم يرى عجائب احوالهم وغرائب أقوالهم وفعالهم،

(١) هو شرف الدين ابو المفاخر احمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن يحيى العثماني القرشي الشافعي سمع من جماعة بدمشق واجاز له ابن النجار وطائفة وجاور بمسجد الكهف تحت جبل قاسيون. للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص ٤٨-٤٩.

ويقول :أَنَّهُ مَنْ الله عليه بصحبة بعضهم فعاينت الكرامات في أقوالهم وفعالهم، كما يرى الاعمى نور الشمس، والاعمى ضوء القمر . (١)

أما الحافظ الذهبي، وهو ممن عاش في عصر سلاطين المماليك فقد وَصَفَ انكاره للصوفية، وبينَ مخالفتهم لطريق اهل الزُّهد والتَّسكُّ، فيقول عند حديثه عن حد الرجال: أَنَّهُ ذَكَرَ لَوْ أَنَّ صَاحِبَ خَيْرِ جَلِي جَاءَ إِلَيْكَ لَكُنْتَ تَتَحَرَّزُ مِنْهُ وَكَلَامُكَ يُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ لَا تَحْتَرِزُ، فَأَجَابَ الذَّهَبِيُّ: هَكَذَا كَانَتْ نَكْتُ الْعَارِفِينَ وَإِشَارَاتِهِمْ لَا كَمَا أَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنَ الْغِنَاءِ وَالْمَحْوِ الَّذِي آلَ بِجَهْلَتِهِمْ إِلَى الْإِتِّحَادِ وَعَدَمِ السُّوْيِ، (٢) ووصف احدى جهالاتهم فيقول : عن رجل من اتباع ابن سبعين، أَنَّهُمْ يَهُونُونَ الصَّلَاةَ وَيَقُولُ رَبِّمَا صَلَّى أَحَدُهُمْ وَهُوَ نَجَسًا، وَرَبِّمَا لَمْ يَصَلِّ، وَرَبِّمَا كَانَ إِمَامًا يَصَلِّي بِالنَّاسِ إِيْمَانًا. (٣)

نقل الذهبي عن غيره عن برهان الدين الجعبري (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، ان الاخير كان يقول عن ابن عربي أَنَّهُ يَقُولُ بِقَدَمِ الْعَالَمِ، (٤) وَلَا يُحَرِّمُ فَرْجًا، وَقَدْ ذَكَرَ النَّوَوِيُّ (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، ان من يقول بقدم العالم كفر، (٥) ويضيف الذهبي عنه: ان له كلاماً كثيراً في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة، فيا حسرة على العباد، كيف يُغَضَّبُونَ اللَّهَ، وَلَا يَقُومُونَ بِالذَّبِّ عَنْ مَعْبُودِهِمْ،

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٧.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٤٨٧.

(٣) ينظر: ابن شاکر، فوات الوفيات، ج٢، ص٢٥٤؛ الواسطي، رحلة ابن شيخ الحزاميين، ص٤١.

(٤) تاريخ الاسلام، ج٤٧، ص٢٧٩.

(٥) روضة الطالبين، ج١٠، ص٦٤.

تبارك اسمه، وتقدست اسمائه وذاته عن ان يمتزج بخلقه، او يحل فيهم، وان هذا الكلام شرّ مقالة ممن قال بقديم العالم . (١)

أما قاضي القضاة ابن بنت الاعز الشافعي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م)، والذي كان ذو مكانة عالية عند سلاطين المماليك والعامّة فقد عاب على ابن عربي وعقيدته، وكان يعده مبتدعاً اتحادياً كافراً، (٢) وقد نقل عنه أنّه كان وشمس الدين الاصفهاني أنّهما كانا ينكرا كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه، (٣) ويتفق معهم في الحط على ابن عربي وتبديعه جمال الدين (٤) بن واصل الشافعي (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م). (٥)

ينتصر السبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٢م) للصوفية، فيقول: ان من حق الصوفية إظهار الكرامات للبشارة أو للإنذار، أو التربية، (٦) في حين يذكر في مكان آخر : "... ان هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره منهم ضالّ وجّهال، خارجون عن طريق الإسلام..." (٧). يبدو ان هذا تناقض في كلامه، بيد اننا نرى أنّه ليس تناقضاً فالمدقق في النصين يظهر له أنّه هو وضع الشيء محله، كما عند اعطاء المتهم فرصة للدفاع عن نفسه واعطاء

(١) تاريخ الاسلام حوادث ووفيات (٦٦١-٦٧٠)هـ، ج٤٩، ص٢٨٤-٢٨٧.

(٢) ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ج٢، ص٥٣٨-٥٣٩.

(٣) ابن تيمية، درء التعارض، ج٣، ص٢٥٣-٢٦٣.

(٤) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٤٩؛ الصفدي، نكت الهميان، ص٢٥٠.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٢٤٣.

(٦) معيد النعم، ص١٥٩.

(٧) برهان الدين البقاعي، ابراهيم بن عمر بن حسن (ت ٨٨٥هـ / ١٤٥٦م)، تنبيه الغبي إلى كفر ابن

عربي، تح: عبد الرحمن الوكيل، دار الباز، د.ت، ص ٦٨.

الدليل وابداء البراهين على ما يُظهر براءته، وهو ما ذكره السبكي في قوله الاول، ولما تبين له كفر بعضهم حكم على الجُهل منهم بالكفر والضلال. كان الشافعيون هم المقدمون في مصر والشام والحجاز، ومتى كانت البلد لغير الشافعية خربت، ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعي زالت دولته سريعاً،^(١) قال السبكي في طبقاته الكبرى: وكأن هذا السر جعله الله في هذه البلاد كما جعله الله لمالك في بلاد الغرب، ولابي حنيفة فيما وراء النهر، وقال أيضاً سمعت الوالد يقول: ما جَلَسَ على كرسي مصر غير شافعي الا وقتل سريعاً. وقال هذا الامر ظهر بالتجربة فلا يُعرف غير شافي الا قُطر رحمه الله، كان حنيفاً، ومكث يسيراً وقتل، واما الظاهر ببيرس، فقلد الشافعي يوم ولايته السلطنة، ثم لما ضم القضاء إلى الشافعي استثنى للشافعية الاوقاف وبيت المال والنواب، وقضاة السر، والايتام وجعلهم الأرفعون في البلاد، ثم ندم على فعل ذلك خير رأي حسب ادعائه أَنَّهُ رأي الشافعي في المنام حين جعل من القضاة مع مذهبه، وهو يقول له: تُهين مذهبي البلاد لي أو لك، وقد عزلتك وعزلت ذريتك إلى يوم الدين، فلم يمكث الا يسيراً ومات، وولده السعيد بركة، لم يمكث الا قليلاً وزالت دولته، وذريته من بعده.^(٢)

وقال ابو العباس القرطبي عند كلامه على الغناء عند الصوفية "ان ما ابتدعه الصوفية في ذلك، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس

(١) الذهبي، دول الاسلام، ج٢، ص٢٣٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٧٥-٢٨٠؛ ابن

كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص١٤٢-١٥٠.

(٢) المدني، الفوائد المدنية، ص ٢٧.

الشهوانية غلبت على كثير ممن يُنسب إلى الخير، حتى ظهرت في افعال كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال، وانما هي من آثار الزندقة، وقول اهل المخرقة".^(١)

ينقل الذهبي عن ابي حامد الغزالي قوله: "... وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فيجلس فارغ القلب، مجموع الهم، فيقول الله الله...، على الدوام، فليفرغ قلبه، ولا يشغل بتلاوة، ولا كتب حديث، فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة في بيت مظلم وتدنثر بكسائه، فحينئذ يسمع نداء الحق: "يا ايها المدثر"، و"يا ايها المزمّل"، ويقول الذهبي: انما سيد الخلق هو الذي سمع "يا ايها المدثر" من جبريل عليه السلام، وهذا الاحمق لم يسمع نداء الحق ابداً، بل سمع الشيطان، أو سمع شيئاً لا حقيقة له من طيش دماغه، والتوفيق بالاعتصام بالسنة والاجماع".^(٢)

وينتقد الذهبي كتاب الاحياء للغزالي، ويقول عنه: فيه جملة من الاحاديث الباطلة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرفي الصوفية، ويكمل الذهبي قوله: نسأل الله علماً نافعاً، ويقول أ تدري ما العلم النافع؟ فيجيب هو ما نزل به القرآن، وفُسرهُ الرسول (ص) قولاً وفعلاً، ولم يأت نهى عنه، وينصح الذهبي الذين يقرأون كتابه بقوله: عليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي، ورياض النواوي واذكاره، تغلح وتتجح، وإياك وآراء عباد

(١) الحلبي، الرقص والوهص لمستحلي الرقص، ص ١٠٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

الفلاسفة ووظائف اهل الرياضات، وجوع الرهبان وخطب طيش رؤوس أصحاب الخلوات...^(١)، وحين ترجم الذهبي لابن عربي وصفه بأنّه: كان نكياً، كثير العلم، كتب الانشاء لبعض الأمراء بالمغرب، وتزهد، وتفرد، وتعبّد، وتوحّد، وسافر وتجرد، وعمل الخلوات، وعلق شيئاً كثيراً عن اهل الوحدة، وقال عن كتابه فصوص الحكم: أنّه من اسوء التآليف، وان ما به كفر، وان كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفرٌ مثله، وقد عظّمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه.^(٢)

وعندما تحدث ابن كثير الشافعي ت(١٣٧٥هـ/١٣٧٥م) عن الصوفي ابن سبعين فقال: أنّه اذا رأى الطائفين حول بين الله الحرام يقول عنهم : " كأنّهم الحمير حول المدار، وأنّهم لو طافوا به، كان افضل من طوافهم بالبيت ... " ^(٣).

استغل الاشاعرة الشافعية نفوذهم في دولة المماليك استغلالاً فاحشاً كي يضرروا كل من يعاديهم بالأفكار والعقائد، وحقيقة الامر هو صراع على السلطة والاموال، ففي سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٧م) تألبوا على ابن تيمية، بسبب مخالفته لهم في مسائل فقهية وأصولية، فقاموا بتحريض العامة عليه، كما ألبوا السلطان والأمراء والقضاة والصوفية، وادعوا أنّه جاء بالبدع والكفر،

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٤٠.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٢٧٩.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٤٩٧.

وحبسوه مراراً، وادخلوه السجن في السنة نفسها، ولم يخرج منه إلا ميتاً سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٩م).^(١)

أما سعد الدين التفتازاني الاشعري (ت ٧٩١هـ / ١٣٩٢م) أحد فقهاء ذلك العصر كتب كتاباً رد فيه على ابن عربي وكشف عن حقيقته، قال في مطلعته: لما رأيت الاباطيل في كتاب الفصوص، انطقني الحق على هذا الفسق وقال قصيدة طويلة نقتبس منها :

كتاب الفصوص ضلال الامم ورين القلوب نقيض الحكم
كتاب اذا رُمت ذمّاً له ومَدَّكَ بحرٌ طمى وانسجم .^(٢)

وقال التفتازاني بعد الابيات المتقدمة :ان صاحب الفصوص، تجاهر بالوقاحة العظمى، وجاوز في حماقة الامد الاقصى، حتى فَضّل نفسه الدنْيَةَ على الذي هو دونه، وجعل تكميل الدين لبنتين من الذهب والفضة، لبنة الذهب هو نفسه، ولبنة الفضة خاتم النبيين^(٣)، وقد كَذَّبَ هذا الملحد رب العالمين، وزعم ان الدين لم يُكْمَل بسيد البشر المبعوث الى كافة الناس، وبقيّ فيه موضع فيه لبنتان فضة وذهب، فلبنة الفضة، النبي الذي ختم النبوة، ولبنة الذهب، الولي الذي ختم الولاية، ويعني بها نفسه، ولم يرضى

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٨.

(٢) التفتازاني، الرد على اباطيل كتاب الفصوص لابن عربي، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) خاتم النبوة هو الذي ختم الله به النبوة، فلا يكون الا واحد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. للمزيد ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٨؛ الشرقاوي، معجم لفاظ الصوفية، ص ١٢٧.

بالادعاء برتبة التساوي مع الانبياء، ولذا سموه الملاحدة من امثاله بخاتم الولاية^(١)، وهم يفضلونه على خاتم الانبياء والمرسلين، ويتحدث التفتازاني عن ابن سبعين وطائفته ومغامراتهم مع الحشيشة فيقول: ان خيال الحشيش، حمله على ترويح هذه الزندقة الشنعاء باختلاق رؤيا لا يُصدقها الا الاغبياء من الأغوياء، وهي ما أودعها ابن عربي في ديباجة الفصوص، وامر بإشاعته بين الناس، و يؤكد التفتازاني على القول هل سمعت عاقلاً يروج الزندقة المخالفة للعقل والشرع، وان النبي (ص) بعد مضي ستة مائة عام من وفاته يظهر في المنام، ويهدم ما قدمه الى ملته من المسلمين، والتي مهّد لها مدة ثلاث وعشرين عاماً الى آخر حياته، ويجعل الكتب المنزلة من السماء تدليساً لأمر المبدأ والمعاد على العالمين، والرسل والانبياء مع الصادقين في دعوى الالوهية، معاندين ومجادلين، وتسمية العارفين بالله، بأنهم سفهاء جاهلين، وللعابدين لله أنّهم اغوياء مشركين، ولأمر المبدأ والمعاد مدلسين، الى ان زال ذلك التلبيس والتدليس، بعد انقضاء عهد الانبياء والمرسلين ذلك الحشاش الغوي^(٢).

وتحدث احد فقهاء العصر المملوكي عندما سئل على من يُفضل الانبياء على الاولياء، اجاب ان منهم من يقول: ان الانبياء والرسل انما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الاولياء، ويدعي لنفسه أنّه خاتم الاولياء، ويكون

(١) خاتم الولاية هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة ونهاية الكمال ويختل بموته نظام العالم. للمزيد ينظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ص ١٧٨؛ الشرقاوي، معجم لفاظ الصوفية، ص ١٢٧.

(٢) ينظر: التفتازاني، الرد على اباطيل كتاب الفصوص لابن عربي، ص ٢٢٨-٢٣٣.

ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو ان هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له مباين، لكن هذا يقول: هو الله، وقال ان النبوة حُتِمت، وان الولاية لم تُختم، وادعى من الولاية ما هو اعظم من النبوة، وان الانبياء هم المستفيدون منها، وقال:

سَمَاءُ النَّبِوةِ فِي بَرَزَخٍ فُوقَ الرَّسُولِ وَدُونِ الْوَلِيِّ. (١)

أما ابن حجر الذي قضى مقتبل عمره معاصراً لسلاطين المماليك فيرى ان ما يفعله الصوفية من اعمال ما هو الا بدعٌ وشهوانية للنفوس التي تغلبت عليهم، حتى ظهرت عليهم افعال الصبيان والمجانين، أما رقصهم بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة فقد جعلوها من باب التقرب إلى الله ومن صالح الاعمال، وهذا من اثار الزندقة. (٢)

نستشف مما سبق ان مواقف فقهاء الشافعية تجاه التصوف والمتصوفة قد تباينت في الوصف بين الباطل والكفر والزندقة، كما تباين وصف بدعهم بين الشهوانية والجنون في حين وقف بعض فقهاء الشافعية بجانب المتصوفة و أيدوا افكارهم وناصروا أقوالهم عن الكرامات والخوارق.

(١) ابن ابي العز، لطائف الاسرار، ص ٤٩؛ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٢٥٢.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبه الحمد، مطبعة العبيكان، الرياض،

المبحث الخامس

مواقف المتصوفة من الفقهاء:

اختلفت علاقة المتصوفة مع الفقهاء، كما اختلفت مواقف فقهاء المذاهب الأربعة من المتصوفة، وذلك تبعاً لمنهج هؤلاء المتصوفة وطريقتهم، فمن الفقهاء من يؤيد سلوك المتصوفة ويحابي سيره في طريقته، ومنهم من ينكر عليه في طريقته الصوفية، ويتعصب لمذهبه، فالشعراني يرى: ان غالب الانكار الذي يقع بين الفقهاء والصوفية إنما بين القاصر بين كل منهما، وبين مثله، ويذكر ان: الكامل من الفقهاء يُسلم للعارفين، والعارفون يسلمون للعلماء، ويقول عن لسان الصوفية: كل حقيقة تخالف ظاهر الشريعة، فهي باطلة نصره لظاهر الشرع، والا فالحقيقة من اصلها لا تكون الا موافقة للشرع،^(١) وينقل ابن العماد قوله ايضاً: ينبغي الاكثار من مطالعة كتب الفقه، عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة الطريق فمنعوا مطالعتها وقالوا أنه حجاب وذلك جهلاً منهم.^(٢)

ويوصي الشعراني تلاميذه: أن يدورا مع الشرع كيفما كان، لا مع الكشف، فأنه لا يخطئ،^(٣) يبدو بذلك جلياً ان البعض من المتصوفة كان يميل إلى الفقه، وينقل الشعراني مذكره الشيخ زكريا الانصاري أنه: إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم

(١) ينظر: المنن الكبرى، ص ٦٢؛ الشعراني، الانوار في آداب الصحبة عند الاخبار، ص ٣٢.

(٢) شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٧٤.

(٣) الشعراني، المنن الكبرى، ص ٦٢.

واصطلاحاتهم، فهو فقيه جاف،^(١) أما شيخ الوفائية^(٢)، فقد كان رأيه ان اصل التصوف هو الفقه، فقال: لا تبع ذرةً من الحب لله، أو في الله بقناطير من الاعمال.^(٣)

أما ابو العباس المرسي، فقد كان مهتماً بدعوة الفقهاء وطلاب الشريعة لسلوك الطريقة الشاذلية، ولذلك قال عنه ابن عطاء الله السكندري: أنه كان مكرماً للفقهاء، ولاهل العلم، وطلبته إذا جاؤه،^(٤) يبدو أن ذلك يبين سبب تأثر علماء عصره به.

ويذكر ابن عطاء الله عنه أيضاً: أن علماء الزمان كان يسلمون له^(٥) لعل ذلك ما دعى العلماء ممن جاء بعده بالتأثر بالطريقة الشاذلية كالسيوطي^(٦)

(١) ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ص ٥.

(٢) هو الشيخ الصوفي محمد وفا رأس العارفين الوفائية بالاسكندرية سمي وفا لكرامة وقعت له عند جفاف النيل وقت وفاءه، فقال له: اطلع بأذن الله فطلع، فسموه وفا، أصله من المغرب سكن الاسكندرية، وله العديد من المؤلفات في التصوف منها كتاب العروس، وكتاب الشعائر. للمزيد ينظر: طبقات الشعراني، ج ٢، ص ٢١؛ النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) الشعراني، الانوار في آداب الصحبة عند الاخيار، ص ٦٤.

(٤) ابن عطاء، لطائف المنن، ص ١٦٦.

(٥) لطائف المنن، ص ١٣٦.

(٦) هو جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان محمد بن خضر بن ايوب بن همام الدين الخضير الذي هو اصل جده من محلة الخضيرية ببغداد، نشأ السيوطي يتيماً اخذ الفقه عن مشايخ كبار ورحل لطلب العلم الى بلاد عديدة حتى اجيز له التدريس، كتب الكثير من المصنفات في العلوم المختلفة توفي سنة (٩١١هـ/١٥١٢م). للمزيد ينظر: كتابه، نور المنجم في المعجم، تح: ابراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٨-١٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١٠، ص ٧٤.

والمناوي^(١)، الذين كانا من أتباع هذه الطريقة، فقد كان ابي العباس المرسي يرى أنه: لا تعارض بين سلوك طريقة التصوف وطريق الشريعة، فالشعراني كان محقاً حين قال: عن الفقه هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة،^(٢) فلا تصوف بلا فقه، ولا فقه بلا تصوف، فالفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على احكام الله وحقوقه، ولهما حكم الاصل الواحد في الكمال والنقص،^(٣) الا اننا نرى ان للصوفية تعصب اوصلهم اليه تعصبهم لمذهبهم وطائفتهم، ومنها حرصهم على ارتداء المرقعة أو الخرقه، واصرارهم على القول بأنها موروثة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عن بعض الصحابة، ويذكرون عدة روايات منها ثلاث طرق اوصلوها للرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الخضر عليه السلام، أو عن الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وعنه أخذ الحسن البصري خرقته في التصوف، أو عن طريق الإمام جعفر الصادق (ع) وعن طريق احد هؤلاء اخذ الصوفية خرقتهم.^(٤)

(١) هو زين الدين محمد بن عبد الرؤوف من كبار العلماء كان قليل الكلام والطعام الف العديد من المؤلفات في منها في الفقه ومنها في التصوف اشهرها كتاب فيض القدير في شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير كما شرح تائية ابن الفارض وغيرها من المؤلفات توفي سنة (١٠٣١هـ/١٦٥٣م). ينظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٣٥٧؛ الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٠٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ج١، ص٤.

(٣) ينظر: زروق، قواعد التصوف، ص١٣، ص٣٣.

(٤) علال، خالد كبير، التعصب المذهبي في التاريخ الاسلامي، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٩.

ولعلنا لا نبالغ لو قلنا أن غلو بعض الصوفية وادعاء بعضهم الآخر بوحدة الوجود، بمعنى أن الوجود كله واحد، فالله تعالى هو الوجود، والوجود هو الله، بمعنى أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، وبهذا الزعم الباطل المخالف للعقل والدين، الذي قاله كبار منحرفي الصوفية، وأوصلهم إلى هذا الضلال هو تعقبهم وأتباعهم لأهوائهم، واعراضهم عن الشرع، وعدم احتكامهم للعقل هو الذي اجج الصراعات والفتن المذهبية بين ابناء الطائفة الواحدة من الفقهاء وبين المتصوفة، فمثلا على الرغم من القاضي سراج الدين الغزنوي (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧٣م) والذي تحدثنا عنه مسبقاً، كان يتعصب للصوفية الاتحادية، دعاة وحدة الوجود، أتباع ابن عربي، و أنه عَزَّر رجلاً تكلم في الصوفي عمر بن الفارض،^(١) وكان يقف مع دعاة وحدة الوجود موقفاً ايجابياً، بيد اننا نرى آخر من نفس الطائفة يقف بالضد من موقف المتصوفة دعاة وحدة الوجود، وربما ضد القاضي نفسه، و لعل من الجدير بالذكر ان صدر الدين القونوي (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) الذي عاش في العصر المملوكي من اكبر تلاميذ ابن عربي، وتزوج الاخير من امه، وهو من تولى تربيته، كان يشيد بابن عربي وقدراته ويقول: ان شيخنا ابن عربي متمكناً من الاجتماع بروح من يشاء من الانبياء والأولياء الماضيين، وان شاء ادركه متجسداً في صورة مثالية، شبيهة بصورته التي كانت له في حياته الدنيا، وان شاء احضره في نومه، وان شاء اجتمع به، وهو أكثر كلام أهل الطريقة،^(٢) ويبرر القونوي اعتقاد ابن عربي هذا و يوضح فيقول : ان الوجود

(١) المقرئزي، درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٢) المناوي، الكواكب الدرية، ج ٢، ص ١٦٦.

الالهي عند الصوفية له اعتباران :احدهما من حيث كونه وجوداً فحسب، وهو وجود مطلق عن الاسماء والصفات، والآخر: اعتبار التعيين والتشخيص، ويضاف اليه كل وصف، و يسمى بكل اسم، ويقبل كل حكم، ويتقيد بكل مقام وبكل رسم. (١)

أما موقف الصوفية من الحلول والاتحاد الذي نُسب لهم، والذي كثرت أقوالهم في رده، والقول ببطلانته، (٢) فقد حذر ابن عربي من القول به قائلاً: " واحذر من الاتحاد، فان الاتحاد لا يصح ... " (٣)، أما الامام الغزالي قال: ان العارف الكامل كالمتردد بمذكوره، ولست اقول متردداً بالذات، فلا تغفل ولا تغلط ولا تسئ الظن. (٤)

يذكر احد المؤرخين :ان قول الصوفية ذلك وانكارهم القول بالحلول والاتحاد، وأنه شرك وكفر، يرجع الى ان ذلك يتعارض ويتضارب مع من يؤمن بوحدة الوجود، اي أنهم اذا قالوا بالحلول والاتحاد تتضارب أقوالهم فيما بينها، (٥) وهذا ما ذهب اليه المؤرخ الصوفي عبد القادر عيسى في اعتقاد الصوفية بالحلول والاتحاد، فقال : ما ينبغي لمنصف ان يرميهم بهذا الكفر

(١) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٣٢.

(٢) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٤٦.

(٣) ابن عربي، المختار من رسائل ابن عربي كتاب الالف المسمى الاحدية، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٥.

(٤) الاربعين في اصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٠٧.

(٥) القصير، عقيدة الصوفية، ص ٤٧.

جزافاً، دون تمحيص أو تثبت من غير ان يفهم مرادهم، ويطلع على عقائدهم التي ذكروها صريحة في كتبهم كما في الفتوحات المكية . (١)

تباينت مواقف الفقهاء مع المتصوفة، مثلما تباينت مواقف بعض المتصوفة مع الفقهاء، فالحافظ المقدسي عندما ذهب إلى بغداد سنة (٥٦٠هـ/١١٨٢م) مع ابن خالته موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/١٢٦١م) (٢)، التقيا مع الشيخ عبد القادر الجيلاني وانزلهما في مدرسته وكان لا يُنزل أحداً عنده لكنه توسم فيهما الخير فقبلهما عنده واکرمهما واسمعهما لكنه توفي بعد ذلك بخمسين ليلة . (٣) لعل ذلك اشارة الى بدايات لعلاقات طيبة بين الطرفين لم يشتهاها الا موت الشيخ الجيلاني .

تذكر الدكتورة سعاد الحكيم: ان ضياء الدين المقدسي المتوفى (٦٤٣هـ/١٢٤٦م)، قد اشاد بابن عربي وامتدحه واثى عليه، وكذلك الزملكاني الشافعي الذي كان يُعظمه، وشهد له السهروردي الصوفي بأنه

(١) حقائق عن التصوف، ص ٥٤٠.

(٢) هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد احد أعلام الحنابلة البارزين، وصاحب التصانيف الكبيرة ولد بجماعيل في القدس وهاجر مع اخيه الى بغداد ورحل الى دمشق لطلب العلم وثقفه وسمع من المشايخ حتى فاق اقرانه وانتهى اليه معرفة المذهب واصوله، وكان عنده تبحر وتقنن في علوم عديدة وعليه هيبة ووقار. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٨٠-١٨١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٥٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٧٣٢.

بحر الحقائق،^(١) لعل ذلك احدى دلائل وقوف بعض الفقهاء الى جانب المتصوفة في ذلك العصر، وتضيف أنه لما حدث في حلب لغط حول ديوان ابن عربي " ترجمان الاشواق"، وحول حبه للتي اهداها الديوان، الا أنه استدرك الامر بناء على طلب تلميذه القونوي، وقام بكتابة شرح لشعره، دّل فيه على اشاراته ورموزه المادية في التصوف .^(٢)

أما ابن دقيق العيد، فقد وقف موقفاً معادياً من الصوفية وفعالهم ومؤلفاتهم، وقال عن ابن عربي: أنه صاحب خيال واسع، وهو ما نقل عن غير واحد من فقهاء مصر ممن سمعوا كلامه،^(٣) كما انكر على البدوي كراماته، ويتهمة بعدم الصلاة، وتنتهي القصة فيما بينهما بكرامة تجعل الفقيه يعتقد بولاية البدوي.^(٤)

اختصر الصوفية علوم السُنّة واطلقوا عليها (علم الظاهر) واطلقوا على علومهم (علم الباطن)، وغلفوه بادعاء الكرامات والمنامات التي ساد الاعتقاد بها في ذلك العصر حتى عُرف علمهم بالعلم اللدني، أي أنه الذي يأتي من وحي الله كما يزعمون، فالتصوف في العصر المملوكي جاء بعلم جديد

(١) ينظر: الحكيم، سعاد، التصوف والثقافة الصوفية في عهد المماليك، مقالة منشورة على شبكة الانترنت، www.alukah.net.

(٢) ينظر: الحكيم، سعاد، التصوف والثقافة الصوفية في عهد المماليك، مقالة منشورة على شبكة الانترنت، www.alukah.net.

(٣) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢، ص٢٤٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ووفيات ٦٣١-٦٤٠هـ، ج٤٦، ص٣٥٨).

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص٦٠٥؛ القرشي، الجواهر السنية، ص ٤١.

للمصوفية، هو العلم الذي لا يحتاج إلى اسناد، يقول فيه الشيخ الصوفي ما يشاء، ويزعم ان علمه هذا من الله جلّ وعلا مباشرة، وبلا واسطة، أي أنّها وحي الا هي مباشر.

على أن لا يفوتنا أن نذكر أن العديد من الفقهاء كان لهم اعتقاد بالمتصوفة، وكانوا ينقادون لأمرهم، فقد اعتقد العالم ابن اللبان^(١) بتصوف ياقوت العرشي بسبب حادث حدثت بينهما، وهي ان السيد البدوي، تكلم بكلام في غير حقه وانكر عليه عمل المولد، وكان البدوي آنذاك أحد الاقطاب المشهورين بالتصوف وكان ابن اللبان عالماً بالقرآن والعلم والايمان، ولما انكر الفقيه على السيد البدوي، اختل عقله ونسي ما كان له من العلم، وظلّ يستغيث بالأولياء فلم يقدر احد أن يتدخل في امره، الا أن دلوه على ياقوت العرش، الذي سأل البدوي أن يرد عليه رأس ماله، وهو عقله وعلمه، فاشتراط البدوي عليه التوبة، فما كان من ابن اللبان الا التوبة، وكانت ذلك سبب اعتقاد ابن اللبان بياقوت العرش احد اولياء عصره، كما تزوج ابن اللبان من ابنة ياقوت العرش.^(٢)

يشير احد المؤرخين المعاصرين الى انضواء الفقهاء تحت اجنحة المتصوفة ويستشهد بذلك الحديث عن القطب الدسوقي، الذي تعرض لهجوم

(١) شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي المصري كان عارفاً بالفقه والاصلين والعربية ولد بدمشق ورحل الى القاهرة قدمه ابن الرفعة وولي التدريس بترية الشافعي، واختصر كتاب الروضة وكتاب الام مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٩م). للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٨.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠٥؛ ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٣٧٦.

العلماء بنفس الوقت الذي تعرض فيه لهجوم الأمراء، بل لا يقل عنه شدة فكان يأتيه فريق من الفقهاء ليمتحنه، وليكشفه إمام الناس على مزاعمه، ولكن سرعان ما يتبخر علمهم الذي كانوا يريدون التباهي به عندما مقابلتهم الدسوقي، ويصف الدسوقي امثال هؤلاء الفقهاء لتلامذته بقوله: "... يا اولادي كم عالم غافل محجوب مزكوم لا شم ولا فهم ولا علم ولا نظر..."، ويذكر أيضاً أن ما جاء من العلماء يبحث عن حقيقته، وصدق خبره لديه، صار من ابتاعه، وبهذه الحال استسلم له الكثير من كبار علماء عصره، وقد اشار الدسوقي إلى ذلك في شعره بقوله:

وكم عالم قد جاءنا وهو منكرٌ فَرَدَّ بفضل الله من أهل خرقتي.^(١)

وينتقد الدسوقي الفقهاء بقوله: لو أن الفقيه اتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما امره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ، ولكنه اتى العبادات بعلل وامراض لذلك احتاج إلى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء.^(٢)

احتج المتصوفة على الفقهاء انكارهم عليهم مؤلفاتهم الصوفية كما انكروا عليهم تدخلاتهم في ذلك، فقد انكر الفقهاء على الامام الغزالي وعلى ما كتبه في كتابه (احياء علوم الدين)، فالبعض من الفقهاء شنعوا عليه اشد تشنيع، وذهبوا الى ان فيه من الكفر والغرائب والاحاديث المنكرة، واراد بعض

(١) خلف الله، من قادة الفكر الصوفي، ص ٨٤.

(٢) الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، ج ٢، ص ٤٧٢.

علماء المغرب احرقه ومنهم الامام المازري (ت ٥٣٦هـ/١١٥٨م) ^(١)، وقالوا: هذا احياء علوم دينه، وليس احياء علوم ديننا، واحياء علوم ديننا هو الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيذكر ابن كثير عن الكتاب: أنه كتاب عجيب يشتمل على علوم من الشرعيات ممزوج بأشياء لطيفة من التصوف، واعمال القلوب، ولكن فيه احاديث وغرائب ومنكرات، ومنها ما هو موضوع، وكان رد الامام الغزالي عليهم بقوله: "انا مُرَجِّي البضاعة في الحديث" ^(٢) على الرغم من مكانة الامام الغزالي عند اهل عصره وسعة مؤلفاته، الا ان المؤلفة ترى ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليست بضاعة للبيع والشراء ولا تحتاج الى ترويج او تسويق كما وصفها وأنها احاديث قدسية لا جدال فيها، صادرة عن خير الانام وعلى كل المسلمين الاخذ بها.

وكان ممن رد على المتصوفة في كتاباتهم ومقالاتهم ان ابن عربي قال أنه اخرج كتاب الفصوص للناس عندما رأى النبي في منامه وامره بإخراجه اليهم، بل هو من اعطاه له الفقيهان شمس الدين ^(٣) الجزري الشافعي، والفقيه

^(١) هو ابو عبد الله محمد بن علي ولد بالمغرب في مدينة المهدية ونشأ وترعرع بها ولقى تعليمه فيها كما طلب العلم على يد علماء كبار وتصدر للتدريس بالجامع الكبير بالمهدية وتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة اشتهرهم محمد بن تومرت كان ينكر على الصوفية لبسهم خشن الثياب ويسميهن المتهمين وقال ان عمالهم هذه بدع. للمزيد ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٠٤-١٠٧؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٥٠-٢٥١؛ الحسيني، وقفات هامة، ص ٩٤.

^(٢) البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٢١٣.

^(٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الله كان خطيباً بالجامع الصالحى بمصر ثم بالجامع الطولوني وولي تدريس الشريفة ومدرسة العز بمصر كان مشاركاً في فنون عديدة في الاصلين والفقه والنحو والبيان والمنطق وله العديد من المصنفات منها شرح التحصيل وشرح منهاج البيضاوي وغيرها.

الحنبلي سعد الدين^(١) الحارثي قاضي قضاة الحنابلة بالقاهرة المتوفيان في نفس سنة (٧١١هـ/١٣١٢م)، عندما سُئلا وجماعة من العلماء عن بعض عبارات ابن عربي في الفصوص، وكان السؤال الذي وجه اليهم من قبل العامة : " ما تقول السادة العلماء، ائمة الدين، وهداة المسلمين في كتاب بين أظهر الناس، رَعَمَ مصنفه أَنَّهُ وضعه وأخرجه للناس بأذن النبي في منامٍ رَعَم أَنَّهُ رآه ... "، وانكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد، فهل يُكْفَر من يصدقه في ذلك ام يرضى به منه ام لا، وهل يَأْثَم سامعه اذا كان عاقلاً بالغاً، ولم ينكره بلسانه او بقلبه ؟

فكان جواب الحارثي :الحمد لله ما ذُكِر من الكلام المنسوب الى الكتاب المذكور، يتضمن الكفر، ومن صدَّق به، فقد تضمن تصديقه بما هو كفرٌ، يجب الرجوع عنه، والتلفظ بالشهادتين عنده، وحقٌّ على من سمعه انكاره، ويجب محو ما كان مثله وقريباً من هذا الكتاب، ولا يُترك بحيث يُطلع عليه، فان في ذلك ضرراً عظيماً على من لم يستحكم الايمان في قلبه، وربما كان في الكتاب من التموهيات، والعبارات المزخرفة اشارات الى ذلك، لا يعرفها كل احدٍ، فيعظم الضرر، وكل هذه التموهيات ضلالات وزندقة،

للمزيد ينظر: الصفدي، اعيان العصر، ج٥، ص٣١٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٩، ص٢٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٩٩.

(١) ابو محمد وابو عبد الرحمن مسعود بن احمد بن مسعود بن زيد من ائمة الحديث وافر الاخلاق فصيحاً ذكياً، سمع الحديث من جماعة وحدث وكتب وصنف وكانت له اليد الطولى في هذه الصناعة. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج٤، ص٣٠-٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص١١٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٢٥١.

وانما الحق هو اتباع كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه، وقوله : أَنَّهُ أَخْرَجَ الْكِتَابَ بِإِذْنٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَنَامٍ رَأَاهُ فَكَذَّبَ مِنْهُ عَلَى رُؤْيَاهُ لِلنَّبِيِّ. (١)

اتفق شمس الدين الجزري الشافعي المذكور اعلاه، مع الفقيه الحارثي في تكذيب ابن عربي رؤياه للمنام، وقال : ان من يصدقه فيما قاله، فحكمه كالحكم من التضليل والكفر، اذا كان عالماً، فان كان ممن لا علم له، وقال ذلك جهلاً عُرِفَ به، وبحقيقته، ويجب تعليمه وردعه مهما امكن، ويضيف الجزري : أما انكاره الوعيد في سائر حق العبيد كذب، وَرَدُّ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وقد دلت الشريعة دلالة قاطعة على أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ عَذَابِ طَائِفَةِ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُنْكَرٍ ذَلِكَ يُكْفَرُ . (٢)

من الظاهر اتفاق بعض فقهاء المذاهب المختلفة في اشتراكهم بتكفير بعض ادعاءات المتصوفة ممن لا توافق الكتاب والسنة، والرد عليهم من خلال المناظرات واجوبة الاسئلة التي تطرح عليهم مباشرة، او من خلال الكتب والمصنفات.

انكر المتصوفة على ابن القيم أقواله عنهم و ردوا عليها في كتاباتهم فعندما قال: ان مخالفة الصوفية لطاعة الله فهو من اشد القبح، فأن حقيقة الصوفي أَنَّهُ عَمِلَ بِعِلْمِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِخْلَاصِ، فكيف يكون مخالفة هذا في افعاله وأقواله لطاعة الله تعالى، وقالوا أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ ان يقول :ان مخالفة من انتسب الى الصوفية، وليس هو منهم طاعة وقربة الى الله ليخرج ائمة

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص ١٧٢-١٧٣؛ الشوكاني، الفتح الرباني، ج٢، ص ١٠٢٧.

(٢) البقاعي، تنبيه الغبي، ص ١٤٢-١٤٣؛ الشوكاني، الفتح الرباني، ص ١٠٢٧.

الطريق، كما انكروا عليه قوله: ان الشريعة كانت كافية عن الحقيقة، رد عليه المتصوفة بأن قوله كلام صدر بلا تأمل، لأن الحقيقة غاية الشريعة، وان الناس في الشريعة على مرتبتين احدهما: من عمل بالشريعة تقليداً من غير ان يصل الى مقام اليقين، والثانية: من عمل بها بعد وصوله الى مقام اليقين، فليست الحقيقة بأمر زائد على الشريعة، لأن الحقيقة هي الاخبار بالأمور على ماهي عليه، وان المشرع لا يُخبر الا بالواقع، وغاية التصوف الوصول بالرياضات والمجاهدات الى مقام العلم^(١) واليقين^(٢).

أما قول ابن القيم : ان من قال حدثني قلبي عن ربي يكفر، وليس بمسلم قائله على الاطلاق، فقد فندوا أقواله وقللوا من علمه، وقالوا أنه لم يفهم أقوالهم، ودعوا له ان يغفر الله له ما اتهمهم به وأنه فسر الشريعة على حسب فهمه، وكان رد الصوفية عليه: انما يكون كفراً لو قال :اعطاني الله امراً يخالف الشريعة وصار يتدين به، واما ما اطلعه الله عليه عن طريق الالهام والتحديث، على اسرار الشريعة، وعلى زيادة الآداب في العمل بها، فلا مانع من ذلك، فما بلغنا ان احد من الاولياء ادعى أنه خرج عن تقليد الشارع، او من دائرة علمه ابدا (عليه افضل الصلاة)، بل كلهم يجمعون

(١) يرى الصوفية ان العلم علمان علم كسبي عن طريق التحصيل والتلقين، وعلم وهبي وهو ما يقذفه الله تعالى في قلب عبد فيصبح عالماً ومعلوماً ويعرف عندهم بالمعرفة، فالعلم الكسبي عن طريق الشريعة والعقل، والعلم الوهبي ما يسمى بالعلم اللدني ويكون على اشكال أما وحي وهو ما يختص به الانبياء، او الهام وهو ما يختص به الانبياء والاولياء معاً. للمزيد ينظر: الشرقاوي، معجم الفاظ الصوفية، ص ٢١٢-٢١٣.

(٢) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٣.

على ان جميع علومهم من باطن شرعه (صلى الله عليه وسلم)، ولا يجوز لاحد منهم العمل بما فهمه منها الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما. (١)

اعاب ابن القيم على الصوفية وانكر عليهم السماع، فقالوا: لا وجه لتحريم سماع الاصوات المطربة مع الضرب بالقضيب على الدف والتصفيق، فان آحاد هذه الامور حلال، كذلك اذا اجتمعت تكون مباحة، ولا دليل على تحريم السماع من نص او لا قياس، واذا كان الصوت موزوناً فلا تحريم، كما انتقد ابن القيم الامام الغزالي في موافقته اباحة اجتماع السماع والضرب على الدف والتصفيق، فقال: لقد نزل ابي حامد بهذا الاحتجاج من مرتبة الفهم الصحيح، واني لأتعجب من انسلاخه من الفقه الى مثل هذه الهذيان، فالغزالي كان مجتهداً في مثل ذلك فلا لوم عليه من قوله اجتماع هذه الامور، وأضاف قد بلغنا عن الغزالي ما هو اقبح من القول بإباحة الغناء مع الالة المطربة فقد قال: -يقصد الغزالي -، من احب الله تعالى وعشقه واشتاق الى لقاءه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه، الا ان ابن القيم يُفند هذا القول ويقول: هذا خطأ لا يجوز اطلاق العشق على الله تعالى، لأنَّه يقتضي مماسة العاشق للمعشوق وهو الله تعالى، وذلك محال، بيد ان الصوفية ردوا على ابن القيم قوله واجابوا: أنَّه لا انكار على الغزالي وغيره في تسمية محبة الله عشقاً، معللين ذلك بأنَّه لم يرد لهم نهياً عن ذلك، وان العشق من اوائل مقدمات المحبة، فلو سمينا العاشق لله محباً له كان ذلك

(١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٤.

كذباً، فالعاشق يطلب القرب من حضرة محبوبة لا الاتصال به، لأنَّه يعلم ان ذلك محال . (١)

أما الفقيه بدر الدين الزركشي الذي عاش في هذا العصر وشاهد كل ما تحدث عنه، قد تصدى للمتصوفة متعاطي الحشيشة بآرائه التي جسدها للرد على أقوالهم وفعالهم في عدم تحريم الحشيش، من خلال كتابه الذي سماه (زهر العريش في تحريم الحشيش)، بعد ان اخذ متعاطوه الشرعية الدينية من زعيم الطائفة الحيدرية الذي كان يشجع على اكلها، ويدعي أنَّه هبة من الله اليهم، يقول لهم : ليذهب بأكله همومكم الكثيفة، ويجلو بفعله افكاركم الشريفة، فراقبوه فيما اودعكم وراعوه فيما استرعاكم،^(٢) ويذكر المقرئزي : أنَّه لم يقطع اكلها في يوم ويوصي اتباعه ويأمر مريديه دائماً بتقليل الطعام، واكل الحشيشة المخدرة التي تذهب بالعقل،^(٣) والتي حرمها الله سبحانه وتعالى، وكافة المسكرات وعوضهم عنها بالمأكولات والمشروبات النافعة للروح والبدن، كما حرم السماع و الآلات اللهو واعاض عنها بسماع القرآن العظيم وآياته، وحرَّم الخبائث من الأطعمة واعاضهم عنها بالطيبات من المأكَل النافعة، وعرف الذين آمنوا حكمته ورحمته، وابان نعمته عليهم . (٤)

(١) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٥.

(٢) ينظر: المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ٦٥٨-٦٥٩؛ الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، ص ٤٧-٤٨.

(٣) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، ص ٥٥.

(٤) ينظر: ابن القيم، روضة المحبين، ص ١٩.

لعل من المفيد ان نذكر ان الامير سودون الشخلي، تصدى لمتعاطي الحشيشة، وامر بتتبعهم في الاماكن التي عرفت فيها انتشار متعاطيها ومنها الجنينة^(١) من ارض الطباله^(٢)، وحكر^(٣) واصل^(٤)، ببولاق^(٥)، وباب اللوق^(٦) وغيرها من الاماكن التي كانت مراكز لتجمع هؤلاء المتعاطين، وامر بإتلاف ما هناك من هذه النبات الضارة، والقبض

(١) بقعة من الارض تقع في ارض الطباله سميت جنينة تصغيراً للجنة ولما عرفت به هذه البقعة من الحُسن والجمال لكن عمل فيها المعاصي وبيع الحشيشة وفشت فيها شجرة خبيثة فولع بها الاراذل من الناس. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٥٨.

(٢) تقع هذه الارض على جانب الخليج الغربي بجوار المقس وهي من احسن المنتزهات في القاهرة يمر منها النيل وتقع هذه الارض في نقطة وسط غرب النيل وشرق الخليج وقبلها البركة المعروفة ببطن البقرة. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٥٦.

(٣) الحكر لغة: بالكسر ما يجعل على العقارات ويحبس مولده، وجمعها احكار، وفي اصطلاح الفقهاء: الاجرة المقررة على عقار محبوس في الاجارة الطويلة، ويطلق كذلك على العقار المحتكر نفسه فيقال هذا حكر فلان. للمزيد ينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ط٢، الكويت، ١٩٨٣م، ج١٨، ص٥٣؛ الرملي، خير الدين بن احمد، الفتاوي الخيرية لنفع البرية على مذهب الامام ابي حنيفة، القاهرة، ١٩١٦م، ج١، ص١٩٧.

(٤) لم نعثر على تفاصيل عنه سوى ما ذكره المقرئ من أنه يقع بالقاهرة في ارض الطباله ببولاق بالقرب من باب اللوق. المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٥٦، ص٦٧١.

(٥) وهي من احسن الاماكن في القاهرة تقع بالقرب من شاطئ النيل، ويرد الى سواحلها أكثر مما يرد الى ساحل مصر وبها منظر المقر الشريف وبيوت القضاة التي تحفها الاشجار المثمرة والمساجد والجوامع والمدارس والحمامات وهي من احسن اماكن النزهة. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٧١؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٢٥.

على من يتعاطاها، بيد ان هذا التشدد، وهذه المشكلة، انتهت بموت هذا الامير،^(٢) بيد ان المقرئ يذكّر: ان هذه المشكلة تجددت فيما بعد و" شنع التجاهر بالشجرة الملعونة، وظهر امره، واشتهر اكله، و انرفع الاحتشام من الكلام، وغلبت السفالة على الاخلاق، وارتفع ستر الحياء والحشمة بين الناس، وجهروا بالسوء من القول، وتفاخروا وانحطوا عن كل شرف وفضيلة، وتمسكوا بكل ذميمة من الاخلاق والرذيلة ...".^(٣)

وترى الباحثة ان المقرئ اجاد بوصفه وقدم صورة صادقة عن حالة العصر ككل، والمتصوفة وما وصلوا اليه بشكل خاص .
صفوة القول : اختلفت مواقف المتصوفة من الفقهاء كما اختلفت مواقف الفقهاء من المتصوفة بين مؤيد ومعارض ومتبع ومخالف، كما وجه كل منهم الانتقادات للآخر ورد عليه بالمؤلفات والمناظرات .
لعلنا بذلك نكون قد وفقنا في عرض صور من أوجه الصراع المختلفة بين الفقهاء والمتصوفة، ومواقف بعض فقهاء المذاهب المختلفة من التصوف والمتصوفة، كما عرضنا مواقف بعض المتصوفة تجاه الفقهاء .

(١) هي احدى ابواب القاهرة القديمة وهي باب كبيرة وضعت عليها طوارق حربية مدهونة كما كانت العادة على ابواب القاهرة الأخرى بقي هذا الباب موجوداً خلال العصر المملوكي، هدم هذا الباب عندما انشأ القاضي صلاح الدين المغربي قيساريته وجعلها لبيع الكتان. للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٢٩.

(٢) ينظر: الزركشي، زهر العريش في تحريم الحشيش، ص ٥٠؛ المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٦٥.

(٣) المقرئ، الخطط، ج٢، ص٦٦٦.

الخلاصة:

ان المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي الذي تبنته الدولة آنذاك، وكان يرتقي المناصب العلمية والوظائف الدينية اغلب العلماء والفقهاء ممن يتمذهبون بهذا المذهب، على الرغم من كثرة وتنوع المذاهب في مصر وبلاد الشام التي تتبعها، كما شهد مذهب اهل البيت عليهم السلام انحساراً واضحاً في حين شهدت المذاهب الاسلامية الاخرى حضوراً واضحاً في عهد سلاطين المماليك، بيد ان الغالب عليها هو المذاهب الاربعة الحنفي، والمالكي، والحنبلي، والشافعي.

من الملاحظ ان مصر وبلاد الشام كانت تربة خصبة للتصوف اذ كانت محط رجال كثير من رجال التصوف، فقد انتشرت الطرق الصوفية فيها وازدهر التصوف بصورة واضحة من خلال مظاهره العديدة التي شجع عليها سلاطين المماليك وقدموا لها الدعم المادي والمعنوي من خلال الايمان بالطرق الصوفية واصحابها وفرض سيطرتهم على السلاطين، و دعم السلاطين للمؤسسات الصوفية من خلال الاوقاف الكثيرة التي توقف عليها حتى تستمر في عطائها وتقديم خدماتها لمرتاديها من المريدين، فضلاً عن استغلال السلاطين للتصوف لضمان استمرار ملكهم، كما شهدت مصر وبلاد الشام صراعاً متعدد الواجه بين الفقهاء والصوفية، وقد وصلت حدة الصراع حد الخصومة فقهياً وعقائدياً بين المذاهب الفقهية والمتصوفة، وقد اسهمت حاشية السلطان والامراء المماليك بذلك، وتطور حتى وصل حد العنف، كما اسهمت طبيعة المجتمعين المصري والشامي في انتشار التصوف والطرق الصوفية، اذ كان لكثرة الحروب والاقتتال الداخلي دافعاً قوياً للإيمان بمقولات اهل التصوف وكراماتهم ودعاواهم للخلاص.

ان انكار الفقهاء على المتصوفة ادعاءاتهم الكرامات والخوارق والمعجزات، كما كانوا يدعوها، وذهبوا الى انها كفر وباطل وضلالة وزندقة، وقال بعضهم ان الصوفية يسиров وراء الاوهام، بينما الصوفية يعتقدون ان الفقهاء هم اهل ظاهر

فقط، ويسمونهم اهل الدنيا، ويسمون أنفسهم اهل الباطن وكانت لهم كلمات صوفية خاصة بيهم لا يتكلمون بها الا فيما بينهم، فاحتد الصراع فيما بين الطرفين، حيث كان لكل منهم اسبابه، كما كان الصوفية يروا انهم متسامحين واسعين الصدر تجاه الفقهاء وتصرفاتهم، في حين كانوا لا يقومون بالمواجهات المباشرة، وانما بالكيد والدس عليهم، وكان احتدام الصراع الفكري بين الفقهاء والمتصوفة من خلال الانكار على سلوكياتهم وتصرفاتهم في المأكل والملبس والرد عليهم من خلال الكتب والمؤلفات التي تدين تلك التصرفات ووصفها بأوصاف مختلفة كالجنون والسفه والجهالة و الزندقة والاحاد وتحريم بعضها الاخر جعلها من ضمن الباطل والكفر والاحاد.

حاول المتصوفة اقناع والسلاطين والعامّة بأنهم يمتلكون العلم اللدني، وهو الخاص بالأنبياء والرسل، في حين يعتمد الفقهاء في مواجهتهم على التزامهم بالشريعة الاسلامية من خلال الكتاب والسنة، واضحت المؤسسات الصوفية بمثابة الاماكن التي تؤدي الى راحة مرتاديها وتقديم الخدمات لهم كالإيواء والطعام والملابس، فأصبحت مطلب كل من يروم الراحة والرزق بدون تعب او عناء، مع عدم التزام بعض الصوفية بالشعائر الدينية، وانتشار الفرق التي فهمت الدين فهماً خاطئاً كالبيانية والحريية والقلندرية والباجرقية، فضلاً عن انتشار الجماعات الاخوانية وال دراويش والزعر والحرافيش ومتعاطي الحشيشة.

ظهرت كثرة الاعتقاد بالخرافات والخوارق على انها كرامات ومكاشفات واحوال صوفية، كذلك برزت ظاهرة الاعتقاد بالأولياء والصالحين واصحاب الكرامات والاعتقاد بالقبورية، وظاهرة تأليه الولي الصوفي وسيطرة الصوفية على السلاطين وكذلك خضوع بعض الفقهاء لهم وكذلك العامة، كما انتشرت عناصر التهلك والخلاعة والمجون، والابتعاد عن القيم الاسلامية والعادات

الصحيحة، بسبب الاختلاط الذي يحصل في أماكن التصوف، وفي المناسبات والاعياد، التي أصبحت بعض طقوس التصوف جزءاً منها.

اختلفت مواقف المذاهب المختلفة من التصوف والمتصوفة تبعاً لأئمة مذاهبهم وما يفتي به فقهاء كل مذهب، وكانت هذه المواقف متباينة بين مؤيد ومعارض ومجانِب للصوفية كل حسب وجهة نظره الفقهية أو حسب ما تتطلبه المرحلة .

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً - المصادر المخطوطة

- ابن نوح، عبد الغفار بن احمد بن عبد المجيد (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م)،

١- الوحيد في سلوك اهل التوحيد، صورة مخطوطة منشورة على شبكة الالوكة الثقافية.

ثانياً - المصادر المطبوعة

- ابن الاثير، علي بن محمد بن الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣١ م)،

٢- اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠ م.

٣- الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.

- اخوان الصفا (عاشوا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)

٤- اخوان الصفا وخلان الوفا، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٨ م.

- الادريسي، ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحمودي الحسني (من علماء القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي)،

٥- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩ م.

- الادفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)،

٦- الطالع السعيد، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٣٩ هـ .

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٢ م)،

٧- طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.

٨- تذكرة النبيه في تصحيح التنبيه، تح: محمد عقلة الابراهيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩ م.

- الاصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م)،

٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م.

- الأسدي، محمد بن محمد بن خليل، (من رجال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)،

١٠- التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، تح: عبد القادر احمد، دار الفكر، ١٩٦٨ م.

- ابن آيبك، ابي بكر عبد الله الدواداري (ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٣٧ م)

- ١١- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن المعروف بالدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: اولرخ هارمان، د. مط، القاهرة، ١٩٧١م.
- ١٢- الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، الجزء التاسع، تحقيق: هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الانصاري، زكريا بن محمد (ت ٩٢٦هـ/١٥٦٨م)،
- ١٣- الحدود الانيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م.
- الانصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٢هـ/١٦٢٤م)،
- ١٤- نزهة خاطر وبهجة الناظر، تح: عدنان محمد ابراهيم وعدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي المصري (ت ٩٧٣هـ/١٥٩٦م)،
- ١٥- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن بدران، عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)
- ١٦- المدخل الى مذهب الامام احمد بن حنبل، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- البدرى، أبي البقاء عبد الله بن محمد المصري الدمشقي (مولده سنة ٨٤٧ هـ / ١٤٤٨م)،
- ١٧- نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٣م.
- البسطامي، ابو زيد طيفور بن عيسى (ت ٢٦١هـ/٨٨٣م)،
- ١٨- المجموعة الصوفية الكاملة وكتاب الشطح، تقديم: محمد عباس، مؤسسة المدى، سوريا، ٢٠٠٤م.
- البرزالي، علم الدين ابي محمد القاسم بن محمد (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)،
- ١٩- المقتفي على الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- البستي، ابي حاتم محمد بن حيان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)،
- ٢٠- مشاهير علماء الأمصار واعلام فقهاء الأقطار، تح : مرزوق علي إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م.
- البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)،

- ٢١- المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٤٥ م .
- البلاذري، ابي العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)،
- ٢٢- فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعاف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
- البغدادي، ابي محمد بن غانم محمد الاعظم
- ٢٣- مجمع الضمانات في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان، تح: محمد احمد سراج وعلي جمعة محمد، مطبعة دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩ م .
- ابن بطوطة، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
- ٢٤- رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩ م .
- بيبس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطائي (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)
- ٢٥- مختار الاخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تح: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة السلمي (ت ٢٧٩ هـ / ٧٧٩م)،
- ٢٦- جامع الترمذي في باب إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.
- ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن محمد (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)
- ٢٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م .
- ٢٨- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تح: فهيم محمد شلتوت، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٢٩- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق ودراسة: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٤٩م)
- ٣٠- الاستغاثة في الرد على البكري، تح ودراسة: عبد الله دجين السهيلي، دار الوطن للطباعة، الرياض، ١٩٩٧م.
- ٣١- موقف ابن تيمية من التصوف، جمع وتح: محمد عبد الرحمن العريفي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٠هـ.
- ٣٢- مجموع الفتاوى، مطبعة وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، الرياض، ٢٠٠٤م.

- ٣٣- درة تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط٢، مطبعة جامعة الملك محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩١م.
- ٣٤- ابن تيمية، التفسير الكبير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٣٥- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تح: ابراهيم رمضان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٣٦- منهاج السُّنة في نقض كلام الشيعة القدرية، تح: محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦م.
- الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحنفي (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٨م)
 - ٣٧- التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
 - ابن الجزري، شمس الدين محمد بن ابراهيم (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م)
 - ٣٨- تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.
 - ابن الجزري، ابي الخير، محمد بن محمد بن علي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٢م)
 - ٣٩- غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج برجستر اسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
 - ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)،
 - ٤٠- صفة الصفوة، تح: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م.
 - ٤١- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.
 - ٤٢- تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.
 - ابن جماعة، محمد بن ابراهيم بن سعد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)،
 - ٤٣- تذكرة السامع والمتكلم في ادب العلم والمتعلم، ط٣، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ٢٠١٢م.
 - الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨هـ / ١٠٠١م)،
 - ٤٤- نهاية المطلب في دراية المذهب، تح: عبد العظيم محمد الديب، دار المنهاج، بيروت، د.ت.
 - الجيلاني، عبد القادر (ت ٥٦١هـ / ١١٦٣م)،

- ٤٥- آداب السلوك، تح: محمد غسان عزقول ومحمد زكريا الزعيم، دار السنابل، دمشق، ١٩٩٥م.
- ٤٦- الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار السنابل، دمشق، ١٩٩٥م.
- الجيلي، عبد الكريم بن ابراهيم (ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٦م)،
- ٤٧- الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاول، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م .
- ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)،
- ٤٨- المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م)،
- ٤٩- مرصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن حبان، ابي حاتم محمد بن احمد البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)،
- ٥٠- الثقات، مؤسسة الكتاب الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٨٣م.
- ٥١- الجرح والتعديل، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.
- ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٧٥م)،
- ٥٢- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، تصحيح: عبد الوارث محمد علي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٥٣- انباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٩م.
- ٥٤- لسان الميزان، تحقيق: سلمان عبد الفتاح ابو غده، دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٢م.
- ابن حجي، شهاب الدين ابو العباس احمد السعدي (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٦م)،
- ٥٥- تاريخ ابن حجي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الحلبي، ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (ت ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)،
- ٥٦- كتاب الزهص والوقص لمستحلي الرقص، تح: حسن السماحي، دار البشائر للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
- ابن ابي حجلة، شهاب الدين احمد بن يحيى التلمساني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٧م)،

٥٧- غيث العارض في معارضة ابن الفارض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٥٨- صرائح النصائح وتمييز الصالح من الطالح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م.

• الحسيني، عز الدين احمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)

٥٩- صلة التكملة لوفيات النقلة، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٧ م.

• الحسيني، ابي المحاسن محمد بن علي العلوي (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٥م)

٦٠- التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

• الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)،

٦١- الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤ م.

• ابن خلدون، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

٦٢- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة، بيروت، ٢٠٠٧ م.

• ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم الشافعي (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)،

٦٣- وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

• الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٦٣٣هـ/ ١٠٧٢م)

٦٤- تاريخ مدينة السلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢ م.

• الدلجي، احمد بن علي (ت ٨٣٨هـ/ ١٤٢٤م)،

٦٥- الفلاكة والمفلكون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣ م.

• ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن ايدمر العلاني (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م)،

- ٦٦- الانتصار لواسطة عقد الامصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت .
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م)،
- ٦٧- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠ م .
- ٦٨- العبر في خبر من عبر وذيله، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بسيوني بن زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م.
- ٦٩- الاعلام بوفيات الاعلام، عدة اجزاء، تحقيق: مصطفى بن علي عوض وربيع ابو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، د.ت.
- ٧٠- معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.
- ٧١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق: الدكتور الطيار آلي تولاچ، استانبول، ١٩٩٥ م.
- ٧٢- المعجم المختص بالمحدثين، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الرياض، ١٩٨٨ م.
- ٧٣- الإشارة إلى وفيات الأعيان، تح: إبراهيم صالح، دار ابن الأثير، بيروت، ١٩٩١ م.
- ٧٤- المختار من تاريخ ابن الجزري، تح: خضير عباس المنشداوي، بيروت، ١٩٨٨ م.

الرازي، ابي محمد عبد الرحمن ابن ابي حاتم (ت ٣٢٧ هـ / ٩٩٤ م)،

- ٧٥- الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي، بيروت، مطبعة حيدر اباد الدكن، الهند، د.ت .

• ابن رشد، ابو الوليد محمد بن احمد القرطبي ت (٥٢٠ هـ / ١١٤٢ م)،

٧٦- البيان والتحصيل، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.

• الرصاع، ابو عبد الله محمد الانصاري (ت ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م)،

٧٧- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الامام ابن عرفة الوافية المعروف بشرح حدود ابن عرفة، تح: محمد ابو الاجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

• الرواس، بهاء الدين محمد مهدي الرفاعي (ت ١٢٨٦هـ / ١٨٨٦م)،

٧٨- بهموت الغيوب، تح: ناصر الدين عبد اللطيف، مكتب الشروق للطباعة، لبنان، ٢٠١٣م.

• ابو الروح، الزين عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٨م)

٧٩- الكنز الاكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، د.ت.

• الزبيدي، ابي الفيض مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)

٨٠- اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م.

• الزركشي، بدر الدين ابو عبد الله محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩٥م)،

٨١- زهر العريش في تحريم الحشيش، تح: السيد احمد فرج، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧م.

• الزركلي، خير الدين (ت ١٩٧٦هـ / ١٣٩٦م)،

٨٢- الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، د.ت.

• الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي الحنفي (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٤م)،

٨٣- شرح كنز الدقائق للنسفي، تح: احمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ابن سباط، حمزه بن احمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ / ١٩٢٠م)،
٨٤- صدق الاخبار المعروف بتارخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، د. مط، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)،
٨٥- طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت
٨٦- معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٩٨٦م .
- سحنون، ابو سعيد عبد السلام بن سعيد (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٧م)
٨٧- المدونة الكبرى، مطبعة دار النوادر، الكويت، ٢٠١٠م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن (ت ٩٠٣هـ / ١٦٠٦م)،
٨٨- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تح: أسعد طرابزونى، مكة المكرمة، ١٣٧٩م.
- ٨٩- وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام، تح: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)،
٩٠- المخصص، مطبعة القاهرة، ١٩١٨م.
- السهروردي، شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٣م)،
٩١- عوارف المعارف، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان (ت ٩١١ هـ /
١٥١١م)،
٩٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، دمشق، ١٩٦٤م.
- ٩٣- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٧م .

٩٤- تزيين الممالك بمناقب الامام مالك، تح: هشام بن محمد، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ٢٠١٠م.

٩٥- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.

٩٦- نور المنجم في المعجم، تح: ابراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥م.

• ابن شاکر الکتبی، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)،

٩٧- فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

• شافع بن علي، ناصر الدين العسقلاني المصري (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣١م)

٩٨- الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تح: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م.

• ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن القاسم (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)،

٩٩- ذيل الروضتين، تح: ابراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٠٠- مختصر كتاب المؤمل للرد على الأمر الأول، دار الشهاب، الجزائر، ٢٠٠٣م.

• ابن شاهين، غرس الدين عبد الباسط بن خليل (ت ٨٩٣هـ / ١٤٩٦م)،

١٠١- نيل الامل في ذيل الدول، تح: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٢م.

١٠٢- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

• ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٣م)

١٠٣- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

- ابن شداد، محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)،
١٠٤- العلاقات الخطيرة، تح: دومنيك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات،
دمشق، ١٩٥٣م.
١٠٥- الروض الزاهر في تاريخ الملك الظاهر، اعتناء: احمد حطيط، دار فرانز
ستايز، ١٣٢٤م .
- الشعراني، ابي المواهب عبد الوهاب (ت ٩٧٣هـ / ١٥٩٦م)،
١٠٦- لطائف المنن والاخلاق في وجوب التحديث بنعمة الله على الاطلاق،
المعروف بالمنن الكبرى، اعتناء: احمد عزو عناية، دار التقوى للطباعة
والنشر، سوريا، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٠٧- الطبقات الكبرى، تح: احمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة
الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٠٨- الانوار في آداب الصحبة عند الاخيار، مكتبة ابو ايوب الانصاري،
دمشق، ٢٠٠٧م.
١٠٩- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، مطبعة مصر، القاهرة، ١٨٨٩م .
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٥٥م)،
١١٠- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: عبد القادر شيبه الحمد، مطبعة
العبيكان، الرياض، ١٩٧٧م.
١١١- الفتح الرباني من فتاوى الامام الشوكاني، تح: ابو مصعب محمد صبحي
بن حسان حلاق، مكتبة الجيل الجديد، اليمن، د.ت.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن احمد (ت ٥٤٨هـ / ١١٧٢م)،
١١٢- الملل والنحل، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة عيسى الحلبي
واولاده، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الشيباني، ابي عبد الله محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ / ٨١٢م)،
١١٣- الجامع الصغير، مطبعة ادارة القرآن، باكستان، ١٩٩٠م .

- الشيرازي، ابي اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي (ت بعد ١٠٤١هـ / ١١٠٩م)،
التتبيه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥١م.
- ابن الصابوني، جمال الدين محمد بن علي بن محمود بن احمد(ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)،
١١٤- تكملة إكمال الإكمال في الانساب والاسماء والالقباب، تح: مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٧م.
- الصديقي، قطب الدين مصطفى بن كمال البكري (ت ١١٦٢هـ / ١٧٨٤م)،
١١٥- بلوغ المرام في خلوّة خلوتية الشام، تح: احمد فريد المزيدي، ناشرون، بيروت، د.ت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)،
١١٦- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ١١٧- نكت الهميان في نكت العميان الصفدي، المطبعة الجمالية، مصر، ١٩١١م.
- ١١٨- تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حمدان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.
- ١١٩- امراء دمشق في الاسلام، دار الكاتب الجديد، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٢٠- اعيان العصر واعوان النصر، تح: علي ابو زيد وآخرون، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- الصيمري، أبي عبد الله حسين بن علي، (ت ٤٣٦هـ / ١٠٥٤م)
١٢١- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م .
- ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠هـ / ١٥٠٠م)

- ١٢٢- ابناء الهصر بأبناء العصر، تح : حسن حبشي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- طاش كبري زادة، ابو الخير احمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦٩م)
- ١٢٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- الطبطنائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ / ٢٠٤٢م)،
- ١٢٤- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٧هـ.
- الطبرسي، ابو الفضل علي بن رضي الدين علي (من علماء القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي)،
- ١٢٥- مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تح: مهدي هوشمند، دار الحديث الثقافية، طهران، د.ت .
- الطحاوي، ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ / ٩٤٣م)،
- ١٢٦- مختصر الطحاوي، تح: ابو الوفا الافغاني، لجنة احياء التراث، الهند، ٢٠٠٩م .
- الطرسوسي، نجم الدين ابراهيم بن علي (ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م)،
- ١٢٧- تحفة الترك بما يجب ان يعمل في الملك، تح: رضوان السيد، مطبعة دار الطليعة، القاهرة، د.ت.
- الطوسي، ابو نصر عبد بن علي السراج (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٨م)،
- ١٢٨- اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)،
- ١٢٩- الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، ايران، ١٤١٤م.
- ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد الصالحي (ت ٩٥٣هـ / ١٤٥٧م)،

- ١٣٠- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تح: محمد احمد دهمان، ط٢، د. مط، ١٩٨٠ م.
- ١٣١- نقد الطالب لزغل المناصب، تح: محمد احمد دهمان وخالد محمد دهمان ونزار اباطة، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- ١٣٢- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.
- ١٣٣- اعلام الورى بمن ولي نائباً على دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣ م.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ / ١٨٧٥م)،
- ١٣٤- حاشية ابن عابدين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٢٧٢هـ.
- ١٣٥- رد المحتار على الدر المختار، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ابن عاشر، عبد الواحد أحمد بن علي (ت ١٠٤٠هـ / ١٦٦٢م)،
- ١٣٦- المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، تح: صلاح مجذوب، ط٣، د. مط، الرياض، ٢٠١٢ م.
- ابن عبد البر، ابي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١ م)
- ١٣٧- الانتقاء في معرفة فضائل الائمة الثلاثة الفقهاء،
- ١٣٨- الكافي في فقه أهل المدينة، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣ م.
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م)،
- ١٣٩- مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تح: محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٩ م.
- ابن عجيبة، ابي العباس أحمد بن عبد الله الحسني (ت ١٢٢٤هـ / ١٨٤٦م)،

- ١٤٠- مصطلحات التصوف، تقديم: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٤١- معراج التشوف الى حقائق التصوف، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، تح: عبد المجيد خيالي، د.ت.
- ١٤٢- الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية ضبط وتصحيح: د. عاصم ابراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
- ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن حسن الشافعي (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)،
- ١٤٣- قواعد الاحكام في مصالح الانام، تح: طه عبد الرؤوف، المكتبة الازهرية، القاهرة، ١٩٩١م.
- عياض، ابو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)،
- ١٤٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ت.
- ١٤٥- التنبهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تح: محمد الوثيق وعبد النعيم محيتي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠١١م.
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/ ١١٩٣م)
- ١٤٦- تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين ابي سعيد عمر بن غراسة العمروسي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١٤٧- تبیین کذب المفتری، مطبعة القدسي، دمشق، ١٩٢٨م.
- ابن العراقي، ولي الدين احمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٤٨م)،
- ١٤٨- الذيل على العبر في خبر من غير، تح: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن عربي، محي الدين محمد بن علي بن محمد (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٣٩م)،

- ١٤٩- المختار من رسائل ابن عربي كتاب الالف المسمى الاحدية، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٥٠- شطرنج العارفين، رسالة شرح محمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني الدمشقي، مطبعة بيروت، د.ت.
- ١٥١- شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف: محمود الغراب، ط٢، دار الايمان، دمشق، ١٩٩٤م.
- ١٥٢- فصوص الحكم، تعليق: ابو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- العلمي، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت ٩٨١هـ / ١٥٨٢م)،
- ١٥٣- المفيد في ادب المعيد، تح: محمد زيغور، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٨م.
- العلمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)،
- ١٥٤- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنيس، عمان، ١٩٩٩م.
- ١٥٥- المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن العماد، عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٧١١م)،
- ١٥٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن عطا الله السكندري، احمد بن محمد بن عبد الكريم المالكي (ت ٧٠٩هـ / ١٣١٠م)
- ١٥٧- لطائف المنن، تح: عبد الحليم محمود، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٥٨- تاج العروس وأنس النفوس، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٥٩- التتوير في اسقاط التدبير، تح: محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٦٠- عنوان التوقيف في آداب الطريق، دار الغزالي، سوريا، حلب، ٢٠٠٢م.
- ١٦١- مفتاح الفلاح في تهذيب النفوس، المطبعة المحمودية، القاهرة، د.ت.
- العيني، بدر الدين محمود بن احمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥٨م)،
- ١٦٢- السيف المهند، تح: فهم محمد شلتوت ومراجعة محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الغبريني، ابو العباس احمد بن احمد (ت ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م)،
- ١٦٣- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بجاية، تح: عادل نويهض، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ / ١١٢٧م)،

- ١٦٤- احياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٥- المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال،
- ١٦٦- الاربعين في اصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الغزي، تقي الدين عبد القادر التميمي الداري المصري الحنفي (ت ١٠٠٥ / ١٦٢٧م)،
- ١٦٧- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٣م.
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٨٣م)
- ١٦٨- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الغزي، ابو المعالي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ١١٦٧ هـ / ١٧٨٩م)،
- ١٦٩- ديوان الاسلام، تح: سيد حسين كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الغزنوي، سراج الدين ابي حفص عمر بن اسحق بن احمد (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٤م)،
- ١٧٠- الغرة المنيفة في تحقيق مسائل ابي حنيفة، مكتبة الثقافة الاسلامية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن فارس، ابي الحسين احمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠١٧م)،
- ١٧١- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفاسي، ابي حامد محمد بن يوسف الفهري (ت ١٠٥٢ هـ / ١٦٧٥م)،
- ١٧٢- مرآة المحاسن في اخبار الشيخ ابي المحاسن، تح: محمد حمزة بن علي الكناني، دار ابن حزم، د.ت.
- الفاروئي، عز الدين احمد بن ابراهيم الواسطي (ت ٦٩٤ هـ / ١٣٢٦م)،
- ١٧٣- النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية، مطبعة محمد سعد نومرو، الاستانة اسطنبول، ١٣٠١هـ.
- الفراء، محمد بن ابو يعلى البغدادى (ت ٥٣٦ هـ / ١١٥٨م)،
- ١٧٤- طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن العثيمين، المطبعة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦م)،
- ١٧٥- العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي المالكى (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧م)،

- ١٧٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،، تح : محمد الأحدي أبو النور، مكتبة التراث، القاهرة، (د.ت).
- ١٧٧- ارشاد السالك الى افعال المناسك، تح: محمد بن الهادي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ١٧٨- كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، تح : حمزة ابو فارس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٩٩٩م.
- ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)،
- ١٧٩- تقويم البلدان، مطبعة ليدن، ١٨٦٤م.
- ١٨٠- المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٩٠٧ م .
- ابن الفقيه، ابي عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني
- ١٨١- البلدان، تح: يوسف الهادي، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق احمد الشيباني البغدادي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٤م)
- ١٨٢- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٦٣٩م)
- ١٨٣- القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الفيومي، ابو العباس احمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)
- ١٨٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ابن قاضي شهبة، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر الاسدي (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)
- ١٨٥- طبقات الشافعية، تح : عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٨٦- الأعلام بتاريخ اهل الإسلام، تح : صلاح الدين المنجد، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢١م)،
- ١٨٧- لمعة الاعتقاد، تح: أشرف عبد المقصود، ط٣، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٥م.
- القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٦م)،
- ١٨٨- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تح : عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ١٩٩٣م .
- القرطبي، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٩م)،

- ١٨٩- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: الصادق محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- ١٩٠- الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- القشيري، أبو القاسم النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)،
- ١٩١- الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٦م)،
- ١٩٢- اخبار العلماء باخبار الحكماء، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- ابن قنفذ القسنطيني، ابي العباس احمد بن حسن بن علي (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)،
- ١٩٣- الوفيات، تح: عادل نويهض، ط٤، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٩٤- أنس الفقير وعز الحقيير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد (ت ٢٧٦هـ / ٨٧٩م)
- ١٩٥- المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة،
- القرافي، شهاب الدين احمد بن ادريس (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)،
- ١٩٦- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، اعتناء: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٩٧- الذخيرة، تح: محمد حجي وسعيد اعراب ومحمد بو خبزة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- القرمانى، احمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ / ١٦١٩م)،
- ١٩٨- اخبار الدول وآثار الاول، تح: فهمي سعد واحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)،
- ١٩٩- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن قطلوبغا، ابو العدل زين الدين قاسم الحنفي (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)،
- ٢٠٠- تاج التراجم في طبقات الحنفية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤٤٣م)،
- ٢٠١- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ناشرون، ١٩٨٢ م.

- ٢٠٢- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م.
- القيرواني، ابي محمد عبد الله بن ابي زيد (ت ٣٨٦هـ / ١٠٠٨م)،
- ٢٠٣- الذب عن مذهب مالك، تح: محمد العلمي، مطبعة مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث، الرباط، ٢٠١١م.
- ٢٠٤- رسالة في فقه الامام مالك، ضبط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن قيم الجوزية، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ / ١٣٢٥م)،
- ٢٠٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تخريج: ابي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وأبو عمر أحمد بن عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ٢٠٦- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد عزيز شمس الدين، مطبعة المجمع الفقهي الاسلامي، جدة، د.ت.
- ٢٠٧- مدارج السالكين في منازل ايك نعبد واياك نستعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الكارزوني، ظهير الدين ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (من علماء القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي)،
- ٢٠٨- شفاء الاسقام في سيره غوث الانام، د.ت .
- الكاشاني، جمال الدين عبد الرزاق (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣١م)
- ٢٠٩- معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٩١هـ / ١٦٩٨م)
- ٢١٠- احوال السالكين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٢١١- آداب السلوك، تح: محمد غسان عزقول ومحمد زكريا الزعيم، دار السنابل، دمشق، ١٩٩٥ .
- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير،
- ٢١٢- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
- الكتاني، ابو المواهب جعفر بن ادريس (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٤٦م)،
- ٢١٣- مواهب الارب المبرئة من الجرب في السماع والالتطرب، تح: هشام بن محمد بن حيجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- الكتاني، محمد بن جعفر بن ادريس (ت ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م)،

- ٢١٤- سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، د.ت.
- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن علي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)،
- ٢١٥- البداية والنهاية، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٨٨م.
- ٢١٦- طبقات الشافعية، تح: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الكلاباذي، ابو بكر محمد بن اسحق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)،
- ٢١٧- التعرف لمذهب اهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م.
- ابن كنان، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/ ١٦٧٥م)،
- ٢١٨- حقائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تح: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م.
- الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص (ت ٣٥٠هـ/ ٩٥٣م)،
- ٢١٩- ولاية مصر، تح: حسين نصار، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الكوثري، محمد زاهد بن الحسن (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩٥٢م)،
- ٢٢٠- تأنيب الخطيب على ما ساقه من أخبار في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب : تعليق : أحمد خيرى، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٢٢١- بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٨٨م.
- اللكنوي، ابو عبد الله محمد بن عبد الحي (ت ١٣٠١هـ/ ١٩٢٢م)
- ٢٢٢- الفوائد البهية في طبقات الحنفية، تح: محمد بدر الدين ابو فراس، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.
- ٢٢٣- النافع الكبير، دار ادارة القرآن والعلوم الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- مالك ابن انس الاصبحي (ت ١٧٩هـ/ ٧١١م)،
- ٢٢٤- الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط٢، ١٩٩٧م.
- ٢٢٥- المدونة الكبرى، مطبعة دار النوادر، الكويت، ٢٠١٠م.
- ابن المبارك، أحمد،
- ٢٢٦- الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ، المطبعة الاميرية، كتاب الابريز، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٩١٧م.
- ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩١٣م)

- ٢٢٧- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق وحواشي: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- المزي، جمال الدين يوسف بن الزكي القضاعي (ت ١٣٤١هـ/١٧٤٢م)،
- ٢٢٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)،
- ٢٢٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العلمي، بيروت، ١٩٨٩م.
- ابن الملتن، سراج الدين ابو حفص عمر ت (٨٠٤هـ/ ١٤٠٧م)،
- ٢٣٠- طبقات الاولياء، تح: نور الدين شريعة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٨٩م)،
- ٢٣١- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٠م.
- المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/ ١٠٠٢م)،
- ٢٣٢- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- المقرئ، ابي العباس احمد بن محمد بن احمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٦٤م)،
- ٢٣٣- نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- المقرئ، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)،
- ٢٣٤- اتعاط الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢٣٥- الخطط المقرئية، تح: محمد زينهم محمد عزب ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٣٦- درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تح: محمود الجليلي، مطبعة دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٣٧- السلوك في معرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا،
- ٢٣٨- مذاهب اهل مصر وعقائدهم الى ان انتشر المذهب الاشعري، تح: ايمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦م.
- ٢٣٩- المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩١م.
- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن علي (ت ٩٥٢هـ/ ١١٧٤م)،

- ٢٤٠- التوقيفات على مهمات التعريفات، د. مط، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ٢٤١- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تح: محمد اديب الجادر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.
- المناوي، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن علي بن يحيى بن محمد القاهري الشافعي (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٥٣م)،
- ٢٤٢- النزهة الزهية في احكام الحمام الشرعية والطبية، تح: عبد الحميد صالح حمدان، دار المصرية اللبنانية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٧م.
- المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)،
- ٢٤٣- التكملة لوفيات النقلة تح: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- المكي، ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٨م)،
- ٢٤٤- قوت القلوب في معاملة المحبوب، مراجعة: عاصم ابراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ابن مماتي، اسعد بن المذهب بن ابي مليح (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)
- ٢٤٥- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
- ٢٤٦- لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- النباهي، ابو الحسن علي بن عبد الله الجذامي (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)
- ٢٤٧- تاريخ قضاة الاندلس، تح: مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- النبهاني، يوسف بن اسماعيل (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٧٣م)
- ٢٤٨- جامع كرامات الاولياء، تح: ابراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن ناصر الشافعي (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)
- ٢٤٩- الرد الوافر، جمع وترتيب: فرج الله زكي الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٤٩هـ.
- ابن النديم، محمد بن اسحق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٥م)
- ٢٥٠- الفهرست، اعتناء: ابراهيم رمضان، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- النعمان، ابي حنيفة ابن حيون بن محمد المغربي القاضي (ت ٦٣٦هـ/ ٩٧٣م)،

٢٥١- شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، مؤسسة النشر الاسلامي، شبكة الفكر، د.ت.

• النعيمي، محي الدين عبد القادر بن علي (ت ٩٧٣هـ / ١٥٩٦م)

٢٥٢- الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م

٢٥٣- دور القرآن في دمشق، تعليق: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٦م.

• النقشبندى، ضياء الدين احمد بن مصطفى بن عبد الرحمن (ت ١٣١١هـ / ١٩٢٣م)

٢٥٤- جامع الاصول في الاولياء، تح: احمد فريد، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

• النووي، ابي زكريا محي الدين يحيى بن مري بن حسن (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)،

٢٥٥- تهذيب الأسماء واللغات، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

٢٥٦- الانكار النووية، تح: عامر بن علي ياسين، مكتبة ابن خزيمة، الرياض، ٢٠٠١م .

• النويري، محمد بن القاسم بن محمد الاسكندراني (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٦م)،

٢٥٧- الامام بالأعلام، تح: عزيز سوريال عطية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، القاهرة، ١٩٧٠م.

• ابن عبد الهادي، محمد بن احمد الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م)

٢٥٨- طبقات علماء الحديث، تح: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

• ابن عبد الهادي، يوسف بن محمد بن قدامة (ت ٩٠٩هـ / ١٥١٠م)

٢٥٩- ثمار المقاصد في ذكر المساجد، د مط، بيروت، ١٩٤٣م.

٢٦٠- نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق بدمشق، نشر حبيب الزيات، د.ت.

• الهجويري، ابو الحسن علي بن عثمان الغزنوي (ت ٤٦٦هـ / ١٠٨٨م)،

٢٦١- كشف المحجوب، دراسة وتح: اسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الاعلى الثقافي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

• الهروي، عبد الله الانصاري (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٩م)،

٢٦٢- منازل السائرين، تح: علي فاعوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

• الهمذاني، ابي محمد الحسين بن احمد بن يعقوب (ت ٣٦٠هـ / ٩٧١م)،

٢٦٣- الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تح: الاكوع الحوالي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.

• الوادي أشي، محمد بن جابر التونسي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)،

- ٢٦٤- برنامج الوادي آشي، تح: محمد الحبيب الهيلة، د. مط، تونس، ١٩٨١م.
- الواسطي، تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م)،
 - ٢٦٥- تزيق المحبين في طبقات خرقه المشايخ والعارفين، د.ت.
 - ٢٦٦- خلاصة الاكسير في نسب سيدنا الغوث الرفاعي الكبير، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦ هـ.
- الواسطي، احمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)،
 - ٢٦٧- رحلة ابن شيخ الحزاميين من التصوف المنحرف الى تصوف اهل الحديث والاثر، اعتناء: محمد بن عبد الله بن احمد، ٢٠٠٥م.
- الوتري، احمد بن محمد الشافعي الرفاعي (ت ٩٨٠هـ / ١٥٨٢م)،
 - ٢٦٨- روضة الناضرين وخلاصة مناقب الصالحين، تح: ممدوح ابراهيم، ناشرون، ٢٠٠٠م.
- ابن الوردي (الجد)، زين الدين عمرو بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)،
 - ٢٦٩- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن الوردي (الحفيد)، سراج الدين عمر بن المظفر (ت ٨٦١هـ / ١٤٦٢م)
 - ٢٧٠- عجائب الجبال والبحار والجزائر والانهار، تح: انور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١١م.
- اليافعي، محمد بن عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٩م)،
 - ٢٧١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الروحي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٦م)،
 - ٢٧٢- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
 - ٢٧٣- ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- اليعقوبي، اسحق بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ / ٩٠٦م)،
 - ٢٧٤- البلدان، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٩م)،
 - ٢٧٥- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: احمد حطيظ، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م.

ثالثاً - المراجع العربية والمعرية

- الاربلي، عبد القادر،
٢٧٦- حجة الذاكرين ورد المنكرين، مطبعة الاسكندرية، ١٢٩٦هـ.
- ابراهيم، زكريا،
٢٧٧- ابو حيان التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء، المؤسسة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ت .
- الاسكندري، عمروأ.ج سَفدج،
٢٧٨- تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
- الأشيقر، عمر سليمان،
٢٧٩- تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، ١٩٩٠م.
- الافغاني، شمس الدين السلفي،
٢٨٠- جهود علماء الحنفية في ابطال عقائد القبورية، دار الاصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.
- ارسلان، شكيب،
٢٨١- محاسن المساعي في مناقب الامام ابو عمرو الازاعي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٢٥٢م.
- امين، احمد،
٢٨٢- ظهر الاسلام، مؤسسة هنداي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.
- ٢٨٣- ضحى الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٥٥م.
- امين، حسين
٢٨٤- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٠م.
- الامين، عبد الله
٢٨٥- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، ط٢، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٩١م.
- الباشا، حسن،
٢٨٦- الالقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.
- بدر، عادل محمود وجوزيبي سكاتولين
٢٨٧- قراءات في التصوف الاسلامي من النص إلى التاويل، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- بدوي، عبد الرحمن،
٢٨٨- تاريخ التصوف الاسلامي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٣م.
- ٢٨٩- مذاهب الاسلاميين، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣م.
- البرزنجي، جعفر بن الحسين بن عبد الكريم المدني (ت ١١٧٧هـ / ١٧٩٩م)
٢٩٠- الجنى الداني في ذكر نبذة عن مناقب القطب الرباني عبد القادر الجيلاني، د.ت.
- البرهاني، محمد عثمان عبده
٢٩١- مجموعة اوراد الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية، القاهرة، د.ت .
- ابو زيد، بكر بن عبد الله،
٢٩٢- المدخل المفصل الى فقه الامام احمد بن حنبل، تقديم : محمد الحبيب ابو الخوجة،
دار العاصمة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٩م.
- البهيجي، ايناس حسني محمد،
٢٩٣- تاريخ جماعات الاسلام السياسي، مركز الكتاب الاكاديمي، القاهرة، ٢٠١٧م.
- التركي، عبدالله عبد المحسن،
٢٩٤- اصول مذهب الامام احمد، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- التنبكي، احمد بابا (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٥٨م)،
٢٩٥- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط٢، منشورات دار الكاتب، ليبيا طرابلس، ٢٠٠٠م.
- ٢٩٦- الرسالة الاحمدية في الطريقة العلية البكتاشية بمصر المحروسة، القاهرة، د.ت.
- التفتازاني، ابو الوفا الغنيمي
٢٩٧- ابن سبعين وفلسفته الصوفية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م .
- ٢٩٨- مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٩٩- ابن عطا الله وتصوفه، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ت .
- التهانوي، محمد بن علي (ت ١١٥٨هـ / ١٧٨٠م)،
٣٠٠- كشف اصطلاحات الفنون، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- تيمور، احمد،
٣٠١- حدوث المذاهب الفقهية الاربعة وانتشارها، تقديم :ابو زهرة، دار القادري، بيروت،
١٩٩٠م.
- الثقفي، سالم علي
٣٠٢- مفاتيح الفقه الحنبلي، ط٢، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١م.
- الجامي، احمد فتح الله

- ٣٠٣- سوانح قلبية، دار الغزالي للطباعة والنشر، سوريا، د.ت.
- الجامي، ابو البركات عبد الرحمن،
- ٣٠٤- نفحات الانس من حضرات القدس، مطبعة الازهر، القاهرة، د.ت.
- الجليند، محمد السيد،
- ٣٠٥- من قضايا التصوف، دار قباء للطباعة والنشر، ط٤، القاهرة، ٢٠٠١م.
- جمعة، محمد لطفي،
- ٣٠٦- تاريخ فلاسفة الاسلام، المكتبة المغربية، بيروت، د.ت.
- جمعة، علي،
- ٣٠٧- سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق الفنية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الجمل، علي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني (ت ١١٩٣هـ / ١٧١٥م)
- ٣٠٨- نصيحة المريد في طريق اهل السلوك والتجريد، ويعرف باليواقيت الحسان في تصريف معنى الانسان، تح: عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الجوير، محمد بن أحمد بن علي
- ٣٠٩- جهود علماء السلف في الرد على الصوفية، مكتبة الرشيد، ناشرون، الرياض، ٢٠٠٣م.
- الحافظ، محمد مطيع،
- ٣١٠- جامع الحنابلة المظفري، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ٢٠٠٢ م .
- الحزوري، حسام الدين عباس،
- ٣١١- الحركة الفكرية ومركزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م .
- حسن، اسامة
- ٣١٢- الناصر محمد بن قلاوون، دار الامل للنشر والتوزيع، مطابع زمزم، القاهرة، ١٩٩٧م.
- حسن احمد محمود،
- ٣١٣- قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- حسن، حسن إبراهيم
- ٣١٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م .

- الحسين، عبد الرحمن الشريف،
٣١٥- اورداد الطريقة الخلوتية، مطبعة دار الايمان، القاهرة، د.ت .
- حسين، عبد الله
٣١٦- التصوف والمتصوفة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.
- حسين، علي صافي
٣١٧- الادب الصوفي في القرن السابع الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
- الحسيني، خلدون مكي
٣١٨- وقفات هامة وتنبهات مهمة على كتاب معالم السلوك للجفري، ط٢، دار البيان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.
- الحسيني، عبيد الله القادري
٣١٩- القناديل النورانية في اورداد اذكاء السادة القادرية، مكتبة صايمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- حلاق، حسان وعباس صباغ
٣٢٠- المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.
- حلمي، محمد مصطفى
٣٢١- الحياة الروحية في الاسلام، دار احياء التراث، عيسى البابي الحلبي، دمشق، ١٣٩٤هـ.
- الحنفي، عبد المنعم
٣٢٢- معجم مصطلحات الصوفية، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٧م.
- حوي، احمد سعيد
٣٢٣- المدخل الى مذهب ابي حنيفة النعمان، دار الاندلس الخضراء، جدة، ٢٠٠٢م.
- خطار، يوسف محمد،
٣٢٤- الموسوعة اليوسفية في بيان ادلة الصوفية، مكتبة دار الالباب، ط٢، دمشق، ١٩٩٩م.
- خلف الله، احمد عز الدين عبد الله،
٣٢٥- من قادة الفكر الصوفي السيد ابراهيم الدسوقي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم
٣٢٦- معجم المصطلحات والالقب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م .

- الدالي، محمد صبري
٣٢٧- التصوف وإيامه، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- دجين، عبد الله
٣٢٨- الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها.
- دغش، محمد بن شبيب العجمي
٣٢٩- ابن عربي وعقيدته وموقف علماء المسلمين منه، مكتبة اهل الاثر، الكويت، ٢٠١١م.
- ابو الذهب، اشرف طه
٣٣٠- المعجم الاسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الدقر، عبد الغني،
٣٣١- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م.
- ٣٣٢- احمد بن حنبل امام اهل السنة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩ م.
- دهمان، محمد احمد
٣٣٣- معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٣م.
- دي يونج، فريد
٣٣٤- تاريخ الطرق الصوفية في مصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م.
- الذهبي، محمد حسين
٣٣٥- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- بو ذينة، محمد،
٣٣٦- ابو الحسن الشاذلي، الدار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٩م.
- رانيسمان، ستيفن
٣٣٧- تاريخ الحروب الصليبية، تعريب: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.
- الرباط، خالد وسيد عيد
٣٣٨- مقدمة الجامع العلوم الإمام أحمد، دار الفلاح للبحث العلمي، الفيوم، ٢٠٠٩م.
- رباعية، ابراهيم
٣٣٩- الخوانق في القدس خلال العصر العثماني، القاهرة، د.ت.
- رزق، محمود سليم
٣٤٠- عصر سلاطين المماليك، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٩م.
- الرملي، خير الدين بن احمد
٣٤١- الفتاوي الخيرية لنفع البرية على مذهب الامام ابي حنيفة، القاهرة، ١٩١٦م.

- رمزي، محمد
٣٤٢- القاموس الجغرافي للقطر المصري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- الرواس، بهاء الدين محمد مهدي الرفاعي
٣٤٣- بهموت الغيوب، تح: ناصر الدين عبد اللطيف، رنا شروق للطباعة، لبنان، ٢٠١٣م.
- الرفاعي، علي حسن محمد،
٣٤٤- المجموع الجامع في احزاب واوراد الطريقة الرفاعية، د. مط، القاهرة، د. ت،
• الروقي، عبد الله بن مانع
٣٤٥- نتاج الفكر في احكام الذكر، دار الطباعة التدمرية، الرياض، ٢٠١٤م.
- زروق، احمد
٣٤٦- قواعد التصوف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- زكريا، ابراهيم
٣٤٧- الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- زكي مبارك
٣٤٨- التصوف الاسلامي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابو زهرة، محمد احمد مصطفى
٣٤٩- مناقب ابو حنيفة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٣٥٠- تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٣٥١- ابو حنيفة وعصره وآراءه الفقهية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابو زيد، محمد فوزي
٣٥٢- المربي الرباني، السيد احمد البدوي، دار الايمان والحياة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- زيدان، يوسف
٣٥٣- الطريق الصوفي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- الساييس، محمد علي
٣٥٤- تاريخ الفقه الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- السيد، ايمن فؤاد
٣٥٥- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- السيروان، عبد العزيز عز الدين،

- ٣٥٦- الصوفيون وارباب الاحوال، تقديم احمد كفتارو، مطبعة السيروان للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٥م.
- الشافعي، حسن وابو الوليد اليزيد العجمي
- ٣٥٧- في التصوف الاسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الشافعي الصغير، احمد بن احمد بن سلامي القيلوبي
- ٣٥٨- تحفة الراغب، القاهرة، مطبعة محمد افندي مصطفى، ١٣٠٧هـ.
- الشرتوني، سعيد الخوري
- ٣٥٩- اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، مكتبة المرعشلي، قم، ايران، د.ت .
- الشرعة، عودة رافع
- ٣٦٠- المجتمع الشامي في العصر المملوكي، عين للدراسات والبحوث، ناشرون، ٢٠١١م.
- الشرقاوي، حسن
- ٣٦١- معجم الفاظ الصوفية، مؤسسة مختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الشرطي، محي الدين البيروتي
- ٣٦٢- الشاذلي، مطبعة جريدة بيروت، بيروت، ١٣٠٩هـ.
- الشرنوبلي، احمد عرب،
- ٣٦٣- تائية السلوك الى ملك الملوك، مكتبة القاهرة، ١٩٨٠م.
- الشكعة، مصطفى
- ٣٦٤- الائمة الاربعة، دارالكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٠م.
- شهاب، علي منصور،
- ٣٦٥- الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري، نشر جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠١م.
- الشهابي، قتيبة
- ٣٦٦- معجم القاب السلاطين في الدول الاسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٥م.
- ٣٦٧- معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩م.
- الشيبني، كامل مصطفى
- ٣٦٨- الصلة بين التصوف والتشيع، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
- شير، ادي،
- ٣٦٩- الالفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، القاهرة، ١٩٠٨م.

- صادق، صادق سليم،
٣٧٠- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٤م.
- الصالح، صبحي
٣٧١- علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- الصيادي، ابو الهدى محمد بن حسن الرفاعي (ت ١٣٢٨هـ / ١٧٥٠م)
٣٧٢- قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
- ظاهر، حامد
٣٧٣- تمهيد لدراسة التصوف الاسلامي، مكتبة النشر للطباعة، القاهرة، ١٩٩١م.
- الطبري، عبد القادر بن محمد الحسيني،
٣٧٤- كشف النقاب عن انساب الاربعة الاقطاب، المطبعة الخيرية، القاهرة، د.ت.
- المبرد، اسعد محمد طلس
٣٧٥- ذيل ثمار المقاصد في ذكر المساجد، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٤٢م.
- طقوش، سهيل
٣٧٦- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٧م.
- الطويل، توفيق
٣٧٧- التصوف في مصر ابان العهد العثماني، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ظهير، احسان الهي
٣٧٨- دراسات في التصوف، دار الامام المجدد، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
٣٧٩- السيد احمد البدوي شيخ وطريقة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- عبد الرازق، احمد،
٣٨٠- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، دراسة عن الرشوة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م.
- ٣٨١- تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- عبد التواب، عبد الرحمن محمود
٣٨٢- قاتبياي المحمودي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سلسلة الاعلام، ١٩٧٨م.
- عبد الخالق، عبد الرحمن

- ٣٨٣- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ٢٠٠٦م.
- العتيبي، خالد بن ناصر
- ٣٨٤- الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، ٢٠١١م.
- عزام، صلاح
- ٣٨٥- اقطاب التصوف الثلاثة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٨م.
- علي، محمد إبراهيم أحمد و الحنبلي، علي بن محمد بن عبد العزيز الهندي،
- ٣٨٦- المذهب عند الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، ٢٠١٢ م.
- عكام، محمود،
- ٣٨٧- البكتاشية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، د.ت.
- علال، خالد كبير
- ٣٨٨- التعصب المذهبي في التاريخ الاسلامي، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠٠٨ م .
- علي، محمد ابراهيم
- ٣٨٩- اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث والدراسات وحياء التراث، دبي، ٢٠٠٢م .
- عنان، محمد عبد الله،
- ٣٩٠- مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣١ م .
- عمارة، محمد
- ٣٩١- الوسيط في المذاهب والمصطلحات الاسلامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.
- عيسى عبد القادر بن عبد الله بن قاسم الشاذلي (ت ١٤١٢هـ/١٩٩١م)
- ٣٩٢- حقائق عن التصوف، د. مط، دمشق، ٢٠٠١م.
- عيسى، عبده غالب احمد،
- ٣٩٣- مفهوم التصوف، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م.
- غا وجي، وهبي سليمان
- ٣٩٤- أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٩٩٣ م .
- العبيدي، صلاح حسين

٣٩٥- الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للطباعة والنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

• غريب، مأمون

٣٩٦- ابو الحسن الشاذلي، حياته، تصوفه، تلاميذه، واوراده، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• غني، قاسم

٣٩٧- تاريخ التصوف في الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

• فرغلي، ابراهيم

٣٩٨- الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• فروخ، عمر

٣٩٩- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

• فؤاد، فاطمة

٤٠٠- اعلام الطريقة الخلوتية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٠م.

• الفيتوري، عبد السلام الاسمر

٤٠١- الانوار السنية والمنن البهية في طريق اهل الله الصوفية، دار الطاعة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٤م.

• القادري، مخلف العلي الحذيفي الحسيني

٤٠٢- الكنوز النورانية من ادعية واوراد السادة القادرية، دار الريحانة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦م.

٤٠٣- الكنوز الربانية، الدار العالمية للنشر، الاسكندرية، ٢٠١٦م.

• القاسم، محمد عبد الرؤوف

٤٠٤- الكشف عن الصوفية لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، بيروت، ١٤٠٨هـ .

• قاسم، قاسم عبدة

٤٠٥- ماهية الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٩٠م.

• قاسم، عبد الحكيم عبد الغني

٤٠٦- المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

• القاسمي، جمال الدين

٤٠٧- تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٧م.

- ٤٠٨- اعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- الدويك ، جميل محمد زكريا القدسي
- ٤٠٩- دول الاسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- القصير، احمد بن عبد العزيز
- ٤١٠- عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ٢٠٠٣م .
- القواسمي، اكرم يوسف عمر
- ٤١١- المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، دار النفائس، الاردن، ٢٠٠٦م .
- القنوجي، صديق بن حسن،
- ٤١٢- ابجد العلوم، تح: عبد الجبار الزكار، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م.
- قهوجي، محمد رضا بشير
- ٤١٣- الحشرة الالهية في الطريقة الشاذلية، دار الهداية للطباعة والنشر، حلب، د. ت.
- كازانوف، بول
- ٤١٤- تاريخ ووصف قلعة الجبل، ترجمة: أحمد دراج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م
- الكركي، جلال الدين احمد بن خير الدين محمد الشافعي
- ٤١٥- لسان التعريف بحال الولي الشريف، تقديم: عاطف وندي، مكتبة الرحمة، المنصورة، ٢٠٠٣م.
- الكرمي، مرعي بن يوسف
- ٤١٦- نزهة الناظرين في تاريخ من ولي من الخلفاء والسلاطين، دار النوادر، القاهرة، ٢٠١٢م.
- كنون، عبد الله
- ٤١٧- النبوغ المغربي في الادب العربي، د. مط، طنجة، ١٩٦٠م.
- الكوثري، محمد زاهد،
- ٤١٨- البحوث السنية عن بعض رجال اسانيد الطريقة الخلوتية، المكتبة الازهرية، القاهرة، د. ت.
- الكيلاني، جمال الدين فالح
- ٤١٩- ثورة الروح، تقديم: د. عرفان عبد الحميد فتاح، دار الزنبقة، بيروت، د. ت.
- الكيلاني، عبد الرزاق
- ٤٢٠- الشيخ عبد القادر الجيلاني الامام القدوة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٤م.

- الكيلاني، ماجد عرسان
٤٢١- هكذا ظهر جيل صلاح الدين، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٤م.
- لابيدوس، اير مارفن،
٤٢٢- مدن الشام في العصر المملوكي، تعريب : سهيل زكار، دار الاحسان للطباعة، دمشق، ١٩٨٥م.
- لين بول، ستانلي
٤٢٣- تاريخ الخلفاء، تح: مكّي الطاهر، الدار المصرية اللبنانية، د.ت .
- ماجد، عبد المنعم
٤٢٤- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٨م.
- ماسينون، وعبد الرازق مصطفى
٤٢٥- التصوف، ترجمة، لجنة دائرة المعارف الاسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م .
- المالكي، ابي الفضل احمد بن منصور الفاسي،
٤٢٦- الدرر النقية بتهذيب اوراد الشاذلية، ط٢، مطبعة المركز الوطني للبحوث والدراسات، فلسطين، ٢٠١٥م.
- ماهر، سعاد،
٤٢٧- مساجد مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٤٢٨- مساجد مصر واوليائها الصالحون، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٩٧١م.
- متز، آدم
٤٢٩- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: محمد عبد الهادي ابو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- محاسنة، محمد حسين
٤٣٠- اضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، ٢٠٠١م.
- مصطفى، شاكر،
٤٣١- التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
- محمد، صبحي عبد المنعم
٤٣٢- المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
- محمد، علي جمعة،

- ٤٣٣- المكايل والموازين الشرعية، دار القدس للنشر والاعلان، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١م.
- محمد، محمد امين
- ٤٣٤- الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- محمد العبدية وطارق عبد الحليم
- ٤٣٥- الصوفية ونشأتها وتطورها، دار الارقم، ط٢، الكويت، ١٩٩٧م .
- محمود، عبد الحليم
- ٤٣٦- قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٤٣٧- عبد السلام بن بشيش القطب الشهيد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ٤٣٨- اقطاب التصوف السيد البدوي، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- محمود، عبد الرؤوف قاسم
- ٤٣٩- الكشف عن حقيقة الصوفية في التاريخ، دار الصحابة، القاهرة، د.ت.
- المحمود، عبد الرحمن بن صالح
- موقف ابن تيمية من الاشاعة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٥م.
- محمد، خليفة احمد ومحمد صفوت بدوي،
- ٤٤٠- النفحات الشذية في سيرة اقطاب الطريقة الخلوتية، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت .
- مجموعة من العلماء،
- ٤٤١- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ط٢، الكويت، ١٩٨٣م
- المطيري، محمد بن علي بن جميل
- ٤٤٢- قصة نشأة المذاهب الفقهية المشهورة، د. مط، اليمن، ٢٠١٥م.
- مفتاح، محمد،
- ٤٤٣- الخطاب الصوفي، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.
- مغربية، محمد طارق محمد هشام
- ٤٤٤- المذهب الشافعي، دراسة عن اهم مصطلحاته واشهر مصنفاة ومراتب الترجيح فيه، مطبعة الفروق، سوريا، ٢٠١١م.
- المقحفي، ابراهيم احمد
- ٤٤٥- معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م.
- منصور، احمد صبحي

- ٤٤٦- العقائد الدينية في مصر المملوكية في الاسلام والتصوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- المنوفي، ابو الفيض محمود بن علي بن عمر
- ٤٤٧- بداية الطريق الى مناهج التحقيق، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٤٤٨- المدخل الى التصوف الاسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- موراني، ميكوش
- ٤٤٩- دراسات في الفقه المالكي، تعريب: سعيد بحيري وآخرون، مراجعة: محمود فهمي حجازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- موسى، جلال محمد،
- ٤٥٠- نشأة الاشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥م.
- موير، السير ولیم
- ٤٥١- تاريخ دولة المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- الندوي، تقي الدين ابو الحسن علي الحسيني،
- ٤٥٢- الامام مالك ومكانة كتابه الموطأ، دار البشائر الاسلامية، ٢٠١٦م.
- ٤٥٣- رجال الفكر والدعوة في الاسلام، تقديم: يوسف السباعي ومصطفى الخن، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٧م.
- النجار، عامر
- ٤٥٤- الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.

رابعاً: الاطاريح والرسائل الجامعية

- المياح، مشتاق كاظم عاكول
- ٤٥٥- الحركة الفكرية في مصر في العصر الايوبي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٦م.
- الحسني، عبد المنعم قاسمي
- ٤٥٦- الطريقة الخلوتية الرحمانية الاصول والاثار، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩.
- علي، عبد اللطيف ابراهيم علي
- ٤٥٧- دراسات تاريخية وأثرية، اطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٥٦م.

- الشهري، عبد الله
٤٥٨- جهود العلماء في الجهاد ضد المغول (٦١٦-٧٢٠هـ/١٢١٩-١٣٢٠م)، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، ١٤١٦هـ.
- العملة، عبد الجبار احمد
٤٥٩- نيابة دمشق في عهد الامير تتكز الحسامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٠م.

خامساً: البحوث والمقالات

- الجيلاني، حماد الامين
٤٦٠- حياة الامام مالك وآثاره العلمية، بحث منشور في جامعة الامام المهدي، السودان، ٢٠١٣م.
- المحمدي، عبد القادر مصطفى
٤٦١- الوجيز النفيس في معرفة التدليس، بحث منشور في مجلة مركز البحوث والدراسات، بغداد، ٢٠٠٥ م.
- احمد حسين
٤٦٢- جلال الدين الرومي والتصوف، مقالة منشورة في مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ٩١، السنة الثالثة والعشرون، ٢٠٠٣م.
- الحكيم، سعاد،
٤٦٣- التصوف والثقافة الصوفية في عهد المماليك، مقالة منشورة على شبكة الالوكة الثقافية .
- عزون، جمال،
٤٦٤- النضار في المسلاة عن نضار لابي حيان الاندلسي الجباني، مقالة منشورة على موقع الالوكة الثقافية.

سادساً : المراجع الاجنبية

- D. margoliouth:
465- Art Kodiriyga in Ency of Islam، 2000.
- Webstr's :
466- New world Dictionnary ،New Yourk،1984.
- patton،Walter Melville

the imam including an account of the 467- Ahmed ibn Hanbal •
.mohammedan inguisation called the Mihna

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١١	تمهيد
٣٥	الفصل الأول الملاحم السياسية والدينية والثقافية في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك
٣٦	المبحث الأول: ظروف قيام دولة المماليك
٤٧	المبحث الثاني: الملاحم السياسية
٦٠	المبحث الثالث: الملاحم الدينية والثقافية
٧٥	الفصل الثاني مكانة الفقهاء والمتصوفة لدى سلاطين المماليك ولدى المجتمع المملوكي في مصر وبلاد الشام
٧٦	المبحث الأول: مكانة الفقهاء لدى سلاطين المماليك
١١٣	المبحث الثاني: مكانة الفقهاء لدى المجتمع المملوكي
١٣٩	المبحث الثالث: مكانة المتصوفة لدى سلاطين المماليك
١٦١	المبحث الرابع: مكانة المتصوفة لدى المجتمع المملوكي
١٧٢	الفصل الثالث أوجه الخلاف بين الفقهاء والمتصوفة وموافق فقهاء المذاهب من المتصوفة في عصر سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام
١٧٣	المبحث الأول: موافق فقهاء الحنفية من المتصوفة
١٨٨	المبحث الثاني: موافق فقهاء المالكية من المتصوفة
٢١٦	المبحث الثالث: موافق الحنابلة من المتصوفة
٢٤٥	المبحث الرابع: موافق فقهاء الشافعية من المتصوفة
٢٦٥	المبحث الخامس: موافق المتصوفة من الفقهاء
٢٨٢	الخلاصة
٢٨٥	المصادر والمراجع

المؤلفة في سطور

الكاتبة عراقية بغدادية الاصل من مواليد عام ١٩٦٨م، من اسرة ميسورة الحال، اكملت الدراسة الاعدادية الفرع العلمي بتفوق عام ١٩٨٨م، متزوجة ولديها ثلاث ابناء، دعته ظروفها العائلية بعد زواجها المبكر الى ترك الدراسة الجامعية والتفرغ لأسرتها، لكن ظل حلم الحصول على الشهادة الجامعية يراودها حتى انها لم تنقطع عن الدراسة والمطالعة في كافة المجالات، الى ان جاءت الفرصة و نالت مرادها عام ٢٠٠٨م، حيث دخلت الى الجامعة، والى قسم اللغة الانكليزية كونها خريجة الفرع العلمي، الا ان الاقدار شاءت ان تتحول الى قسم التاريخ لتحصل على البكالوريوس للعام الدراسي (٢٠١١-٢٠١٢) م ولتكون الثانية على قسمها قسم التاريخ للدراسة المسائية.

استهوتها دراسة التاريخ فاستمرت بالعمل والمثابرة، وبتشجيع من اساتذتها الافاضل في قسم التاريخ، لما وجدوه فيها من المقدرة والقابلية على اكمال دراستها رغم اختلاف عمرها عن طلاب المرحلة، فقبلت في الدراسات العليا، وانتقلت من الدراسة المسائية الى الدراسة الصباحية لتحصل على شهادة الماجستير آداب في فلسفة التاريخ بدرجة جيد جداً عام ٢٠١٥ م، عن رسالتها الموسومة (المرويات التاريخية عن العراق وبلاد الشام في كتاب تاريخ حوادث الزمان وانباء ووفيات الاكابر والاعيان من ابناءه لابن الجزري المتوفى ٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

أصبح الطريق بعدها سالكاً لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، لتكون أحد طلبة الدكتوراه للعام الدراسي (٢٠١٧-٢٠١٨) م لتكمل مسيرتها العلمية لتحصل على الدكتوراه عام ٢٠٢٠م عن اطروحتها الموسومة (العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك {٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م}).

حصلت المؤلفة على العديد من الشهادات الاكاديمية منها:

- شهادة في طرائق التدريس من جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد عام ٢٠١٥.
- شهادة صلاحية اللغة العربية وضبط القرآن الكريم من جامعة بغداد كلية الآداب.

- شهادة قيادة الحاسوب بدرجة جيد جدا من جامعة بغداد.
- شهادة مدرب دولي TOT من مؤسسة الخليج المعتمدة من لندن برقم ١٢١٤٢٠٠٥.

الخبرات والمهارات

- عملت في العديد من المدارس الاهلية والحكومية ضمن وزارة التربية منذ عام ٢٠١٥م.

- عملت في عدد من المؤتمرات العلمية ضمن اللجان العلمية والتحضيرية
- ومحكم علمي(خبير) لابحاث المؤتمرات والندوات التي تقام ضمن اعمال هذه مؤسسات المجتمع المدني .

- حصلت على العديد من الاوسمة وقلائد الابداع والتميز من عدة منظمات من منظمات المجتمع المدني، وكتب الشكر من المؤسسات الحكومية والمدنية، والشهادات التقديرية.

- لديها العديد من المشاركات وحضور ما يزيد على ١٠٠-١٢٠ من الندوات والمؤتمرات العلمية حضوريا والكثرونيا والحصول على شهادات مشاركة بها.
- نالت عضوية عدد من المؤسسات العلمية بموجب امر اداري صادر منها، منها مؤسسة بدن أكاديمي ومؤسسة الغدق ومركز كربلاء للدراسات والبحوث ودار الرسول الاعظم التابع الى مركز العميد للدراسات والبحوث التابع للعتبة العباسية المطهرة.
- وكذلك عضوية اكااديمية اثرء المعرفة التابعة لمؤسسة الصداقة الدولية لجامعة لوند السويدية

- عضو مؤسس لمركز ابن خلدون للدراسات التاريخية التابع لمؤسسة الصداقة الدولية في جامعة لوند السويدية.

- وعضو في المركز الدولي لتمكين الشباب وتأهيل القادة
- وكذلك عضو مؤسس لفريق معكم للتكافل الاجتماعي التابع الى المنظمة السويدية ونائب مدير فرع العراق للمنظمة.

- عضو في فريق لهن للتنمية والاعاثة
- عضو في مؤسسة اسناد الدولية للتنمية المتكاملة.
- دخولها موسوعة الشخصيات النسائية العربية الرائدة ضمن شبكة اعلام المرأة العربية.

الاسهامات العلمية ضمن الاختصاص:

المؤلفات المنجزة

١- كتاب بعنوان (المؤرخ ابن الجزري) دراسة في حياته ومؤلفاته صدر عن المركز الاكاديمي للكتاب عام ٢٠١٩م برقم معياري دولي، استقت مادته من رسالة الماجستير الخاصة بها.

٢- كتاب بعنوان التصوف مفهومه .. اركانه .. طرائقه في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك . صدر عن دار الورشة الثقافية برقم معياري دولي، وبرقم ١٦١١ في دار الكتب والوثائق، تحدث عن التصوف منذ نشأته وتطوره الى وصوله الى مصر وبلاد الشام وطرائقه الوافدة من البلاد الاخرى كالعراق والمغرب، والطرق الناشئة في مصر الباقية والمندثرة او التي انتقلت الى بلاد اخرى وانتشرت واستمرت بها.

٣- هذا الكتاب (العلاقات بين الفقهاء والمتصوفة في مصر وبلاد الشام عصر سلاطين المماليك). الذي استقت مادته من اطروحتها الجامعية التي نالت بها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ.

مؤلفات قيد الانجاز

كتاب (المذاهب الاربعة نشأتها.. تطورها.. انتشارها في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك)

لها العديد من البحوث العلمية المنشورة في المجلات المحكمة منها:

١- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والاثار في جامعة بغداد كلية الآداب عام ٢٠١٥م بعنوان (منهج ابن الجزري وموارده في كتاب تاريخ حوادث الزمان).

٢- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والاثار في جامعة بغداد كلية الآداب بعنوان (التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ١٢٣-٦٥٦هـ / ٧٤٩-١٢٥٨م) العدد ٥٧ لسنة ٢٠١٧م.

- ٣- بحث منشور في مجلة الدراسات والتاريخ والآثار في جامعة بغداد كلية الآداب بعنوان (دور الاغلبية في فتح صقلية) العدد ٥٨ لسنة ٢٠١٧م.
- ٤- بحث منشور في مجلة مداد الآداب في الجامعة العراقية بعنوان (الملاحم الاقتصادية في كتاب نزهة الانام في محاسن الشام لابي البقاء البدري المتوفى سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) العدد ١٤ لسنة ٢٠١٧م.
- ٥- بحث منشور في مجلة التاريخ والآثار كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٧٢ لسنة ٢٠١٩م بعنوان (مراكز الحركة الفكرية والعلمية في العراق في العصر البويهى).
- ٦- بحث منشور في مجلة التاريخ والآثار كلية الآداب جامعة بغداد عام ٢٠٢٠م بعنوان (الجغرافية التاريخية للتصوف في مصر وبلاد الشام في عصر سلاطين المماليك) (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) - (٧٤٨هـ / ١٣٨٢م).
- ٧- بحث منشور في مجلة الاستاذ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية جامعة بغداد عام ٢٠٢٠م بعنوان (مواقف المتصوفة من الفقهاء في عصر سلاطين المماليك).
- ٨- بحث منشور في مجلة مداد الآداب بعنوان (الملاحم الاقتصادية في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التتوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٤٤م) دراسة تاريخية، الجامعة العراقية، كلية الآداب، العدد ٢٦ لسنة ٢٠٢٢م.
- ٩- بحث بعنوان (مجالس العلم في العصر البويهى) قيد النشر في مجلة الضاد لعام ٢٠٢٢م.
- ١٠- بحث بعنوان (بنو وفا ودورهم في التصوف في مصر في عصر سلاطين المماليك) قيد الإنجاز.

